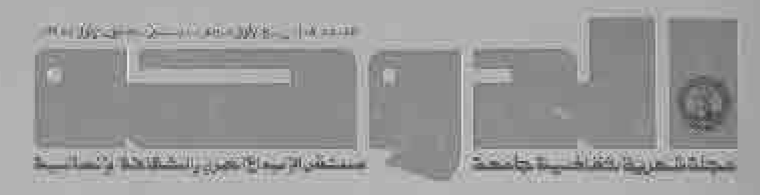


..بل وُلِدَ في مكة.. صلى الله عليه وسلم

بقلم: د. محمد عبده يماني

.. بَلْ وُلِدَ في مَكّة .. صلى الله عليه وسلم

● «وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ»

● إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ»

صدق الله العظيم



بقلم : الدكتور محمد عبده يماني

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف مكة على مقربة من الكعبة المشرفة : في بيت أبيه وجده عبد المطلب الواقع بشعب بني هاشم قرب سوق الليل ، وهو مكان لا يزال معروفاً إلى يومنا هذا .

وكانت منازل أهل مكة زمن ولادته صلى الله عليه وسلم تحيط بدارة الكعبة : تقترب منها وتبتعد عنها وفقاً لمكانة كل أسرة وفخذ من جلال خطر وجليل مقام ، فكان القرشيون أقربهم إليها داراً وأكثرهم بها اتصالا ، كما كانت لهم سدانتها وسقاية زمزم وكل ألقاب التشريف ، وفيما وراء منازل قريش تجيء منازل القبائل التى تليها في المكانة والخطر ثم تلي هذه منازل من دونهم حتى تكون منازل العبيد والحلفاء ، وكان النصارى واليهود بمكة في ذلك الوقت عبيداً فكان مقامهم بآخر المنازل وأبعدها عن الكعبة المشرفة ، وهي المتاخمة

للصحـــراء (١) .

تقول الآية الكريمة (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) (٢) .

والقرية المقصودة فى الآية الكريمة هى مكة المكرمة . واضافتها الى النبى تؤكد أنها البلدة التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم . فالعرف لم يجر على نسبة القرية الى انسان لم يولد فيها .. بل لابد أن يكون قد ولد فيها : أي أنها مسقط رأسه .

وتقول الآية الكريمة : (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) (٣)

والمعاد هو مكة المكرمة ولو لم تكن مكة البلد الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم ما بشره الله بأنه سوف يرده اليها : وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية الشريفة : أن النبى صلى الله عليه وسلم رضى بمفارقة مكة المكرمة وهى أحب بلاد الله تعالى اليه فى سبيل نشر الاسلام واقامة دعائم الدولة الاسلامية بعد أن استحال عليه ذلك بسبب تعنت قريش وعنادها وجحودها وإصرارها على وثنيتها وكفرها ، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خروجه مع صاحبه الصديق مهاجرين ، نظر الى مكة والى بيتها العتيق وقال : (والله إنك لأحب أرض الله الي .. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت) .

وبعد فترة من السير اشتاقت نفسه الى مكة فذكر مولده ومولد أبيه وأمه فيها فنزل جبريل عليه السلام وسأله (اشتقت الى بلدك ومولدك ؟) فقال عليه أزكى الصلاة والسلام : (نعم) فنزلت الآية : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) — والأمر الذى يتوجب علينا أن نركز عليه هنا : هو قول جبريل عليه السلام : (اشتقت الى بلدك ومولدك ؟) فهذا يعنى أن مكة هى بلده صلى الله عليه وسلم وهى مولده .

نعم لقد ولد رسول الله فى مكة وقد أجمعت روايات شيوخ كتاب السيرة على ذلك : فقد قال ابن حزم الأندلسى فى عبارة قاطعة (ولد صلى الله عليه وسلم فى مكة) (٤) .

وقال ابن هشام (ولد بالشعب فى الدار التى كانت عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت) (٥) وذكر ابن سيد الناس مثل هذا (٦) . وكذلك أورده الهبلي (٧) وابن سعد (٨) وقد أضاف ابن هشام تحت عنوان (اعلام جده عبد المطلب بولادته صلى الله عليه وسلم) فقال : (فلما وضعته أمه أرسلت الى جده ـ أنه قد ولد لك غلام فآته فانظر اليه : فأتاه فنظر اليه . وحدثته أمه بما رأت حين حملت فيه وما أمرت أن تسميه) وقد فرح جده وأخذه فدخل الكعبة وقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه منشداً :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أيمن بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعينه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب الجنان(٩)

ورد عبد المطلب الوليد الكريم الى أمه ثم أمر بأن تنحر الذبائح وتولم الولائم ويطعم الناس فى الحرم . وقد أطلق عبد المطلب على حفيده اسم محمد ـ وكانت أمه قد رأت فيما يرى النائم بعد أن حملت به ـ كأن نوراً قد خرج منها أضاءت به قصور بصرى من أرض الشام .

وفى رواية أن أم عثمان بن أبى العاص الثقفى (١٠) كانت مع آمنة رضى الله عنها أوان السحر من ليلة الاثنين ـ فأحست بشىء من الخوف ولكنها مالبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها ـ ثم زاولها الخوف فتجلدت للحظة الحاسمة : وما كاد نور الفجر يطلع حتى كانت آمنة قد وضعت وليدها الكريم .

وتقول أم عثمان : (فما من شيء أنظر اليه من البيت الا نور وانى لأنظر الى النجوم تدنو منى حتى انى لأقول : لتقعن على) . (١١) .

وفى صحيح البخارى وردت قصة عتق ثويبة جارية أبى لهب عم النبى التى لم تكد توافق سيدها ببشرى المولد حتى أعتقها ـ وليس بمعقول أن تستطيع ثويبة نقل الخبر الى سيدها فى الساعة نفسها لو لم يكن البيت الذى تمت فيه الولادة قريباً من بيت أبى لهب أى فى الشعب نفسه ، ثم إن هناك ما يوكد أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت أبى لهب كانا متجاورين فى شعب واحد : وهو ماروى عن أم جميل زوج أبى لهب وكيف أنها كانت تلقى بالقاذورات ومحتويات الكروش أمام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكانت تحمل الحطب والأشواك وتطرحها على طريقه صلى الله عليه وسلم حين يمر : وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى زوجها وفيها الآيات (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) (١٢) .

هذا وقد قال شيخنا الجليل العلامة الأستاذ حمد الجاسر فى كلمته المنشورة بمجلة العرب الغراء عن الآثار الاسلامية : (فالرسول عليه الصلاة والسلام من أهل مكة ـ لاشك فى ذلك ـ وبنو هاشم عشيرته الأقربون كان ربعهم معروفاً فى الشعب الذى عرف بهم ، ثم بأبى طالب والدار التى وقع فيها المولد كانت فى ذلك الشعب . وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم : فلما هاجر : استولى عليها ابن عمه عقيل بن أبى طالب ـ كما فى الحديث الشريف : (وهل ترك عقيل من دار ؟) ومن هنا قال بعض العلماء ومنهم ابن القيم فى كتاب زاد المعاد

(لاخلاف أنه صلى الله عليه وسلم ولد بجوف مكة) .

وعندما استعرض الطبرى الأماكن التى تستحب زيارتها فى مكة ـ ذكر الدار التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (ان عقيل بن أبى طالب كان قد استولى عليها زمن الهجرة فلم تزل فى يده ويد ولده حتى باعوها لمحمد بن يوسف) .

ولنأخذ مما أورده شيخنا العلامة الجليل الأستاذ حمد الجاسر خيط نور نستضىء به فى بحثنا هذا فنقول :

المعروف أن والد نبينا الكريم هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مسرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضير بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

والمعروف أيضاً أن أبا الأنبياء عليه السلام جاء بولده اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر رضى الله عنها الى مكة وأنه تركها فى رعاية الله سبحانه وتعالى ثم مضى ، وأن زمزم تفجرت تحت قدمي اسماعيل عليه السلام ، وأن المنطقة عمرت بعد ذلك ووفدت اليها قبيلة جرهم واستقرت فيها ثم وفد العماليق وغيرهم وتحول المكان المقفر المجدب الى بلد ينبض بالحياة .. بل تحول الى جنة من جنات الأرض ـ والمعروف كذلك أن اسماعيل عليه السلام قد اشترك مع أبيه فى رفع القواعد وبناء الكعبة وقد أصبحت مكة بعد بناء الكعبة عاصمة دينية كبرى ومركزاً تجارياً هاماً .

وأن اسماعيل عليه السلام قد تزوج وأنجب وأن أمه ماتت ودفنت بحجر اسماعيل ثم لحق بها ولدها ، وبقى أولاده يقيمون فى مكة ، وكانوا يجلسون فى الحرم لتدريس الدين الحنيف وقد ظل هذا حالهم حتى طغت خزاعة وبغت وأرغمت البعض منهم على الخروج من مكة ولكنهم لم يلبثوا ان عادوا اليها ثانية واستقروا بها مع الموجودين بمكة : وقام جدهم قصى بتقريشهم أى تجميعهم فى قبيلة واحدة سميت بقريش وقد عاشت هذه القبيلة فى مكة وسادت على القوم ولم تغادرها بعد ذلك .

أما أمه صلى الله عليه وسلم فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن قصى أى أنها من قريش هى الأخرى ـ وقد تزوج عبد الله منها حوالى (٥٦٩ م) بعد قصة النذر والفداء المشهورة : وقد جرت أحداث تلك القصة فى مكة وتم الزواج فور الفداء ونجاة عبد الله من الذبح .

تقول الكاتبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (١٣) تصف البيت الذى تم فيه زواج عبد الله بآمنة وذلك نقلا عن كتاب الرحلة الحجازية للبتانونى :

(لم يكن البيت كبير الحجم البناء لكنه اذا قيس ببيوت مكة يومئذ عد رحباً فسيحاً لعروسين يبدأن الحياة المشتركة ـ كان كما وصفوه ذا درج حجرى يوصل الى الباب يفتح الى الشمال ويدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر متراً فى عرض ستة أمتار وفى جداره الأيمن باب يدخل منه الى قبة : فى وسطها بميل الى الحائط الغربى ـ مقصورة من الخشب أعدت لتكون مخدع العروسين) .

وتكمل الدكتورة عائشة حديثها فتقول :

وبقى عبد الله مع عروسه أياماً لم يحدد لنا التاريخ عددها ولكنها عند جمهرة المؤرخين لم تتجاوز عشرة أيام ـ اذ كان عليه أن يلحق بعير قريش المسافرة الى الشام .. ومضى شهر شعرت آمنة بعده بالبادرة الأولى للحمل : وقد اختلفت الروايات فى المكان الذى حملت فيه آمنة .. بسيد البشر ، ففى قول انها حملت به صلى الله عليه وسلم فى شعب أبى طالب ممتد الجمرة الوسطى ـ قاله الزبير بن بكار ، وفى قول آخر انها حملت به فى بيت آلها بنى زهرة ـ قاله ابن عبد البر وهو الأرجح .

ونحن نضيف الى كلام الدكتورة عائشة ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل (١٤) عن الباحث العالم الفرنسى كوسان دبرسفال (١٥) الذى انضم بدوره الى هؤلاء وقال : (ان محمداً ولد فى أغسطس أى عام الفيل وأنه ولد فى مكة بدار جده عبد المطلب) .

ونقل ابن هشام عن ابن اسحق قوله : (١٦) .

(ارسل عبد المطلب ابنه عبد الله الى المدينة ليمتار لهم فمات بها ـ وقيل بل كان فى الشام فأقبل فى عير قريش فنزل فى المدينة وهو مريض فتوفى بها قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن الأثير مثل هذا القول أيضاً (١٧) .

وقد ذكرت أكثر من رواية أن عبد المطلب ذهب الى آمنة وقد تقدم حملها ـ وطلب منها أن تتهيأ للخروج من مكة مع قريش الى الجبال وشعابها ليتحرزوا بها خوفاً من معرة الجيش الذى جاء به أبرهة الحبشى يريد هدم الكعبة : فرفضت آمنة الخروج من بيتها : وقد عز عليها أن تضع وليدها فى غير دار أبيه بعيداً عن البيت الحرام ـ وأخذت تدعو الله أن يرد أبرهة وجيشه مهزومين عن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة .. وقد استجاب العلى القدير وهزم ابرهة وجيشه هزيمة منكرة بالطير الأبابيل .

والسؤال الذى يطرح نفسه علينا الآن هو :

اذا كانت آمنة رضى الله عنها لم تترك مكة أثناء الهول الحبشى ، ولم تفزع لقدوم أبرهة وجيشه ، وأصرت فى ايمان على البقاء فى مكة لتضع مولودها فى بيت أبيه المجاور للحرم ـ فهل يعقل أن تترك مكة بعد أن زال عنها الخطر لتذهب الى عسفان لتضعه هناك وحيدة غريبة بعيدة عن أهلها وأهل وليدها ؟؟

وما ينبغي لنا أن نختتم هذا البحث دون أن نسمع كلمة حليمة بنت ذؤيب السعدية أم الرسول صلى الله عليه وسلم التى أرضعته : فقد قالت :

(خرجت من باديتي مع زوجي وابن صغير أرضعه ـ فى قسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء حتى قدمنا مكة : فما من امرأة الا وقد عرض عليها محمد فتأباه اذا قيل لها انه يتيم (١٨) (١٩) (٢٠) .

وأيضاً ما ينبغى أن نختتم هذا الجزء دون تعليق على ما أورده شيخنا الجليل وأستاذ الجيل حمد الجاسر فى نفس المجلة عندما قال : (والولادة وقعت فى زمن الجاهلية : وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة ، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ـ وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التى لم يتعلق بها عمل شرعى .. الخ ..) .

وتعليقى على هذا يأتى فى شكل تساؤل هو :

ألم يكن بين أهل الرسول وجيرانه وأهل مكة بعد ظهور الاسلام من عاصر مولده صلى الله عليه وسلم ويعرف مكان ولادته ؟ لقد كان هناك ولاشك من يعرف ذلك ويعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى جوف مكة فى البيت المجاور للحرم .

وأغلب الظن أن الذين تحدثوا عن مولده فى غير مكة توهموا أن آمنة رضى الله عنها قد خرجت مع القرشيين اتقاء خطر الهجوم الحبشي ولكنها لم تفعل كما أوضحنا .

وبعــد :

فلاشك عند العلماء والمحققين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد فى مكة المكرمة .. وفى شعب عامر المنطقة المعروفة الآن .. وذلك لأنها جاءت بالتواتر وعلى الرغم من أن العرب لم تكن تعنى بمكان الولادة .. ولا

● **لم يعد هناك شك عند أهل العلم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولد فى مكة المكرمة عام الفيل وأن ولادته كانت فى شعب عامر وفى الدار التى كانت معروفة لمحمد بن يوسف**

بحفظ الأمكنة كما ذكر الأستاذ الكبير حمد الجاسر .. الا أنه صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن وابلاغ الرسالة وظهور دين الاسلام كان فى مكة المكرمة من الرجال والنساء من يعرف .. أمه وأبيه .. وعشيرته .. وأين ولد ومتى ولد .. وكان صحابته صلى الله عليه وسلم يحرصون على جمع كل ما يتصل به .. ومعرفة من يتصل به عليه صلاة الله وسلامه .

وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم .. كان قد لفت الأنظار بما عرف عنه من الأمانة حتى قالوا (جاء الأمين) وكذلك من الخلق والاستقامة .. وكريم الحسب والنسب مما جعله محط أنظار الجميع .

ولهذا .. لم يعد هناك أى شك كما ذكرت عند أهل العلم أنه ولد فى مكة المكرمة .. عام الفيل وأن ولادته كانت فى شعب عامر فى مكة المكرمة .. وفى الدار التى كانت معروفة لمحمد بن يوسف .. اعتماداً على التواتر من ناحية وعلى الآيات البينات فى القرآن الكريم .. وما جاء فى مصادر السيرة المعتمدة .. والروايات الموثوقة .. والله أعلم وهو الهادى الى سواء السبيل ..

والحمد لله أن وفقنا الى هذا . وانى أسأله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل .

محمد عبده يمانى

المراجــــع

(١) محمد حسين هيكل ـ حياة محمد ص/١٠٤ .

(٢) سورة محمد : الآية ١٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ٨٥ .

(٤) ابن حزم الأندلسى ـ جوامع السيرة النبوية ج/١ ص/١٦٥ .

(٥) ابن هشام المعافرى ـ السيرة النبوية ج/١ ص/١٦٥ .

(٦) محمد بن محمد بن سيد الناس عيون الأثر فى سيرة سيد البشر .

(٧) الامام الهيلى : الروض الأنف ١٨٤/١ .

(٨) ابن سعد رواية عن الواقدى : الطبقات الكبرى .

(٩) ابن هشام المعافرى : السيرة النبوية ١٦٧/١ .

(١٠) هى الصحابية فاطمة بنت عبد الله رضى الله عنها ـ الاستيعاب رقم ٤٠٥٩ ـ وعيون الأثر ٢٧/١ .

(١١) رواه عبد البر فى الاستيعاب وابن سيد الناس فى عيون الأثر عن طريق ابن السكن .

(١٢) سورة المسد ٦٠٣ .

(١٣) أستاذ الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب : تراجم سيدات بيت النبوة ١٠٦ .

(١٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ ١٠٩ .

(١٥) كوسان دبرسفال : رسالة فى تاريخ العرب ـ ٢٠ .

(١٦) ابن هشام المعافرى : السيرة النبوية ـ ١٦٧/١ .

(١٧) ابن الأثير : النهاية ـ ٣/٢ .

(١٨) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٠/١ .

(١٩) الزرقانى : ١٤٦/١ .

(٢٠) النويرى : ٨١/١٦ .

دعوة الاسلام للعلم والمعرفة
وأثرها في قيام الحضارة الإسلامية

بقلم : الدكتور عبد الحميد الأنصاري

لانجد على مر التاريخ البشرى كتاباً كالقرآن الكريم تميز باحترام العقل، فلا يذكر العقل فى القرآن الكريم إلا فى مقام التعظيم .. نجد ذلك فى الدعوة الملحة إلى وجوب إعمال العقل وتوجيهه إلى النظر فى الكون والتأمل فيما حواه من نظام وترتيب بديعين ، وليس ذلك توصلا إلى ادراك الخالق الحكيم فحسب ، بل وكذلك سعياً وراء العلم والاستزادة من المعرفة واكتشاف قوانين الكون والابداع ، واننا نجد ذلك بوضوح فى آيات كثيرة فى القرآن فيها توجيهات إلى ملاحظة آيات الكون المتمثلة فى اختلاف الليل والنهار وارسال الرياح والسحب لينزل المطر فتحيا الأرض بالنبات والشجر.

— « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

— « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٢) .

— « أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » (٣) .

ويوجهه إلى تأمل المخلوقات ، فيقول عز وجل :

— « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » (٤) .

ويرشد إلى تأمل مظاهر الكون والحياة والموت ، فيقول :

— « وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » (٥) .

— « أولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » (٦) .

— « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » (٧) .

— « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (٨) .

يقرر الأستاذ العقاد — رحمه الله — هذا الأمر ، بقوله :

« وبهذه الآيات وغيرها تقررت فريضة التفكير فى الاسلام وتبين منها أن العقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور » (٩) .

ويحذر العقاد من العقبات والموانع التى تعترض سبيل العقل فان الاسلام لا يقبل من المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سنة آبائه ولا يقبل منه أن يلغى عقله خوفاً من السلطة (١٠) .

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » (١١) .

فالعلم فى الاسلام عبادة وفريضة وكل علم ينفع الناس ويصلح الحياة فطلبه وبذله عبادة تقرب إلى الله .

ويكرر القرآن تقديره للعلم والعلماء :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١٢) .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١٣) .

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الالباب » (١٤) .

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (١٥) .

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » (١٦) .

ولذلك لم يكن الأمر عبثاً أن كانت معجزة الاسلام الخالدة من بين الأديان كلها معجزة يتناولها العقل بالفهم بينما الأديان الأخرى كانت معجزاتها مادية حسية .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى جعل النظر العقلى أساس الايمان الصحيح والوسيلة السليمة إليه .

وبلغ من تقدير الاسلام للعقل والعلم أن اشتهر بين المسلمين أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان (١٧) .

وهذا تقدير لعمل العقل والاجتهاد .. ويكفى أن نعرف أن الباحث إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإذا أصاب فله أجران ، فهل هناك دين يثيب على خطأ العقل ؟

ويدل كذلك مرة أخرى ، على تقدير الاسلام للعقل ، أن الاسلام فى غير العبادات والعقائد ، ترك للعقل حرية التفكير واختيار البدائل المناسبة ، فكلتى فيما يتعلق بأمور المجتمع وتنظيمه من سياسة واقتصاد واجتماع بأصول عامة مرنة للعقل فيها مجال كبير .

يقول الامام محمد عبده ــ رحمه الله ــ

« كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره إذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره إلى سره ويقف على قوانينه وشرائعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته فى توفير منافعه ، انظر إلى قوله تعالى :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ثم قوله .. « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله .

فالمسلمون مسوقون بنابل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والمجد .. ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك إلا بالعلم فهم مدفوعون إلى طلب العلم وتلمسه فى كل مكان، الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (١٨) .

فالدعوة إلى العلم والمعرفة كانت منذ البداية ، حينما نزلت أول آية تأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ ، وهو الذى لا يقرأ فى بيئة أمية :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » (١٩) .

ولفظ العلم ومشتقاته تكرر فى القرآن حوالى ٧٦٥ مرة (٢٠) .

وإذا جئنا إلى المصدر الثانى وهو السنة ، نجد فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أوامر صريحة فى الدعوة الى طلب العلم والمعرفة .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢١) .

« من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » (٢٢) .

« ان الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم »(٢٣) .

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» (٢٤) .

● «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع».
«طلب العلم فريضة على كل مسلم».
« حديثان شريفان»

« إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علماً يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) (٢٥) .

« العلماء ورثة الأنبياء » (٢٦) .

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم ورأى مجلسين ، أحدهما يدعو الله عز وجل ، والثانى يعلمون الناس فيه ، فقال (أما هؤلاء فيسألون الله ، فإن شاء اعطاهم ، وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وانما بعثت معلماً وجلس معهم) (٢٧) .

« يشفع الله يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (٢٨) .

« اطلبوا العلم ولو فى الصين) (٢٩) .

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٣٠) .

ويجعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء بعض الأسرى فى بدر ان يعلموا صبيان المدينة ، كل أسير يعلم عشرة .

هذا عن العلم والمعرفة فى القرآن والسنة .

فما مدى استجابة المسلمين لهذه التعاليم السامية ؟ وما آثار ذلك فى تكوين حضارتهم ؟

إننا نجد الاستجابة السريعة منذ عهد الصحابة رضى الله عنهم فى اقبالهم على العلم بعزم وايمان ، تعلموا القراءة ليقرأوا قرآنهم ، وتعلموا الكتابة لينشروا دينهم ، وتعلموا لغات اعدائهم ليأمنوا شرهم ، وانتشر الصحابة أهل العلم فى جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، لتعليم أهالى البلاد ، فكانوا اذا نزلوا بلداً أقاموا الحلقات وانشأوا المدارس . ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى وحد بين مكان العبادة والتعليم ، فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من مسجده الذى انشأه مكاناً للتعليم ، فلم يجد ــ بعد ذلك ــ المسلمون أى صعوبة فى إيجاد أمكنة التعليم .

يقول المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام :

« لا أخال التاريخ يعرف أمة من الأمم سارت سيرة المسلمين فى طلب العلم

والاخلاص فى تحصيله ، وجعله عبادة ، واتخاذ المساجد للصلاة والدرس معاً ، فكما جعل الاسلام الأرض كلها للمسلم مسجداً وطهوراً جعل الأرض كلها دار تعلم وتعليم ، فالمسلم مأمور أن ينظر فى السماوات وآثار الأمم وسيرها ، وأن يطلب العلم حيث كان ويلتقط الحكمة أنى وجدها ـ فهو يتعلم فى الحضر والسفر وفى المسجد والدار ، وكانت مساجد المسلمين منذ انشئت دار تعليم منذ جلس المعلم الأعظم صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه ، وظل الحال كذلك حتى القرن الرابع الهجرى حيث بنيت دور للعلم مع المساجد ، وكانت اولى دور العلم فى هذا العالم الذى يجد فيها الطالب السكن والطعام » (٣١) .

وأول جامعة علمية فى العالم بناها المسلمون فى مدينة فاس عام ٢٤٥ هـ واسمها « جامعة القرويين » كانت تدرس فيها العلوم الدينية والدنيوية . (٣٢) .

لقد نبغ المسلمون فى كافة ميادين العلم والمعرفة وقادوا أكبر حركة فكرية وكانوا أصحاب النهضة العلمية التى شملت جميع دول العالم والتى كانت أساساً لما فى العالم من علوم وفنون ، وتجلى ذلك فى اهتمامهم بانشاء المدارس ودور الكتب حتى كانت فى القاهرة فى القرن الرابع الهجرى مكتبة تحوي مئة ألف مجلد (٣٣) .

وكانت طريقة الأساتذة فى التدريس ان كل مدرس يعد درسه ويكتب فى الموضوع الذى يلقى الدرس فيه ما يريد أن يكتب ، ثم يلقيه على التلاميذ وهم يكتبون عنه ، ثم تكون هذه الدروس كتباً تنشر بين الناس فى كل علم بدون أدنى مراقبة ولا حجر ، وكان ولاة الأقاليم ينافسون الخلفاء فى إعلاء مقام العلم والعلماء (٣٤) .

وولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها والفنون والآداب بجميع أنواعها ، وبدأت حركة الترجمة الواسعة عن اليونانية والسريانية والفارسية ، وفى حدود منتصف القرن التاسع أصبح تحت يد المسلمين مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم ولم تمض فترة إلا واستوعبوا هذه المعارف ، وعمدوا إلى تصحيحها ونقدها ثم الاضافة إليها .

وكان استيعاب المتلمين لعلوم الأسبقين وتكوينهم لعلم اسلامى مميز الطابع مثلا أدهش العلماء والباحثين (٣٥) .

يقول ول ديورانت « بلغ الاسلام فى ذلك الوقت أوج حياته الثقافية ، وكنت تجد فى ألف مسجد منتشرة من قرطبة الى سمرقند ، علماء لايحصيهم العد ، وكانت جميع مسالك العالم الاسلامى تعج بعلماء الدين والجغرافيا والمؤرخين ، انتشروا فى الأرض بحثاً وراء المعرفة والحكمة ، ولقد استطاع العرب أن يستوعبوا ما كان عند الأمم المغزوة من ثقافات بما اتصفوا به من سرعة الخاطر وقوة البديهة » (٣٦) .

ويقول سارتون « حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى ، فكتب أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها اصالة وأغزرها مادة باللغة العربية ، وكانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر لغة العلم والارتقائية للجنس البشرى ، حتى لقد كان ينبغى لأى كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية » (٣٧) .

والمسلمون هم أصحاب المنهج العلمى فى البحث والتجربة الذى قام عليه التقدم العلمى كله ، فقد جعلوا التجربة والمشاهدة قاعدة لعلومهم .

نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الغرب ، أن القاعدة عند العرب هي جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً وعند الأوروبى إلى ما بعد القرن العاشر : إقرأ فى الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن عالماً (٣٨) .

● إن القـاعدة عند العـرب هى، جرّب وشـاهد ولاحظ تـكن عارفـاً ، وعـنـد الأوروبـي إلى مابعـد القـرن العاشـر : اقـرأ فى الكـتب وكـرّر مايقـولـه الأسـاتـذة تكـن عـالـمـاً
جوستاف لوبون

ومآثر المسلمين وابداعاتهم واكتشافاتهم وسبقهم فى ميادين الطب والكيمياء والزراعة والنبات والطبيعة والرياضيات والفلك والجغرافيا ، وكذلك فى ميادين العلوم الانسانية من الفلسفة والآداب والتربية فضلا عن جهودهم الفذة فى علوم الشريعة ورواية الأحاديث وعلوم القرآن والتفسير ، تكفلت المؤلفات العديدة بابراز هذه المآثر وأصبحت معروفة ومسلمة حتى من قبل غير المسلمين ، فلا نعيد ذكرها هنا ولمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المتخصصة فى هذا الشأن (٣٩) .

ولكن التساؤل هنا ، إذا كانت هذه انجازات حضارة الاسلام وتلك ابداعاتهم ومآثرهم فلماذا تدهورت هذه الحضارة الانسانية الزاهرة ولماذا ضعفت ؟

وفى رأيى أن تدهور الحضارة الاسلامية يرجع إلى عوامل ثلاثة . هى :

العامل السياسى : ويتمثل فى الانقلاب الذى حصل فى أسلوب الحكم فبعد أن كان الحكم قائماً على مبادىء الشورى والعدالة والحرية والمساواة انحرف مسار الحكم عن هذه المبادىء ـ بعد الخلافة الراشدة ـ هذا الانحراف أصاب الرأس فى الصميم وزرع فيه جرثومة الانحلال التى تفاقمت بمرور الزمن ثم سرت من الرأس إلى أعضاء الجسد فأصبح عليلا ممزقاً أطمع الاعداء فيه فتكاثروا عليه وسيطروا .

العامل الاجتماعى التربوى : فالمرأة التى رفع الاسلام من شأنها وأعزها وأكرمها ـ بعد مهانة الجاهلية ـ وكانت لها اسهاماتها الاصلاحية والتربوية والثقافية والسياسية فى مجتمع الصدر الأول : بالمشاركة فى مجال الاصلاح العام مصداقاً للآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٤٠) . وفى مجال التعليم ورواية الأحاديث والفتاوى ، وتشارك فى المجال السياسى بالمشاورة ، وتساهم فى الغزوات

وتتحمل الاضطهاد وتهاجر في سبيل الدعوة . هذه المرأة ، تردى وضعها الاجتماعي بعد فترة من الزمان ، وجاء من ينادي بحرمانها من التعليم واستتبع ذلك منعها من أي مساهمة بناءة في المجتمع ، وتقبل المناخ الاجتماعي العام هذه الدعوى بحجة فساد الزمان وخوف الافتتان ، فضرب عليها بسياج ، وأصبحت في عزلة عن مجتمعها جاهلة بما يحدث فيه متخلفة عن ركبه ، فانعكس ذلك على قدرتها في اعداد النشء واحسان التربية ، وماذا ينتظر ممن فرغ عقلها غير الانشغال بالتوافه ، وأفرز هذا الوضع اجيالا تتوالى في الضعف ، وانعكس هذا بدوره على الحكم تأثيراً وتأثراً (وكما تكونوا يولى عليكم) .

● العامل الفكري : امتاز الاسلام بإعلاء عمل العقل وتشجيع البحث وحرية الفكر ، وحرص على النهي عن التقليد والاتباع .

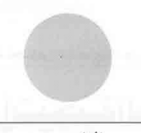
وعرف المسلمون بسعة الصدر والسماحة واعذار بعضهم لبعض اذا اختلفوا في الرأي .. ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا ، فقد جاء حين من الدهر ساد فيه التضييق على الفكر ، والحجر على الرأي والتعصب المذهبي والمسارعة إلى اتهام المخالف وإساءة الظن به بل واضطهاده والتنكيل به .

هذا التحول الفكري كان من العوامل الهامة التي أثرت على مسار الحضارة وقوتها بالسلب .

وفي رأيي اننا لن نستطيع أن نبني نهضة ولن نحدث تقدماً إلا اذا تجنبنا العوامل السلبية ، فلابد أن يعود العقل ليمارس عمله بحرية وانطلاق ، ولابد للمرأة أن تأخذ وضعها الاجتماعي الصحيح وتنال حقوقها كاملة حتى تؤدي واجباتها تجاه مجتمعها . ولابد من بناء اجتماعي وسياسي يتيح للجميع فرصة المشاركة بالتعبير عن الرأي ويضمن للجميع حقوقهم .. هذا وبالله التوفيق .

عبد الحميد اسماعيل الأنصاري

كلية الشريعة ــ جامعة قطر



المراجـــــع

(١) ١٦٤ البقرة .

(٢) ١١ النحل .

(٣) ٢٧ السجدة .

(٤) ١٧ الغاشية .

(٥) ٨٠ المؤمنون .

(٦) ٨ الروم .

(٧) ٦ ق .

(٨) ٥ يونس .

(٩) التفكير فريضة اسلامية : (موسوعة العقاد ٥/٨٤١) .

(١٠) التفكير فريضة اسلامية : (موسوعة العقاد ٥/٨٤٣) .

(١١) ١٧٠ البقرة .

(١٢) ٩ الزمر .

(١٣) ١١ المجادلة .

(١٤) ٢٦٩ البقرة .

(١٥) ٢٨ فاطر .

(١٦) ١٨ آل عمران .

(١٧) الاسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ٩٩ .

(١٨) الاسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ١١٤ .

(١٩) ١ ــ ٥ العلق .

(٢٠) المسلمون والعلم الحديث : عبد الرزاق نوفل ص ١٩ .

(٢١) رواه ابن ماجه ، وقال الالباني يحتمل أن يرتقي إلى درجة الحسن لكثرة طرقه ٥/٢٧ من السلسلة الضعيفة .

(٢٢) الترمذي ٢٧٨٥ العلم وقال : حسن غريب .

(٢٣) أحمد وابن حبان والحاكم (المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٨/١) وابو داود حديث ٣٦٤١ العلم والترمذي ٢٨٢٢ العلم ، والحديث مختلف فيه .

(٢٤) مسلم ، والترمذي وحسنه ٢٦٤٦ العلم ، وأبو داود ٣٦٤٣ العلم

(٢٥) الطبراني في الأوسط وابو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم باسناد ضعيف (المغني ٦/١) وقال الالباني : موضوع ٣٧٩ .

(٢٦) ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والدارمي ، والحديث مختلف فيه (تحفة الاحوذي ٧/٤٥٤) .

(٢٧) ابن ماجه ، بسند ضعيف (المغني ١٠/١) .

(٢٨) الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء (المغني ٦/١) .

(٢٩) رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب وابن عبد البر والخطيب وله طرق يقوي بعضها بعضاً (راجع الاسلام دين العلم والمدنية ١٢٥) وقال : البيهقي : متنه مشهور واسانيده ضعيفة (المغني ٩/١) وقال الالباني : باطل ٤١٦ .

(٣٠) مسلم من حديث ابي هريرة .

(٣١) (٣٢) المسلمون والعلم الحديث : نوفل ص ٣٨ .

(٣٣) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١١٩ .

(٣٤) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١٢٠ .

(٣٥) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث : جلال مظهر ص ٦٨ .

(٣٦) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث : جلال مظهر ص ٦٩ .

(٣٧) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث : جلال مظهر ص ٦٩ .

(٣٨) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١٣٨ .

(٣٩) راجع في مآثر العرب العلمية :

ــ أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك : د . علي الدفاع .

ــ اسهام علماء المسلمين في الرياضيات : د . علي الدفاع .

(تعريب وتعليق : د . جلال شوقي) .

ــ اعلام العرب والمسلمين في الطب : د . علي الدفاع .

ــ شمس الله تسطع على الغرب زيغريد هنكة .

ــ تراث العرب العلمي في الرياضات والفلك : قدري طوقان .

ــ المرجع في تاريخ العلوم عند العرب . د . محمد مرحبا .

(٤٠) التوبة ٧١ .

حول الدورة الخامسة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

أبعاد استراتيجية التنمية لدول الخليج العربية

بقلم: الدكتور يحيى رجب

شهدت مدينة الكويت في السابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٨٤ ــ والمجلة ماثلة للطبع ــ اجتماعات الدورة الخامسة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتي التقى فيها أصحاب الجلالة والسمو رؤساء دول المجلس . وتبرز هذه الدورة مدى إدراك الدول الاعضاء بأن تحقيق التضامن فيما بينها يدعم قدرة الأجهزة العاملة في مجلس التعاون على تحقيق الارادة الذاتية للمجلس حتى يستطيع تحقيق أهدافه التي نص عليها النظام الأساسي للمجلس ، وعلى اتخاذ التوصيات الاتفاقية التي توافق عليها الدول الأعضاء ، وتلتزم بها بمحض إراداتها واقتناعها بأن التضامن والوحدة الخليجية طريق الرخاء لشعب المنطقة ، وأن التعاون بينها لايقوم فقط على أساس مشاعر الأخوة الناشئة عن التاريخ المشترك الذي يربط الدول الأعضاء ، بل يقوم أيضا على أساس تحقيق المصلحة الذاتية الخليجية . ونعرض فيما يلي أهم الموضوعات الرئيسية التي تسهم في دعم استراتيجية التنمية لدول المنطقة .

الأمن والتنمية

يعتبر الحفاظ على أمن الخليج العربي الدرع الواقي لمنجزات التنمية في المنطقة ، وتعتمد دول مجلس التعاون على تنظيمها الاقليمي الذي أقامته بارادتها ورغبتها في تدعيم شعارها الذي اتخذته ، وهو تحقيق الأمن الذاتي الخليجي وإبعاد المنطقة عن صراعات القوى العظمى ، وتسوية منازعاتها الاقليمية في إطار مجلس التعاون بالطرق السلمية .

وقد أقر مؤتمر «أبها» لوزراء الدفاع والخارجية بدول مجلس التعاون ، والذي عقد بالمملكة العربية السعودية في شهر سبتمبر ١٩٨٤ ، الوثيقة الدفاعية التي تحدد استراتيجية الدفاع المشترك والتي تقوم على أساس الاعتماد على الذات ،

وتحمل أبناء دول مجلس التعاون مسئولية الدفاع عن حريتهم واستقلالهم ، والمحافظة على سيادة دولهم وتأمين سلامتها وصيانة استقلالها ، ورفض التدخل الأجنبى فى شئون المنطقة .

وفى مجال النهوض بأعباء الدفاع عن المنطقة أجرت القوات المسلحة لدول مجلس التعاون خلال شهر اكتوبر ١٩٨٤ تمرين « درع الجزيرة رقم ٢ » بالذخيرة الحية فى منطقة « حفر الباطن » بالمملكة العربية السعودية ، وكانت هذه القوات قد أجرت فى العام الماضى مناورات مماثلة أطلق عليها اسم « درع الجزيرة رقم ١ » فى دولة الامارات ، وتهدف هذه المناورات إلى تحقيق مزيد من الخبرة والتجربة والتنسيق فى شئون التكتيك العسكرى المتطور بين قوات دول المجلس

الحفاظ على الاحتياطات النفطية

يعتبر النفط أحد الموارد النادرة والقابلة للنضوب وغير قابلة للتجديد ، ولقد استنزفته المنطقة إلى أبعد الحاجات الانمائية ، لذلك يجب أن تهدف السياسة النفطية المشتركة للدول الأعضاء إلى استمرارية التحكم فى حصص الانتاج وأسعار النفط حتى تستطيع الحفاظ على الثروة النفطية . فالبترول فى باطن الأرض مخزون استراتيجي يتطلب الحرص عليه لتأمين مستقبل الأجيال القادمة ، وحتى تستطيع الدول الأعضاء أن تحقق التنمية الاقتصادية الشاملة التى تتطلب بطبيعتها وقتا طويلا تقتضى معه إطالة عمر الاحتياطات النفطية .

وينبغى أن تركز السياسة المستقبلية على تصدير المنتجات النفطية والابتعاد تدريجيا عن السياسة الاستعمارية التى تهدف إلى الابقاء على تصدير النفط فى شكله الخام . ومن جهة أخرى يجب الاعداد لمستقبل مابعد نضوب النفط ، وضمان مصدر عربى آخر غير بترولى للطاقة وتركيز الأبحاث العلمية على الطاقة الشمسية حيث أنها منتشرة على نطاق واسع فى المنطقة ، وتعتبر طاقة مباحة وخالية من التلوث ، ويمكن نقل التكنولوجيا اللازمة لها وتطويعها واستيعابها بسهولة ، كما أنه يجب إزالة العقبات التى تحول دون الحصول على الطاقة النووية ، وما زال بترول دول المنطقة يؤدى دوره الاقتصادى فى المجتمع الدولى .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن تخفيض أسعار النفط إثر التخمة النفطية التى ظهرت فى السوق ، وما ترتب عليه من انخفاض الدخول النفطية يتطلب من الدول الأعضاء بذل مزيد من الجهد لدفع جهود التنمية فى مختلف المجالات بهدف تنويع مصادر الدخل والوصول إلى مجتمع خليجى يعتمد على الحركة الذاتية الانتاجية ، ولذلك يلزم إعداد خطة جدية لترشيد الاستهلاك بهدف دعم التنمية الشاملة للدول الأعضاء .

الاتحاد الجمركى وزيادة الانتاج

يعتبر انتظام مجلس التعاون فى اتحاد جمركى واحد مرحلة هامة من مراحل التكامل الاقتصادى للدول الأعضاء ، إلا أن التركيز على مبدأ حرية التبادل التجارى بين الدول الأعضاء لايكفى وحده لإحداث التكامل الاقتصادى المنشود ، بل يجب أن يعاصره خطة إنتاجية شاملة تستطيع الدول الأعضاء من خلالها تكوين قاعدة إنتاجية راسخة وذاتية اقتصادية تمكنها من الابتعاد تدريجيا عن تبعيتها الاقتصادية للدول الصناعية المتقدمة ، حتى يصبح لها وزنها وثقلها فى المجتمع الدولى ويعزز ذلك مركزها التفاوضى مع التكتلات الاقتصادية الدولية الأخرى .

البحث عن استثمارات جديدة للفوائض البترولية

تقتضى زيادة الانتاج البحث عن أوجه استثمارات جديدة للفوائض البترولية وإقامة مشروعات إنتاجية تعود بالنفع المتبادل لكل الدول الأعضاء بدلا من تسرب هذه الفوائض فى شكل أرصدة نقدية إلى الدول الصناعية الغربية ، إلا أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار أحقية دول مجلس التعاون فى أن تطمئن إلى المناخ السياسى فى الدول المضيفة لرؤوس أموالها ، فانعدام الثقة فى اقتصاديات الدول النامية يعتبر العائق فى تدفق رؤوس الأموال الخليجية لهذه الدول ، ولا يزيله إلا الاحساس بالطمأنينة لمواجهة المخاطر غير التجارية .

وتؤدى المشروعات المشتركة دورا هاما فى تحقيق التكامل الاقتصادى بين الأعضاء ، وتعمل على تحقيق ذاتية اقتصادية للمنطقة وتوسيع نطاق السوق المحلية والتمتع بمزايا الانتاج الكبير وتوزيع المخاطر الصناعية .

ولذلك فانه يجب التركيز على استثمار الفوائض البترولية فى مشروعات إنتاجية مشتركة تدعم الاقتصاد الخليجى ، وتحقق منفعة ملموسة لكل الدول الأطراف بالاضافة إلى تشجيع القطاع الخاص للاسهام فى المشروعات المشتركة ودفع المدخرات الخليجية لتطوير الانتاج الخليجى .

ومن جهة أخرى يجب أن يكون هناك تنسيق فى خطط التنمية الوطنية للدول الأعضاء بطريقة تمنع تضاربها وتسمح بقيام ترابط فيما بينها ، وذلك بدلا من إقامة مشروعات غير منسقة وترتبط فقط بالمنطقة جغرافيا .

التنسيق الصناعي بين الدول الأعضاء

نصت المادة ١٢ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على تنسيق النشاط الصناعي بين الدول الاعضاء ، وعلى توحيد تشريعاتها وأنظمتها الصناعية وتوزيع الصناعة فيما بينها حسب الميزات النسبية والجدوى الاقتصادية .

ونعتقد أنه ينبغي اتخاذ الاجراءات الكفيلة اللازمة للارتفاع بالكفاءة الاقتصادية لبعض الصناعات القائمة ، وإجراء التنسيق الصناعي بهدف زيادة الناتج القومي الاجمالي . وهذه الاجراءات قد تكون حكومية مثل توقيع الاتفاقيات الدولية ، أو غير حكومية تقوم بها الاتحادات الصناعية حيث أن التنسيق الصناعي المنشود يحول دون قيام المشروعات المتضاربة ويحقق المنافع المشتركة ، وهناك بعض الأنشطة الصناعية لا يمكن إقامتها اقتصاديا إلا على نطاق كبير للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير .

التجانس النقدي بين دول المجلس

تمثل دول مجلس التعاون منطقة نقدية متجانسة باعتبارها جميعا جزءاً من منطقة نقدية أجنبية ، ولقد نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على حرية التملك والعمل وحرية انتقال رؤوس الأموال بين دول المجلس ، وسوف يساهم ذلك في استقرار أسعار الصرف بين العملات الخليجية ، وتحقيق التجانس النقدي في المنطقة ، وذلك بالرغم من عدم توحيد المؤسسات والنظم النقدية في دول المجلس .

وتوجد عدة تصورات لتنسيق السياسة النقدية والمصرفية لدول مجلس التعاون ، ومن أهمها انشاء اتحاد للبنوك المركزية لدول المجلس يجتمع بصفة دورية ، ويقوم بتنسيق وتوحيد الأنظمة المصرفية ، وتنسيق المواقف بين النظام النقدي الدولي والشئون النقدية الهامة . وتنظيم نشاط البنوك الأجنبية العاملة في دول المجلس ومراقبتها بما يضمن حماية البنوك الوطنية ، وانشاء مركز للدراسات النقدية لاعداد الكوادر الوطنية الفنية العاملة في الأجهزة النقدية لدول المجلس وإجراء البحوث والدراسات التخصصية .

تنسيق المعونات الدولية للتنمية

تنص المادة ٢٣ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على أن تعمل الدول الأعضاء على تنسيق سياستها على الصعيد الخارجي في مجال تقديم المعونات الدولية والأقليمية للتنمية .

ويجب أن نضع في الاعتبار أن الأحداث التي أدت إلى ارتفاع أسعار النفط والتي ساعدت على دعم المعونات الدولية في العشر سنوات الماضية من الصعب تكرارها في التصور المستقبلي وذلك إثر انخفاض ا سعار النفط وحصص الانتاج بدول مجلس التعاون ، ورغبتها في تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة التي تنشدها بزيادة إنفاقها على مشروعات التنمية ، ولذلك يجب التنسيق بين الصناديق الإنمائية في مجال البحوث وتقييم المشروعات المشتركة التي تعمل على تحقيق التكامل الاقتصادي الذي يسعى إليه مجلس التعاون ، والتركيز على أسلوب تمويل برامج التنمية للدولة المستفيدة وذلك في مجال عمل صناديق التنمية ، حيث أن هذا الأسلوب يدعم استراتيجية الدولة المستفيدة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تنشدها .

حماية مصالح المجتمع الخليجي

يجب مراعاة حماية المصالح الأساسية للمجتمع الخليجي وذلك أثناء التخطيط للتنمية الشاملة ، والحذر من اتباع أي أسلوب مستورد يتنافى مع تقاليد المنطقة ومراعاة ظروف المجتمع واحتياجاته والعمل على اكتساب القدرة التكنولوجية الحقيقية وتطويعها بما يتمشى مع مناخ المجتمع ، وتشجيع البحوث العلمية وبناء القوى البشرية الفنية وإعداد جيل من الشباب الواعي المتفهم لإمكانيات بلاده والقادر على تحمل مسئولياته .

دعـم التكامـل الاقتصادي العربي

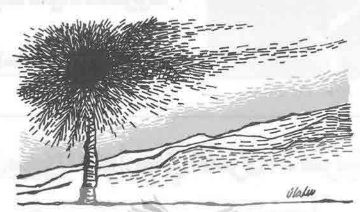
يجب أن يوضع في الاعتبار أن التنسيق الاقتصادي لدول مجلس التعاون سوف يدعم التكامل الاقتصادي العربي ، واذا كانت دول المجلس تعاني من نقص في بعض الموارد الانتاجية فإن الوطن العربي لديه وفرة كثيرة من هذه الموارد ، ويشكل مجالاً حيوياً لامداد منطقة الخليج العربية باحتياجاتها لضمان أمنها الاقتصادي .

ولذلك فإن التعاون الاقتصادي بين دول المجلس يعتبر خطوة هامة في طريق التكامل الاقتصادي العربي ، وقد أكد مجلس التعاون لدول الخليج العربية على المفهوم الحقيقي للوحدة في صورة المجموعات المتجانسة التي تدعم العمل العربي المشترك بهدف الحفاظ على التنمية الاقتصادية الشاملة .

يحيى رجب

من سِفْر الخروج..

شعر: راضي صدوق



.. ودقَّت على كبدي خَفْقةٌ من رياح الشمال
اضطربتُ
انتفضتُ
صحوتُ
ـ تُرى من يُحرِّكُ أغصان قلبي ؟

* * *

وقالتْ ليَ الرّيحُ : هذا أوانُ الرَّحيلْ
وقلتُ : ولكنّني لستُ أعرفُ دَرْبي
ذَوى زَمَني من كفاحي الطَّويلْ
حنانَكَ هذا خريفُ الفصولْ
ترفّق بقَلْبي !

* * * *

تَلَفَّتُّ ..
كانتْ عيونُ الصغار مُخضّبةً بالشَّجَنْ
وفي الحدقاتِ سؤالٌ بريءٌ خَجولْ :
« أبي .. أين نَرحلُ .. هل من وَطَنْ ؟ »

* * *

وكانت لنا نَخلةٌ ظلُّها وارفٌ وجَناها كريمْ
نفيء إليها .. لنُطفىءَ في حضْنِها لفحَاتِ الهجيرْ
.. وكنّا نهزُّ إلينا الجذوعَ
فَيسّاقط الخَيْرُ رطْباً جَنياً
تُرى .. هل طَوَتْها رياحُ السَّموم ؟

* * *

هَزَزْنا الجُذُوعَ ،
خَصَفْنا العناقيدَ ،
.. لم نَجْنِ شيئاً
وها نحن نَضربُ في التيهِ نسأل : أين المَصيرْ؟

القروي شاعر العروبة سيرته في ذكريات


الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم : أكرم زعيتر

كان يبيع الجوارب في القرى الأمريكية لينفق على عمله الوطني

فى مطلع عام ١٩٤٧ دار حديث فى مجلس جامعة الدول العربية حول ضرورة العمل لقضية فلسطين فى أمريكا اللاتينية ، وعهد إلى الهيئة العربية العليا ايفاد وفد لهذه الغاية وتعهدت حكومتا سورية ولبنان بأن تسهما فى تأليف الوفد . واختارنى سماحة رئيس الهيئة السيد محمد أمين الحسينى ممثلا لها فى الوفد ورئيساً له . واختارت الحكومة اللبنانية الأستاذ نصرى معلوف المحامى ، واختارت الحكومة السورية الأستاذ توفيق اليازجى مستشار المفوضية السورية فى البرازيل .

وفى اليوم الأول فى آب (أغسطس) ١٩٤٧ وصلنا الى مدينة سان باولو البرازيلية حيث تتجمع أكبر جالية عربية فى القارة . وتقدم جمهرة المستقبلين رجل أهيف ، يتطلق وجهه بشراً ، وفى عينيه كهربية ، وأقبل هاتفاً : « أخوكم القروى » فكان العناق الحار والتحيات الصميمات .. ومنذ تلك اللحظات إئتلفت روحانا وتعددت لقاءاتنا .

كان السرى المهجرى اللبنانى (الياس عاصي) صديق القروى الحميم ، فدعانا إلى لقائه فى سهرة فى بيته .. ولقاء القروى أمنية من أحسن المنى .. والاستماع اليه محدثاً واستنشاده الشعر من جمالات الزمان . وقلت فى يومية الثانى من آب : « نعمنا بلقاء الوطنى العربى الفذ الأستاذ رشيد الخورى الشاعر القروي . ما رأينا شاعراً ينطبق شعره عليه اخلاقاً واحاسيس .. شكلا وموضوعاً مثله . لو جاز أن يكون للوطنية قديسون لكان القروى « قديس الوطنية العربية » (١) .

مما سمعته الليلة من أنباء وطنية القروى الصوفية مارواه صديقه الياس عاصى قال : « كان القروى حين يتطوع فى الطواف على القرى والأقاليم النائية لجمع الاعانات للقضايا العربية ، يستصحب معه (جوارب) لبيعها فى الحين ذاته ولينفق من ربحها على أجور رحلته ، مؤثراً هذا على ان ينفق من الأموال العامة شيئاً .. » وقد أسمعني القروى قطعة من شعره بمناسبة سفره سفرة شاقة فى الأقاليم لجمع عشرة قروش من كل عربى من أجل فلسطين ولقي فيها من العنت مالقي ، وقد دونتها فورا وهذه هى :

أفضول ياترى أم غيرة ؟
أوقرت ظهري وهدت منكبيا
انحلت علة غيري جسدى
وأسالت كبدى من مقلتيا
يا بنى أمي هل كلفتكم
حمل عبء لم يهشم ساعديا
طالما سابق عسرى يسركم
حين لا أملك إلا أصغريا
ان وهبتم فضل مال فأنا
نازف ما فى عروقى ويديا
ولكم باذل فلس يدعي
انه لولاى لا يبذل شيا
أنا راض ، حاسب كل يد
تنفع الأمة مسداة اليا

لقطة تذكارية للشاعر القروى وهو يصافح شكرى القوتلى (١٩٥٨)





الشاعر القروى وأخوه الشاعر المدنى : قيصر سليم الخورى . وفي الصورتين ترى مدى التشابه بين الأخوين

سايروني واخدموا أوطانكم
واحسبوا المنة يا قومي عليا

وتوالت لقاءاتنا في الأصبوحة والأمسية ، وطالما صحبني بعنقود من العنب ، يرى انه أفيد ما يفطر به المرء في الصباح ، وننطلق الى أحد الحقول وتتماشى ساعة يسمعني فيها من أغاريده روائع ثم نعود الى الفندق حيث تدق ساعة العمل للقضية .

يا بلفر !

وفي الخامس من آب أقام العميد المهجرى يوسف اليازجي مهرجاناً عربياً ضخماً في قصره حضره أعضاء العصبة الأندلسية وأركان الجاليتين السورية واللبنانية والوفد الاكليركى الذى أم سان باولو ليدشن فيها كنيسة ارثوذكسية عربية . وتوالى الخطباء والشعراء « وألقى صناجة الوطنية الشاعر القروى قصيدته عن بلفور ، فأثار المشاعر ، وساعفت الذاكرة الشاعر الكبير شفيق معلوف فأنشد قصيدة نظمها يوم زيارة بلفور دمشق سنة ١٩٢٥ وطرده منها . وكان الشاعر في العشرين من عمره .. وما أروع نشيد يا فلسطين الذى رتله الارشمندريت شامية بصوته الرنان .. » .

وقصيدة القروى تبلغ سبعين بيتاً ومطلعها :

الحق منك ومن وعودك أكبر
فاحسب حساب الحق يامتجبر
تعد الوعود وتقتضي انجازها
مهج العباد ، خسئت يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن
من جيب غيرك محسناً يا بلفر

عد من تشاء بما يشاء فانما
دعواه خاسرة ووعدك أخسر
فلقد نفوز . ونحن أضعف أمة
وتؤوب مغلوباً وأنت الأقدر

ومن أبيات هذه القصيدة الملحمة :

يا عرب والثارات قد خلقت لكم
اليوم تفتخر العلى ان تثأروا

* * *

يدعوك شعبك ياصلاح الدين قم
تأبى المروءة ان تنام ويسهروا
نسي الصليبيون ما علمتهم
قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا
«ريكاردس» ادرى بسيفك منهمو
فليسألـوه لعلـه لا ينكـر

* * *

يا ربة الدأماء مهما تكثري
عدد السفين فعند ربك أكثر
قد بعت مجد الانكليز لتربحي
مال اليهود . نِعِمَّ هذا المتجر
كرليل في قيد النخاسة راسف
يبكي النبوغ وشكسبير وولتر
لا تستقلي في الخصومة عدنا
فالعدل خلف أخي الظلامة عسكر
هددت بالأسطول أرواح الورى
ان كنت منذرة تفوقك منذر
إن تأمني خطر البحار فإنما
دمع الأرامـل واليتامى أخطر

عيد البرية

وفي سان باولو ناد فخم اسمه النادي الحمصي أقامه المهاجرون الحمصيون ، وهو من أرقى الأندية العربية في المهاجر . انه مركز الحركات القومية وفيه تقام الحفلات الوطنية والمهرجانات الأدبية .

وفي السابع من آب ١٩٤٧ اقام النادي الحمصي مهرجاناً عظيماً لفلسطين تجاوز حضوره الف سيد وسيدة ، وتعاقب الخطباء على المنبر ، وألقى فيه شاعر الوطنية العربية القروي بعض شعره فهز مشاعر الحضور ، وارتفع صوت مدو : « عيد البرية ، عيد البرية .. » وقيل لي : انها قصيدة القاها في عيد المولد النبوي ، فاستجاب للنداء وراح يشدو :

عيد البرية عيد المولد النبوي
في المشرقين له والمغربين دوي
عيد النبي ابن عبدالله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفر نوراً للورى وهدىً
يا للتمدن عمّ الكون من بدوي

وراح يناجي رسول الله ثم يهتف :

يا قوم هـذا مسيحي يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروي

العصبة الأندلسية

العصبة الأندلسية ، وما أدراك ما العصبة الاندلسية ! أسسها الأديب الشاعر ميشيل معلوف سنة ١٩٣٥ وترأسها في مطلع عهدها . وقد ضمت ثلاثين شاعراً وأديبا وعالماً ، وهدفها كما نصت عليه المادة الأولى من قانونها « هو تعزيز الأدب العربي في المهجر بمختلف الوسائل وايجاد الصلات العلمية وتوثيق روابط الود بين العصبة وسائر أندية الأدب العربي ومكافحة التعصب » .. ولها مجلة راقية باسم (العصبة الاندلسية) تحررها نخبة من أركان العصبة . ثم ترأسها بعد وفاة ميشيل الشاعر القروي . الذي تخلى بعد سنة واحدة عن رآستها للشاعر النابغة شفيق معلوف . وقد بذل شفيق من جهده وأنفق عليها من ماله ما جعلها مجمعاً شعرياً وأدبياً راقياً .

حبـة القمح

قلت في يومية الثامن من آب ١٩٤٧ : « أقام الليلة رئيس العصبة الاندلسية وعقيلته (عرّابة العصبة) الراقية مهرجاناً عربياً عظيماً على شرف الوفد في قصرهما الفخم حضره أعضاء العصبة وجمهرة من المتأدبين . انتقل الليلة سوق عكاظ الى البرازيل الى دارة شفيق معلوف . بعد أن خطب شفيق وأعضاء الوفد .. جاء دور الشعر واقترح أن يرتل شعراء العصبة مختارات من شعرهم . فتلا شيخهم القروي رباعيته في حبة القمح :

من حبة القمح اتخذ مثل الندى
يا من قبضت عن الندى يمناكا
هي حبة اعطتك عشر سنابل
لتجود أنت بحبـة لسواكا
حلمت بأن ستعيش في خبز القرى
فتراقصت للموت حول رحاكا
وكأنما الشق الذى في وسطها
لك قائل : «نصفي يخص أخاكا»

وقد ترجمت هذه الرباعية الى البرتغالية ، والقتها أميرة فن الالقاء في البرازيل مرغريدا في حفلة عامة على مسرح سان باولو البلدي ، فكان لها وقعها البالغ ، وتألفت لجنة من السيدات البرازيليات الراقيات لتطلب من مرغريدا القاءها في حفل لصالحة فقراء الأحداث فكان ريع الحفلة عظيماً . واقام الياس عاصي صديق القروي حفلة لتكريم العبقرية حضرها نخبة من رجال العلم والأدب ، من برازيليين وعرب ، والقت مرغريدا الرباعية القاء رائعاً فتأثر القروي . ونظم أبيات في تحية الفنانة ، ترجمها الى البرتغالية فوراً العالم اللغوي توفيق قربان ، وأخطب خطباء البرازيل سلمون جورج الذى تلاها ، فرنحت داليدا ، وهبت تعانق الشاعر بين تصفيق الحضور ..

وتلا القروي تلك الأبيات فأطربنا :




شفيق المعلوف

أنطون سعادة

يازهرة الدنيا خصصت بما غدا
لأزاهر الفردوس شغلا شاغلا
فن حليت به لفرط جماله
جعل الحوالي بالنجوم عواطلا
من حبة القمح اجترحت عجيبةً
تركت عقول الأصفياء ذواهلا
جاءت بعشر سنابل من بعد ما
دفنت بصدر الأرض حولا كاملا
حتى اذا مرت بثغرك مرة
ردت لنا أضعافهن شنابلا (٢)

روائع

وتلا شاعر النادى الحمصى نصر سمعان ــ وهو برأى القروى أشعر الشعراء الحمصيين ــ أبياتاً ناجى بها فلسطين مطلعها :

يا فلسطين قدستك الضحايا
وكساك الخلود ، أسنى بروده
أنت فى معزف الحياة نشيد
لا تمل الحياة من ترديده

وشدا الشاعر الحمصى ، ذو الديباجة الجزلة ، واللغة المتينة حسنى غراب قصيدة مطلعها :

صبرا فلسطين صبراً وارقبى فرجا
لابد من عجب يأتي به رجب
والحرب آتية والسيف منتدب
لحل ما عجزت عن حله الكتب

وقد وصف المجاهدين الثائرين :

دون العرين أباة كالليوث لهم
بالسمر والبيض فى جد الوغى لعب
لا يركبون لغير النصر إن ركبوا
أو يغضبون لغير الحق إن غضبوا

قوم اذا سئلوا اعراضهم بخلوا
بها وإن سئلوا أرواحهم وهبوا

وجاء دور رئيس العصبة نابغة الشعر شفيق معلوف فاقترح عليه القروى ان ينشدنا أبياته فى الفلاح فشدا :

عرق الجبين همى على عينيه
فـــانطبقت جفونــــه
هلا نظرت جبينه كم فيه
لـــؤلـــؤة تزينــــه
ضنت عليه بالدموع عيونه
فبكى جبينـــــه

والراعى الذى ينفخ فى الناي؟

كأنما الجرح جرح مهجته
كأن على نايه له ثقب
فالناي لا يأتلي على فمه
يُعب من قلبه وينتحب

وكان فى الحضور فتى أسمر قال شفيق : هذا ولدى اليكو .. انه شاعر ولكن بالبرتغالية .. وقد نظم قصيدة هأنذا أترجمها لكم .. وتلاها فى أروع معانيها الأصلية وما أبدع ترجمتها الى العربية .

وتلا شفيق وصيته الشعرية لابنه اليكو :

لا ترج شعرى . إن شعر أبيك ليس بمسعدك ان لم تخلد انت نفسك ، ما أنا بمخلدك من مخبري ؟ فلربما نلت الخلود على يدك .

واكتهل الليل فعدنا الى الفندق يرنحنا السكر الحلال من رحيق الشعر العربى العالى .

حضن الأم

فى الاحتفال بتدشين فرن جديد لمعامل الحديد الكبرى لآل يافت فى سان باولو سمعنا خطيبا مفوهاً ، يتدفق بالبرتغالية كالأتي المنهمر وقيل لنا أنه سلومون جورج ، عربى الأصل . وهو نائب فى البرلمان البرازيلى ويتزعم الحزب الاشتراكى التقدمى . ويطلق عليه لقب : الخطيب الساحر . حرصت على الاجتماع به ورأيت من دماثته واعتزازه بدمه العربى ما اغرانى بالخوض معه فى حديث عن الآداب العربية والبرتغالية والاسبانية ومقارنته بينها ،

ومما اذكر قوله : « حسب الأدب العربى الحديث فخراً ان ينجب بشاعر عبقرى كالقروى وحسبه لأن يعد عالمياً ان يكون ناظم قصيدة (حضن الأم) وكان لى شرف ترجمتها الى البرتغالية ، كما ترجمها الشاعر الانكليزى آرثر آربري ، أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة لندن ثم ترجمت الى الأسبانية والفرنسية والايطالية . نظمها الشاعر قبل اثنتين وعشرين سنة . وفى أعيادنا ندرجها على بطاقات التهنئة مع صورة سيدتنا مريم تحتضن سيدنا المسيح » . وناولنى الترجمة بالانكليزية مطبوعة . وأضاف القروى : « وقد طبعها مهجري محسان على نفقته وجعل ريعها للأعمال الخيرية » .

والقصيدة منشورة فى الديوان .

شفيق معلوف

وانطلقنا بعد ذلك الى زيارة مصانع حياكة الحرير وغزل القطن لآل معلوف . كانت الماكنات تعمل ودوى المحركات

يخرق الآذان وبينما نحن وقوف نشاهد نسج الخيوط تناول الأستاذ شفيق معلوف مقصاً قطع به أحد خيوط النسيج ، فتعطلت الماكنات وتوقفت المحركات وساد الصمت

.. وقال شفيق : « أرأيتم ؟ ان قطع خيط واحد يشل المصنع كله ! » وعاد فوصل الخيط فواصلت المحركات عملها وضجيجها . وقال القروى : « قدر الشاعر أن يعيش مع الماكينات ! ! اسمعنا يا شفيق وصفك للحالة » . فقطع شفيق خيطاً فساد السكون وهتف :

أبيت وللفولاذ حــولى جبابر
حلاقيمها غصت بخيط معقد
فأين مجال الوحي منها وشدقها
يلوك حديداً تحت ناب محدد

وصاح نصري : أرأيت أروع وصفاً لهذا من قوله : « حلاقيمها غصت بخيط معقد ! » .

يا مود !

وفى المساء اقام الشاعر فيليب لطف الله حفلة أدبية ساهرة تكريماً للوفد القى فيها شيئاً من شعره ونثره ولا ازال أذكر قوله : « عرب مؤلفة من عين وريب» وخطب اعضاء الوفد . واما القروى فقد القى من منظوماته سبعة ابيات فى فتاة انكليزية اسمها مود ، لعلها توددت إليه :

ولو لم تكونى فرنجية
لكنت سعاديَ قبل سعاد
ولـكننـى عربى المنى
عربى الهوى ، عربى الفؤاد
لعمرك يا (مود) لولا ذووك
لما ميز الحب بين العباد
ولا اكرهوا شاعراً أن يقول
هذى البلاد . وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور
وهم أضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلى شاعراً زاهداً
وكم هام بالحب فى كل واد
فانى حرام عَلَي هواك
وفي وطنى صيحة للجهاد

انطون سعادة

وبعد العشاء دار حديث مفاض مع القروى حول الخصومة اللداء بينه وبين الحزب القومى السورى وزعيمه انطون سعادة . وقد ذكرت بالتبجيل الدكتور خليل سعادة ، والد انطون ، أحد رواد القضية العربية ، وكنت أعلم انه كان يحرر جريدة (الرابطة الوطنية السورية) ، فلما توفى خلفه القروى على تحريرها ، فهو والقروى فارسان من فرسان العروبة ، على حين كان انطون يقول بالقومية السورية ، فكان اختلاف الأب والأبن فى المعتقد عظيماً ، وكنت أعلم ان انطون سعادة وبعض القوميين السوريين يشنون حملات شرسة على الشاعر القروى . فحرصت على أن استحكى القروى قصة هذه الحملات فقال : « علاقتى بالدكتور خليل كانت أخوة صميمية . كان وطنياً كبيراً ، عربياً صافياً . ذهنه وقاد ، قلمه سيال ، فكره نفاذ ، كنت أتعلم منه . ولما توفى ندبته ورثيته ونظمت رباعية نقشت على قبره ، وطبيعى ان أحمل بادىء الأمر لابنه أنطون مودة ، حتى انه حين وافتنا الأنباء انه ألف فى لبنان حزباً وطنياً ، وان الفرنسيين يضطهدونه ، بادرت الى الانتصار له ، وكتبت « افتتاحيات » فى تمجيده والدفاع عنه ، وماكنت ادري أن فلسفة حزبه تتنكر للعروبة . وحين أفرجت السلطات الفرنسية عنه وجاء البرازيل استقبلته واحتفلت به .. ولكننى فى أثناء الأحاديث والمناقشات رأيت ان الخلاف فى العقيدة بيننا عظيم جداً . كما لمحت أسلوبه الاملائى على جماعته . كان يطمع أن أدخل حزبه وقضيت ذات مرة ثمانى عشرة ساعة فى مناقشته ، وانتهى الأمر الى قطيعة .. وقد كتب يتهجم على ، وبلغنى ان جماعته يأتمرون بى ويودون ان يتخلصوا منى ، وشنت جريدتاهم فى البرازيل والأرجنتين غارات شعواء على أدبى وشعرى ، وكان فى المتحاملين على أصدقاء لى قلت فيهم :

ألا رب اخوان علي تحاملوا
كأن لم يكونوا قبل من خيرة الصحب
اثاروامن العدوان حولى (زوابعاً)(٣)
فما حركت منى سوى حبق الحب
اذا جمحت بى نزوة راضها الرضا
وعاتبنى قلبى ، فأذعنت للعتب
وهون عندى السب أن لبعضهم
زغاليل اطفالا تعيش على سبى

ولم تقتصر الحملة علي على القوميين السوريين ، فالاحتلاليون من أنصار فرنسا تفننوا فى مهاجمتي ولاسيما بعد خطاب وطنى القيته على اثر تصريح ادلى به « سيدنا » البطريرك فيه حنين الى فرنسا ، وردت فيه هذه الأبيات :

فَرَنسة زال ظل الموت عنا
ببعدك وانطوى العلم البغيض
ولكن حبك الموروث داء
عيــون شيوخنا منه تفيض
غزا أديارنــا والــدور تزجى
لرَبِّـته النوافل والفروض

فعشش في لحى الرهبان سودا
وبيض ، وهن مثل الثلج بيض
حسبنا منه « سيدنا » تعافى
فساء الفأل وانتكس المريض

وفوجئت بعد ذلك ببطاقة توزع وقد رسم عليها رأس القروى على جسم كلب طويل الذيل مع عبارات بذيئة .. فقابلتها بالسخرية والضحك .

الشاعر المدنى

وقبل ان نبرح سان باولو أو صنبول بعد انجاز مهمتنا وتأليف لجنة الدفاع عن فلسطين وتدشينها في حفل وداعى في النادى اللبنانى أقيمت سهرة أدبية حافلة في بيت السيد الياس عاصى ، وحرص القروى على أن يكون أخوه وشبيهه قيصر الملقب بالشاعر المدنى في الحضور ، ومما رواه ان الشاعر المدنى أصيب بمرض القلب فبذل الياس من جهده وماله ما عالجه حتى أبل من مرضه فنظم بيتين من الشعر ما أروعهما :

الياس يا مصباح ليلي
لا أجَفَّ الله زيتك
أنت ماداويتَ قلبي
إنما رَممتَ بيتك !

المتنبي

وفى السهرة أتينا على ذكر المتنبي واستشهدنا ببعض أبيات من شعره . والمتنبي على رأى أستاذى المرحوم اسعاف النشاشيبي يدخل شخصاً ثالثاً في كل قضية .. ونعلم أن العصبة الاندلسية قد دشنت أعمالها بالاحتفال سنة ١٩٣٥ بمرور ألف سنة على وفاة المتنبي وقد اشترك شعراء العربية في الحفلات التذكارية التى أقيمت سنتئذ ، وذاعت شهرة قصيدة القروى ، وهى بالغة الروعة ، فاستنشدناه اياها .وهى في ثلاثة وسبعين بيتاً ، ومن ا بياتها المتفرقة المستعادة :

لتسجد ملوك الشعر من كل أمة
اذا رفعت بندَ الفصاحة عدنان
يمن علينا الدهر فيك وإنه
على نفسه لو يعلم الدهر منان
بك اشتهر العصر الذى أنت فخره
وأنت له التاريخ والمجد والشان
عيال على ذكراك ذكرى ملوكه
واسماؤهم فيه على اسمك ضيفان
خلدت فخلدت الزمان وهكذا
تموت وتحيا بالنوابغ أزمان
وأنهاهـــا :
أبا الشعر هذا محفل من محافل
تهز بها الدنيا بذكرك قحطان
صحا الدهر فاستسقاك كأساً جديدة
قضى ألف عام قبلها وهو سكران
ألا نهلة أخرى ؟ أما من ثمالة
يهش لها صاد وناد وندمان
خلا العرش بعد ابن الحسين على المدى
وعَطَّل من كسرى البلاغة ايوان
تمر البرايا موكبا إثر موكب
يقل فحول الشعر ، والشعر سهران
يفتش فيها عن خليفة أحمد
فتمضى الليالى وهو حيران يأسان !

الطلل المهجور

ولمحنا اعجاب القروى بخفة دم أخيه المدنى وقال إن أخاه « معيل » وعمله التجاري سبب إقلاله من النظم ، وهو يسكن منزلا متداعياً لا يبرحه لأن صاحبه الشهم المحسان يوسف اليازجي يتجاوز عن تقاضى الأجرة ، وقد اطلق عليه اسم « الطلل المأهول » ونظم فيه قصيدة بالغة الطرافة .. وأرانى لا استطيع إغفالها في المقال مع أن حديثى عن القروى لا المدنى :

ولي بيت تطوف به العوادى
وتنشر في جوانبه الدمارا
أجيل الطرف فيه ولست أدرى
أأحذر منه سقفاً أو جداراً
هوى من سقفه نصف ونصف
تمسك بالدعائم واستجارا
اذا ما الريح هبت من يمين
عليه زويتُ أولادى يسارا
يساند بعضه أكتاف بعض
فيضحك من تسانده السكارى
شقوق من تطلع من بعيد
يرى بيتاً وابواباً كثارا
فمنها ما تعَلّى أو تدنّى
ومنها ما استطال وما استدارا
فما من موضع للسر فيه
كأن السر معروض جهارا
نوافذ كالعيون بلا جفون
وقد تعبت من النظر ازورارا
أغافل إن نضوت به ثيابى
غريبا قد يمر بنا وجارا
أعيش وزوجتى فيه كأنى
من العزاب وهى من العذارى
يقولون : ارتحل عنه ، ومن لي
بملاك يقول : دع الإجارا
ولا مال لَدَي ولا شباب
فما حالى اذا استأجرت دارا؟

وقال أحدهم ساخراً : جامعة الدول العربية تتألف من خمس دول (هكذا كانت يوم تأليفها) فصمت القروى قليلا ثم ارتجل بيتاً بقي في ذهنى معناه ، ولست موقناً من صحة مبناه :

أصابع كف المرء في العد خمسة
ولكنها في قبضة اليد واحد !

* * *

وغادرنا البرازيل إلى الأرجنتين فسائر دول أمريكا اللاتينية .. ولم اكد أعود الى الوطن حتى تجددت اتصالاتى بالقروى بمراسلات حفلت بذكريات أرجو أن أتحدث عنها في مقال تال(٤) .

أكرم زعيتر

هـــــــوامـــــــش

(١) اشار إلى هذا اللقب كثيرون من الذين كتبوا تكريماً له حياً او تمجيداً لذكراه راحلاً
(٢) شنبلة : قبلة ولثمة
(٣) الزوبعة : اسم جريدة الحزب
(٤) ملحوظة : القصائد في هذه الذكريات منها ما استمليتها القروى ساعة انشادها ومنها ما استكتبته اياها بعد ذلك او زودنى بقصاصات لاازال احتفظ بها .

- الصراع يدور في منطقة يشكل العرب فيها عنصراً مسيطراً
- لا يمكن تصفية القضية الفلسطينية .. والحل الأمثل هو حل تدريجي!

الجنرال أهارون ياريف والمأزق الصهيوني

بقلم : عصام شريح

قد لا يكون أهارون ياريف أحد المنظرين الرئيسيين فى الحركة الصهيونية ، لكنه بلاشك أحد المعبرين بقوة ، عن المأزق الأيديولوجي الذى وصلت إليه الصهيونية فى المرحلة التى أعقبت حرب تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ ، وغزو لبنان فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .. ومن هنا يبدو الحديث عن أهارون ياريف ، والأفكار « المستحدثة » التى يطرحها ، وخاصة ما يتعلق منها بحل القضية الفلسطينية ، أمراً مهماً ، إن لم يكن بالغ الأهمية .

اسرائيل فى مأزق

من مجمل الأفكار التى يطرحها أهارون ياريف ، يتضح فعلا ، أن الفكر الصهيونى قد بدأ يواجه مأزقا غير سهل على الاطلاق ، لأن الطروحات التى يعرفها ياريف ، هى من الطروحات النادرة فى هذا الفكر ، الذى يتسم أساساً بالاغراق فى العنصرية والشوفينية ضد العرب ، وغير العرب أيضاً ، ولأن هذه الطروحات التى نصفها « بالمستحدثة » ، تتناقض تماماً مع طروحات سابقة لياريف نفسه ، عرضها قبل وقت قصير من « غرق » اسرائيل فى المستنقع اللبناني .

فى كتابه « أسوار إسرائيل » ، الصادر فى عام ١٩٨٢ ، الذى صاغه « جان لارتيغى » ، راح أهارون ياريف ، يستخف بالعقل العربى وقدراته وتكوينه الخلقى ، حيث قال : « إذا جاء وقت الفعل ... فى الحرب مثلا ، تهاوى كل شيء ، وحتى فى هذه اللحظات ، يصعب أن يصدق العرب الواقع ، لكنهم فى نفس الوقت يبدون عاجزين عن أي مبادهة ، سواء فى التكتيك أو الاستراتيجية .. إنهم غير قادرين على الابتكار ، والفكر العربى العسكرى ، فكر عقائدى ثابت ، لا مرونة فيه » .

ويمضي ياريف فى استخفافه ، فيضيف قائلا : « إن العرب يعتمدون بعد ذلك ، على عامل الزمن ، ويقولون إن لديهم الوقت الكافي .. وقد خرج الصليبيون من قبل من البلاد .. » ويعقب الجنرال ياريف على هذه الفكرة التبسيطية الى أبعد الحدود ، بالقول : إن الاسرائيليين يعتمدون أيضاً على عامل الزمن ، ويستفيدون منه أبعد فائدة ، ثم يراهن ياريف على أن العرب سيبقون غير موحدين أمداً طويلا ، وخلال ذلك ، فان أمام الاسرائيليين فرصة كافية لاستخلاص أقصى الفوائد الاستراتيجية من « انتصاراتهم » ! !

وبالطبع ، فإن من السهل دحض هذه الآراء المبسطة ، التى يعرضها علينا عدو ، بل وعدو تاريخى ، ويكفى أن نذكر الجنرال ياريف بحرب عام ١٩٧٣ ، التى هزت الكيان الصهيونى من جذوره ، ويكفى أن نحيله على مذكرات هنري كيسنجر التى نشرها فى مجلة التايم الأمريكية ، والتى قال فيها إن الادارة الأمريكية ، أدركت فى اليوم الثالث للحرب ، أن اسرائيل قد انتهت ، ولم يستطع الأمريكيون أن يشعروا بأن اسرائيل قد وقفت على رجلها ، الا بعد ظهر ذلك اليوم ، ولكن بعد أن أقامت الولايات المتحدة جسراً عسكرياً جوياً بينها وبين اسرائيل ، كانت تصب فيه خمسمائة طن من الأسلحة والذخائر فى الساعة الواحدة ..

لكن على أية حال ، لسنا معنيين هنا بدحض أو مناقشة آراء ياريف هذه ، لأن ياريف هو الذى سيرد على أفكاره الضحلة هذه ، بعد قليل ، وذلك فى ضوء نتائج الغزو الاسرائيلى للبنان ، والصمود البطولى ، بل والأسطورى لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال حصار بيروت فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

وعندما يرد ياريف على ياريف ، يبدو لنا ، أن المأزق الذى وصلت اليه إسرائيل حالياً ، يبدو فى أحد أجلى صوره وأوضحها . فما هى آراء وطروحات ياريف « الحديثة » هذه إذن ؟؟

بعد شهور قليلة من غزو لبنان ، نشر ياريف سلسلة من المقالات التحليلية فى





الجنرال اهارون ياريف ، الذى يطرح أفكارا مستحدثة تعبر عن حالة الإنهاك التى أصابت الجسد الصهيونى

الصحف الاسرائيلية ، « دافار » وغيرها ، اعترف فيها بأن اسرائيل ، بل والحركة الصهيونية معها ، تواجه مأزقاً حقيقياً . يقضي ، بوضع استراتيجية جديدة ، تتلاءم مع المعطيات التى أسفرت عنها عملية الغزو .

ويبدأ ياريف بعرض المأزق على الوجه التالى : هناك ما يتراوح ما بين مليونين الى ثلاثة ملايين فلسطيني (الاحصاءات الأخيرة تشير الى وجود خمسة ملايين فلسطيني فى العالم) ، « ولا تستطيع اسرائيل منع هؤلاء من وصف أنفسهم بالفلسطينيين » . وفى رأي ياريف أن من الغباء أن يتجاهل الاسرائيليون مطالب الفلسطينيين الوطنية ، « لأن من شأن هذا التجاهل أن يلحق الضرر باسرائيل فى نهاية المطاف » . بعد ذلك ، يقفز ياريف فجأة ليعترف ضمناً ، بحق ما للفلسطينيين فى أرضهم « فلسطين » ، فيقول إن الحركة الصهيونية ، اصطدمت « مع الأسف الشديد ! » بالحركة القومية العربية بشكل عام ، وبالحركة الوطنية الفلسطينية بشكل خاص ، وان الصراع التاريخي يقوم بين الاسرائيليين والفلسطينيين على نفس الأرض (فلسطين) ! ثم يعترف الجنرال ياريف ، بأن الصراع يجري فى منطقة تشكل فيها الشعوب العربية ، عنصراً مسيطراً ، وذلك يعني أن الصهيونية تخوض صراعاً ليس ضد الفلسطينيين فحسب ، وإنما ضد شعوب الأمة العربية بأسرها .

ثم ينتقل ياريف فى وضع سيناريو المأزق الاسرائيلي ، فيشير الى يأس ضمني من نجاعة أسلوب الحروب ، للخروج من المأزق ، خاصة وأن اسرائيل قد خاضت خمسة حروب كبيرة حتى الآن ، آخرها الحرب فى لبنان ، وكانت على مدى السنوات الخمس والثلاثين الماضية ، تقف فى حالة استنفار عسكرى متواصل ، ويدها أبداً على الزناد ، لأن القوات العربية التى تفوقها « عدة وعدداً » ، كانت وما تزال تقف فى مواجهة الجيش الاسرائيلي ، متحينة الفرصة للقضاء على اسرائيل ، رافضة التسليم « بوجودها » ، وإزاء ذلك فإن الاستراتيجية الاسرائيلية ، قامت طوال هذه السنوات الطويلة على تعزيز القدرة العسكرية .. بيد أن هذه القدرة لم تكن كافية لتدمير القدرة العسكرية العربية ، حتى فى حرب عام ١٩٦٧ ، التى حققت فيها اسرائيل انتصارا واضحاً وسهلا ، إذ أن العرب تمكنوا بعد سنة ونصف من تلك الحرب من تعويض الخسائر التى لحقت بجيوشهم .. وبمعنى آخر يقول الجنرال ياريف ، إن سلاح القوة والحرب لم يستطع أن يغير شيئاً فى الارادة العربية ، التى تضع أمامها هدفاً ثابتاً هو تحرير فلسطين من الصهيونية .

بقية سيناريو المأزق

أما الفصل المثير فى سيناريو المأزق الذى يرسمه ياريف ، فهو الفصل المتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية .. فهو يشير صراحة الى أن حرب لبنان فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، كان هدفها استباق التطورات ، لمنع قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ويقول : « إنه لولا شن هذه الحرب ، لكانت منظمة التحرير الفلسطينية ، قد طورت أكثر فأكثر ، من كفاءاتها العسكرية وقوتها الدفاعية لاستفزاز اسرائيل وإزعاجها .. وقد فاجأت إسرائيل منظمة التحرير ، وهى فى حالة انتقال من قوات حرب عصابات ، الى قوة منظمة ، ضمن اطارات عسكرية تقليدية ، ولو واصلت المنظمة عملية التغيير ، لكان بامكانها تشكيل قوة دفاعية ، بامكانها عرقلة خطط الجيش الاسرائيلي فى المستقبل ، فى حال شنه حرباً شبيهة بحرب لبنان الأخيرة ، وكان من شأن المنظمة أيضاً ، أن تطور قوة ذات كفاءة هجومية « محدودة » ، تكون قادرة على مساعدة السوريين » .

لكن أهم « اعترافات » الجنرال أهارون ياريف ، إنما جاءت في قوله : « انه من غير الممكن مطلقاً تصفية منظمة التحرير الفلسطينية ، على الرغم من حرب لبنان ، والامكانية الوحيدة التي أتاحتها هذه الحرب إنما كانت « تغييب » المنظمة ، بحيث لم يعد للفدائيين الفلسطينيين حالياً ، حدود مشتركة مع اسرائيل ، ولا قواعد قريباً من الحدود ! ! .

وبعد ذلك كله ، يحذر ياريف ، من أن المواطنين العرب في الأراضي المحتلة ، إضافة الى عرب ١٩٤٨ ، سيشكلون مع نهاية القرن الحالي ، نصف « سكان اسرائيل » ، في حال ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، بسبب ارتفاع نسبة تكاثرهم الطبيعي ، وتقلص هذه النسبة لدى اليهود ، وهذا الواقع يحمل من المعاني ما يكفي للاسرائيليين ، ويحتم عليهم إزاء ذلك ، التقدم نحو حل القضية الفلسطينية .

حل ؟! .. أي حل !!

يتمثل الحل الذي يقترحه الجنرال ياريف ، لاخراج اسرائيل من المأزق الراهن ، وخاصة بعد غزوها « الفاشل » للبنان ، بمبادرة تنطوي على الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، لكنه يسارع الى القول ، إن ما يقترحه بهذا الصدد ، هو لتحاشي قيام دولة فلسطينية ، لأن قيام مثل هذه الدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، من شأنه أن يشكل خطراً قاتلاً على الكيان الصهيوني ، حتى ولو كانت هذه الدولة منزوعة السلاح ، فليس بين الحد الغربي للضفة الغربية والبحر الأبيض المتوسط ، أكثر من عشرة أميال ، وبامكان عملية عسكرية عربية غير متطورة ، أن تشطر اسرائيل الى شطرين أو ثلاثة ،

من هـــو؟

ولد (اللواء) أهارون ياريف في روسيا في عام ١٩٢٠ ، وهاجر الى فلسطين في عام ١٩٣٥ ، إبان فترة الانتداب البريطاني ، وانضم الى عصابة الهاغاناه الصهيونية الارهابية في عام ١٩٣٩ ، وقد خدم ياريف في الجيش البريطاني خلال الفترة ١٩٤١ ـ ١٩٤٦ ، ووصل الى رتبة نقيب ، ثم عاد الى الهاغاناه ثانية ، وفي عام ١٩٤٧ ، عين مساعداً لرئيس أركان الهاغاناه ، ثم نقل الى شعبة العمليات فيها ، وفي شهر أيار (مايو) من عام ١٩٤٨ ، عين نائباً لقائد كتيبة في لواء الكسندروني ، ثم قائداً لكتيبة في لواء كرملي ، واشترك في معارك شمال فلسطين واحتلال مدينة الناصرة . وفي عام ١٩٥٠ توجه الى فرنسا ، حيث التحق بمدرسة الحرب العليا في باريس ، ولدى عودته منها ، عين في عام ١٩٥١ ، رئيساً لأحد فروع قسم العمليات بهيئة الأركان العامة ، ثم رئيساً لطاقم الاعداد ، لانشاء مدرسة القيادة والأركان ، ثم عين أول قائد لهذه المدرسة في عام ١٩٥٤ ، وفي عام ١٩٥٦ ، عين رئيساً لأركان قيادة المنطقة الوسطى ، وفي صيف عام ١٩٥٧ ، عين ملحقاً عسكرياً في الولايات المتحدة وكندا ، وعاد في عام ١٩٦٠ الى فلسطين المحتلة ، ليعين قائداً للواء غولاني ، ثم انتقل الى شعبة الاستخبارات العسكرية في عام ١٩٦١ ، وتسلم فيها عدة مناصب ، وبتاريخ ١-١-١٩٦٤ ، عين رئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وعندما تصاعدت الهجمات الفدائية ضد الأهداف الاسرائيلية والصهيونية في أوائل السبعينيات ، عينته غولدا مائير (رئيسة الحكومة آنذاك) ، مسؤولاً عما وصف « بالمهام الخاصة » ، وهو الاصطلاح الاسرائيلي الذي يشير الى العمليات الارهابية الصهيونية ضد الفلسطينيين والدول العربية ، وقد أنهى أهارون ياريف خدماته في جهاز الاستخبارات الاسرائيلي في أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٢ ، لكي يرشح نفسه لانتخابات الكنيست الصهيوني عن حزب العمل ، ثم استدعي للخدمة عند اندلاع حرب عام ١٩٧٣ ، وبعد انتهاء الحرب ، عين رئيساً للوفد الاسرائيلي الى مفاوضات الكيلو ١٠١ ، والتي انتهت باتفاقية سيناء لفصل القوات مع مصر ، وترك ياريف الجيش ثانية في ١٨-١٢-١٩٧٣ ، ولكن ليعود اليه مرة أخرى في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ ، إبان غزو لبنان ، وبعد ذلك انصرف أهارون الى البحث والتفكير في معطيات الصراع العربي ـ الصهيوني ، فشغل منصب رئيس مركز الابحاث الاستراتيجية بجامعة تل أبيب .

● الصهيونية تخوض صراعا ليس ضد الفلسطينيين فحسب وإنما ضد الأمة العربية بأسرها

وبعدها، تصل القوات العربية، وبسرعة فائقة الى مناطق حيوية، قبل أن يتمكن الجيش الاسرائيلي من تعبئة قواته.

كما يسارع ياريف الى القول، بأن تجربة الحروب السابقة، علمته أن لا يعلق آمالا على الحرب وعلى المجابهة العسكرية، حتى لو حقق الاسرائيليون انتصاراً حاسماً وسريعاً وبثمن ضئيل «لأن الحرب لن تغير شيئاً جوهرياً في الواقع الفلسطيني، وسوف تعود اسرائيل بعد الحرب الى مائدة المفاوضات السياسية، حيث ستواجه ثانية نفس القضية.

وأكثر من ذلك فان ياريف يحذر من أن عدم التقدم الى الأمام في تطبيق ما يسمى «بالحكم الذاتي الفلسطيني» الذي نصت عليه اتفاقية «كامب ديفيد»، سوف يؤدي الى انهيار «مسيرة السلام» مع مصر، كما أن الدول العظمى، وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، المرتبطة بمصالحها في منطقة الشرق الأوسط الفائقة الأهمية بالمنظور الاستراتيجي، قد تتقدم بمبادرة حل للصراع العربي ـ الصهيوني، وهو حل في رأي ياريف سيكون أسوأ بكثير من حل يرى أنه يمكن أن يقوم على أساس التفاوض .. خصوصاً وان اسرائيل تعتمد على الدعم المالي والسلاحي والدبلوماسي الأمريكي في تحقيق «مناعتها»!! يضاف الى ذلك أن علاقات السلطات الاسرائيلية مع المواطنين العرب في الأراضي المحتلة، ستشهد توتراً متصاعداً، وبذلك تكون اسرائيل بسياستها هذه، سبباً في توحيد الدول العربية إن عاجلا أو آجلا، ونشوب حرب جديدة.

إزاء ذلك كله .. يقترح هذا الصهيوني العتيق، حلا للقضية الفلسطينية، هدفه احتواء التطورات التي طرأت على المنطقة، وأهمها النهوض الفلسطيني والعربي المتواصل، رغم النكسات المتتابعة، ويقوم هذا الحل، الذي هو حل ممخرق في نظرنا، على خمسة بنود أو «مبادىء» كما يسميها ياريف وهي:

١ ـ أن يكون تحقيق حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، بصورة مرحلية وتدرجية، بهدف تقليص المخاطر الكامنة في ذلك على اسرائيل، ويمكن أن يكون ما يسمى بالحكم الذاتي، مرحلة من هذه المراحل.

٢ ـ أن تبقى القدس «عاصمة لاسرائيل»!! وأن لا يعاد تقسيمها، أي الاعتراف بضمها نهائياً الى الكيان الصهيوني.

٣ ـ حل قضية اللاجئين الفلسطينيين عن طريق توطينهم خارج فلسطين.

٤ ـ تعديل حدود عام ١٩٦٧، ووضع ترتيبات أمنية أخرى!! كنزع السلاح وانشاء محطات إنذار مبكر، والتسليم بوجود عسكري إسرائيلي في بعض المناطق العربية المحتلة حالياً.

٥ ـ يشترط ياريف أخيراً أن يكون حق تقرير المصير للفلسطينيين مرتبطاً بشكل الزامي بتوقيع ما يسميه «بمعاهدات سلام» مع الدول العربية.

وعلى أساس هذه البنود، يلخص الجنرال ياريف موقفه من المفاوضات مع الفلسطينيين، فيقول إن ما يرمى اليه من جملة الأفكار التي طرح، هو أنه «مستعد لاجراء مفاوضات مع أي هيئة فلسطينية، تقبل بالاعتراف بسيادة اسرائيل، ووقف «الارهاب» والغاء البنود الواردة في الميثاق الوطني الفلسطيني، والتي تتحدث عن ابادة اسرائيل!!».. ثم يفصح ياريف عن نواياه الحقيقية بشكل أكثر تحديداً، حيث يقول إنه لا يريد حلا للقضية الفلسطينية، وإنما «التقدم نحو حل»، ويبرر ذلك بكون الصراع له جذور تاريخية، حيث العرب واليهود يقولون إن لكل منهما الحق في امتلاك فلسطين، لأن الوصول الى الحل المنشود يقتضي السير في طريق طويلة وشاقة!!

هل هناك خلل؟!

لاشك في أن طروحات أهارون ياريف، وهو الذي عمل في قلب المؤسسة العسكرية والمؤسسة الدينية الاسرائيلية، تبدو وكأنها طروحات مستحدثة، لكن هذه الطروحات في الواقع، لا تخرج في كثير أو قليل عن طروحات أركان حزب العمل بزعامة شمعون بيريس، وهي على الرغم من سمة الضبابية التي تغلفها، ومن كونها لا تشكل معطى حقيقياً لأي حل يقبل به الفلسطينيون أو العرب، فانها تبقى في نظرنا، طروحات مهمة، وملفتة للنظر، لأنها تشكل انعطافة رئيسية في الفكر الصهيوني، وهي انعطافة تعبر وتجسد بدورها واقع المأزق الايديولوجي النظري والعملي الذي وصلت اليه الصهيونية، بعد خمسة وثلاثين عاماً من الصراع الدامي والمتواصل، وهي بالتالي تؤشر بقوة على حالة من الانهاك أصابت الجسد الصهيوني، وحالة من البلبلة والتضعضع اعترت فكر المؤسسة الصهيونية في صميمه .. وهذا في رأينا هو الدرس الأهم المستخلص من آراء وطروحات وتنظير الجنرال أهارون ياريف .. أما ما يترتب على العرب أن يفعلوه في حال استيعابهم لهذا الدرس، فنتركه لذكاء القارىء وحصافته.

عصام شريح

هاتان واقعتان حدثتا لى شخصيا رويتهما كما جرتا ردا على من سألنى عن ولع كتاب القصة بخلق المصادفات غير المعقولة التحقق . لست شخصيا ممن يعتمدون على المصادفة فى بناء القصص التى أكتبها ، بل إنى أعتبر الاعتماد عليها نقطة ضعف فى موهبة القاص . إلا أن هذا لا يعني خلو الحياة من غرائب المصادفات ... وما أرويه هنا هو من هذه الغرائب

مصادفات.. ولكنها مذهلة!

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

السيدة هيلين كيكيدو . ولا مانع من ذكر اسمها الصحيح ما دام قد مضى على حادثتى معها ما يقرب من ثلاثين عاما . السيدة هيلين كيكيدو هذه امرأة يونانية الجنسية ، نَصَف فى عمرها ، لا يخلو وجهها من حسن وملاحة . أبرز ما يجذب المتطلع الى محياها عينان سوداوان واسعتان ، عميقتا النظرة . ولا غرو ، فقد كانت الصفة التى تتخذها هذه السيدة ، والمسجلة تحت اسمها فى بطاقة زيارتها ، صفة الوسيطة الروحية ، ميديوم ، بمعنى أنها كانت تمتهن قراءة الأفكار والبحث عن المخبآت والتنبؤ بالمستقبل . بهذه الصفة ، ولهذه المهنة ، كانت السيدة هيلين كيكيدو تنتقل بين مدن العالم الكبرى حين لقيتها فى دمشق ، فى منتصف الخمسينات ، فى فندق سميراميس الذى كنت أنزله كلما أممت العاصمة السورية ، فى تلك الأيام .

كان الوقت شتاء آنذاك . البرد فيه منقطع النظير والثلوج تقطع الدروب بين المدن السورية ، حتى أن رفاق سفرى الذين تأخروا فى الانطلاق من حلب بعدى اضطروا الى البقاء ليلتهم على الطريق بين حمص ودمشق ، إذ غاصت سيارتهم فى أكوام الثلج ولم يتمكنوا من استئناف السفر الا فى الصباح . كان طبيعياً فى ذلك البرد القارس أن أفضل قضاء أغلب أوقاتى فى دفء الفندق ، ولاسيما بعد ما يحل المساء ولا يبقى ما يدعونى الى التجول فى المدينة . وفى بهو الفندق التقيت بالسيدة كيكيدو ، فهى كذلك كانت تقضى أغلب أوقاتها فيه ، تنعم بدفئه وتستقبل قصادها ممن بلغتهم دعايتها فى القدرة على الوساطة الروحية واستطلاع المغيبات .

أذكر الآن كيف أقبلت نزيلة فندقى هذه ، تتبعها سكرتيرتها العجوز التى تلازمها كظلها فى كل خطوة تخطوها ، فى واحدة من تلك الأمسيات ، لتجالسنا فى زاوية من بهو الفندق ، أنا وثلاثة أو أربعة من الزوار من أبناء بلدتى . وأحسب أن اولئك الزوار ، بثيابهم البدوية الغريبة عليها ، هم الذين اجتذبوها الى مجالستنا .

لابد أنها رأت فيهم زبائن مثاليين لمن كان مثلها . أوسعنا لضيفتنا فى المجلس وأصغينا الى حديثها عما يمكن للنفس الانسانية المزودة بقوى فوق الطبيعة أن تجترحه من عجائب . وقمت أنا بترجمة هذا الحديث الى زوارى الذين ما كانوا يفهمون كلمة من لغة السيدة كيكيدو الفرنسية . ويبدو أن تعليقاتى على ما كانت تقوله والابتسامة الخفيفة التى لم تفارق شفتى أوحت الى محدثتنا بأنى قليل الاقتناع بما أسمعه منها ، فقالت لى :

ــ كأنك تشك فى الذى أتكلم عنه .. مع انك تعرف ، بصفتك مثقفاً ، أن تجارب العلماء فى العصر الحديث أثبتت وجود الوقائع الميتابسيكية ، وهى الحوادث النفسية الخارقة التى لا تخضع لقوانين المادة المعروفة .

فقلت ، ودون أن أتخلى عن ابتسامتى الساخرة : من قال يا سيدتى إنى أشك بما تتفضلين به ؟ أنا أؤمن به لأنى شخصياً أملك جانباً من القوة الروحية التى تتكلمين عنها .

قالت : أنت ؟

قلت : نعم . الا أنى لا أستخدم هذه القوة فى ما تستخدمينها أنت فيه . انى أحتفظ بها لنفسى .

قالت : أنت تمزح .. والا فاعطنى الدليل على ما تقول .



كنت أمزح حقاً ، فما كنت أعرف لنفسى أى أثر من القوة التى ادعيتها . ولكنى رأيت أن أسير فى مزاحى الى نهايته ، فقلت لمخاطبتى :

ـ اذا كنت راغبة فى ذلك فعليك أن تتحملى مسؤوليته . أين تقع غرفتك من هذا الفندق يا سيدتى ؟

قالت : فى الطابق الرابع ، ورقمها ٤٠٥ ، أقيم فيها أنا وانجليكا ، معاونتى .

قلت : أما أنا فأقيم فى الطابق الثانى . ما رأيك اذا جعلتكما تهجران طابقكما وتنزلان الى الطابق الثانى قبل انقضاء هذه الليلة ؟

قالت مستغربة : لم ذلك ؟ وكيف ؟
فلم أجب على استفهامها وانما قلت لها : ضعى يدك هنا ..

وكانت فى يدى حلقة مفاتيح بسطت كفى بها فوضعت هى كفها فوقها كما أشرت عليها ، وظلت كذلك لحظات الى أن سحبت كفى من تحت أصابعها . قالت :
ـ وبعد ؟

قلت : وبعد .. ليس لك الا أن تنتظرى ما سيجرى .

ـ وأنا اليوم ، وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً من تلك الأمسية ، لا أدرى كيف قلت ذلك الكلام ولا لماذا تصرفت ذلك التصرف . كل ما أذكره أن سخريتى المرحة استمرت بى فدفعتنى الى هذا وذاك . لم أكن أنتظر على أية حال أن يحدث ما حدث بعد ذلك ، أعنى بعد أن انصرف زوارى وأوى نزلاء الفندق فى تلك الليلة ، المفرطة فى بردها ، كل الى غرفته .

ما حدث كان من البساطة ، ومن الغرابة كذلك ، بمكان كبير . ففى نحو الواحدة بعد منتصف الليل أحسست بباب غرفتى يطرق بعنف . لم تكن العادة أن ينبه موظفو الفندق الكبير زواره بهذه الطريقة .

ولما أسرعت ففتحت الباب فوجئت بصاحبتى الوسيطة الروحية تقف أمامى بثياب نومها ملفوفاً عليها رداؤها المنزلى ، ووراءها تقف ظلها العجوز ، وعلى ملامحهما أمائر الدهشة البالغة . صاحت بى المرأة :

ـ كيف فعلت هذا ؟ كيف فعلته ؟ !
لم أدر عماذا كانت تتحدث مخاطبتى ، فلم أجبها بشيء . وفى هذه الأثناء ، جاء أحد الخدم فأشار للسيدتين يدعوهما الى دخول غرفة مجاورة لغرفتى . سألته عما يجرى فقال :
ـ الأمر بسيط يا سيدى . توقف محرك التدفئة المركزية الرئيسى فى الفندق عن العمل ، فاضطررنا الى أن ننقل نزلاء الطوابق العليا الى غرف الطوابق الدنيا . المحرك الاحتياطى لا يدفىء غير الطابقين الأوليين ، وفى هذا الجو الجليدى لا يقوى أحد على أن ينام فى غرفة دون تدفئة ..

اذن فقد نزلت هيلين كيكيدو ، على رغمها ، من طابقها الرابع الى الطابق الذى فيه غرفتى ، وصح ما أنذرتها به فى أول المساء ! كنت نسيت ، فى الواقع ، انذارى الهازىء ذاك ، ولكن ها إن ما قلته قد تحقق . مجرد مصادفة .. هكذا قلت لنفسى . الا أن السيدة اليونانية ، المتعاملة ليل نهار مع القوى الغيبية والمعطيات الروحية ، تلقت هذه المصادفة تلقياً مغايراً . تبين ذلك فى ملامحها وهى تسألنى كيف فعلت هذا ، مؤمنة بأنى فعلته حقاً . كانت دهشتها أقرب الى الفزع منها الى الاستغراب . وحين ساقتنى أسفارى ، بعد عدة سنين ، الى زيارتها فى منزلها فى أثينا تصحبنى زوجتى ، ودعتنا الى العشاء فى احدى ضواحى العاصمة اليونانية ، راحت تقدمنى الى أصدقائها بوصف الفتى الذى

يملك قدرة روحية تفوق قوتها هي .. قدرة أطفأت المحرك الرئيسي للتدفئة المركزية في أكبر فنادق دمشق لتحقق ما أردته لها من النزول من غرفة في الطابق الرابع الى غرفة في الطابق الثاني من ذلك الفندق !

* * *

في الواقعة التي أوردتها كان الاندهاش الذي بلغ حد الذهول ثم الفزع من نصيب السيدة هيلين كيكيدو ، بينما لم يتعد نصيبي منها السخرية من ايمان تلك السيدة بقدرتي الروحية المزعومة . أما في الواقعة التي سأرويها فكان الاندهاش من نصيبي أنا ، إندهاش لم يبلغ حد الفزع ، وانما لم يخل من قدر كبير من الحيرة والتساؤل .

حدث ذلك منذ سنوات قريبة . حمل البريد لي في عيادتي ذات يوم رسالة في عدة صفحات ، مصدرها مدينة طرطوس على الساحل السوري . كاتب الرسالة شرطي عرفته منذ أعوام حين كان يقوم بوظيفته في بلدتي ، وكنت أخصه ببعض الرعاية عندما كان يحتاج اليها . انقطعت عني أخباره منذ أمد طويل . وها هو الآن يكتب الى ليخبرني خبر حادثة مؤلمة نزلت به . فقد كان هلال ، وهو ذلك الشرطي ، يستقل إحدى سيارات مفرزته حين انقلبت السيارة فتسببت له برضوض وكسور أصبح بعدها غير مؤهل للاستمرار في عمله كشرطي ، فتقرر تسريحه من الوظيفة باحالته على التقاعد . لم يكن هلال يشكو من التسريح أو الاحالة على التقاعد ، بل كانت شكواه من أن رؤساء له ، ولنقص في الشكليات الروتينية ، اعتبروا ما جرى حادثاً عادياً تقع المسؤولية فيه عليه شخصياً ، وليس حادثاً أثناء أداء مهمة رسمية . بهذا الاعتبار يفقد هلاله حقه في التعويض المخصص للاصابات أثناء العمل الرسمي ، ولا يتبقى له من مورد غير راتب التقاعد الهزيل .

لماذا كتب لي هلال بكل هذا ؟ كتبه لأنه علم أن اللواء ش . . وهو المسؤول الذي يملك صلاحية البت في حقه من التعويض ، صديق لي . لذا فانه ، أي هلال ، يرجوني أن أطلب من صديقي اللواء مساعدته بما يؤمن له ولأسرته المؤلفة من أم وزوجة وستة أولاد بعض ما يعينهم على عيش الكفاف .

وحقاً ، كانت لي معرفة وثيقة باللواء ش . . الا أني لم يسبق لي أن سألته أمراً يدخل في نطاق عمله ، عدا عن ثقل رجاء الآخرين على النفس ولو كان المرجو صديقاً حميماً . غير أن رسالة هلال كانت ، على كثرة تفاصيلها وسذاجة لغتها وتعابيرها ، مؤثرة بما تضمنته من وصف لسوء حال كاتبها وللغبن الذي سيلحق به اذا لم ينصف فتعتبر اصابته حادثة أثناء عمله الرسمي . وقر رأيي ، وأنا أدير في بالي أمر هذه الرسالة وصاحبها ، في طريقي الى المنزل بعد أن انتهيت من عملي في عيادتي ، أن أضع الرسالة في مظروف وأرسلها الى صديقي المسؤول الذي يقيم في العاصمة على بعد ستمائة كيلومتر من بلدتي حيث أقيم ، مرفقة ببطاقة مني . ان تأثره بها لن يكون أقل من تأثري أنا . واذا لم يكن قد صدر قرار مخالف في أمر هلال ، فاني أحسب شكواه ستنصف وسينال في النهاية مبتغاه .

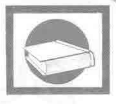
بلغت منزلي على هذا القرار . وما كدت ألج باب الدار حتى قيل لي بأن متكلماً على الهاتف ينتظرني ، فأسرعت لأمسك بالسماعة . وهنا كانت مفاجأة المصادفة التي شدهت لها . كان خاطري مشغولا بالأفكار الدائرة فيه حول هلال ومشكلته ، وحول طريقة الاتصال بالصديق القادر على حل هذه المشكلة . كنت أتساءل متى أرسل الى صديقي الرسالة ومتى يتلقاها ، كيف يتقبلها وماذا يبت بشأنها .. متى ، وكيف ، وماذا ؟ .. واذا بالمتكلم على الهاتف هو صديقي نفسه ، يعلمني بأنه على بعد خطوات مني ، وأنه لأول مرة يغادر مكتبه في العاصمة ليتفقد مصالح دائرته في أنحاء البلاد القصية ، في جولة أوصلته الى بلدتي ، فسارع الى الاتصال بي ليراني ولو لدقائق ، قبل أن يتابع سفره !

إنها مصادفة عفوية ، ولاشك في ذلك . ولكن اقتناعي بعفويتها لم يحررني من الذهول الذي أصابني حين تناهى الى مسمعي هذا الصوت الذي ما كنت أتوقعه ، أو أتوقع أن يكون صاحبه قد قطع مئات الكيلومترات فيصبح بقربي في لحظة كنت أتصوره فيها في مكتبه في العاصمة البعيدة . أهي رحمة الله بالمسكين هلال هي التي فعلت هذا ؟ تجاوزت هذا السؤال الذي طرحته على نفسي وهتفت بصديقي مرحباً وداعياً إياه الى الاسراع الى حيث أنا في انتظاره ، وفي حاجة اليه ..

* * *

هاتان واقعتان حدثتا لي شخصياً ، رويتهما كما جرتا رداً على من سألني عن ولع كتاب القصة بخلق المصادفات غير المعقولة التحقق . لست شخصياً ممن يعتمدون على المصادفة في بناء القصص التي أكتبها ، بل اني أعتبر الاعتماد عليها نقطة ضعف في موهبة القاص . الا أن هذا لا يعني خلو الحياة من غرائب المصادفات ، وأن غرابتها تدفع المرء أحياناً الى تفسيرها بغير ما تقول به قوانين الاحتمالات . يفسرها بادعاء قدرة روحانية خارقة جعلت محرك التدفئة المركزي يتوقف في منتصف ليل الشتاء تحقيقاً لانذاري للسيدة هيلين كيكيدو . أو يفسرها بادعاء كرامة للشرطي المتقاعد ساقت المسؤول عن قضيته الى قطع المسافات الشاسعة كي يتبلغ الرجاء بانصافه . إنها تفسيرات بعيدة عن الصواب . فهاتان الواقعتان ، ووقائع أكثر غرابة منها وادهاشاً ، لا تعدو أن تكون مجرد مصادفات ، وإن كانت مصادفات مذهلة .

عبد السلام العجيلي
الرقة — سوريا



بقلم : الدكتور محمد البهي

الشكر إلى الله

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لتحديد معنى : «الشكر» وجدنا أن شكر الله هو في اتباع هدايته ، وفي الالتزام بالايمان به وبرسالته : فمعناه تطبيقي وعملي ، أكثر منه نطقا وترديدا للفظه .

فصاحب المال والثروة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في المال . وهداية الله في المال أن يكون للآخرين منه نصيب وراء الزكاة ، حسبما يستطيعه صاحبه ، دون أن يلحق عطاءه بِمَنٍّ أو أذى ، ودون أن يشعر صاحب الحاجة بأن مايأخذه هو من مال المعطي ، بل من فضل الله ورزقه : «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون ؟» .

وصاحب العلم أو التوجيه إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في العلم والتوجيه وهداية الله في العلم والتوجيه أن لايكون العلم للرياء ، أو يستخدم وسيلة للشر أو لإقلاق الآخرين وتهديدهم . وأن لايكون التوجيه للاغراء والخداع والإفساد . وإنما يتجه العالم بعلمه ــ في أي موضوع ــ إلى خير الإنسانية ونفعها ، ويتجه الموجه بالتوجيه إلى الحق ، والعدل والمحافظة على حرمات النفس ، والمال ، والعرض .

وصاحب السلطة أو الوظيفة العامة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في السلطة والوظيفة وهداية الله فيهما : في تجنب الطغيان ، والابتزاز ، والاستغلال ، والانحراف عن طريق أية منهما .. في جعل السلطة والوظيفة للخدمة العامة ، ولتيسير الأمر عن من يلتجيء إلى صاحب السلطة ، أو الوظيفة .

والمتولي للقضاء إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في ولاية القضاء . وهداية الله فيه : في التزام العدل المطلق ، حسب الطاقة البشرية ، وتوخي البعد عن إثارة اللجاجة في الخصومة .

والعامل وصاحب العمل إذ يشكران الله يشكرانه باتباع هدايته في العمل . وهداية الله في العمل هي : في الأمانة في أدائه ، وإتقانه من جانب من يباشره ، وفي الوفاء بالأجر ورعاية الرأفة والرحمة من جانب صاحب العمل وتجنب الاستعلاء ، وتأكيد روح الأخوة في الانسانية وفي الايمان بين الطرفين .

وهكذا .. رب الأسرة بالنسبة لأسرته ، وأم الأولاد بالنسبة لأولادها ، إذ يشكر هو الله أو تشكر هي الله فشكر أي منهما في اتباع هداية الله في الأسرة وفي الأولاد . وهداية الله في ذلك هي : في الرعاية والاحسان ، وحسن التهذيب .

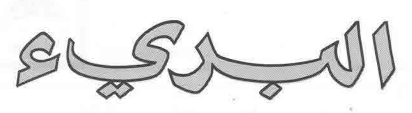
وإذن شكر الله على نعمة ما هو في اتباع هداية الله في هذه النعمة عملا وتطبيقا . نقرأ قول الله تعالى : «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل ، إما شاكرا وإما كفورا» (الإنسان : ٢ ، ٣) .. فالقرآن الكريم يتحدث أولا : عن تركيب الإنسان في خلقه وإعداده . فإذا كان قد خلق من نطفة مختلطة بين الذكر والأنثى ، فإنه قد زود بمدخل العقل والتفكير ، وهو الحواس التي تميز : السمع والبصر من بينها . ثم يتحدث ثانيا : عن أن الله لم يدعه لعقله وتفكيره في شأن الهداية إذ قد تتغلب على عقل الإنسان وتفكيره نزعات الغرائز ــ بحكم تبكيرها في مباشرة أهدافها للمحافظة على بقاء الإنسان ككائن حيواني ــ مما يخل بالتوازن عندئذ : بين العقل .. والغرائز في الإنسان ، ويميل به بالتالي إلى الانحراف ، فالعبث عن طريق الهوى والشهوة . ولذا ..كانت الحاجة إلى هداية الله حاجة ماسة : «إنا هديناه السبيل» عن طريق الرسالة الإلّهية . وموقف الإنسان ــ بعد تزويده بالعقل وبرسالة الله ــ يجب أن يكون موقف الشاكر على نعمة الله الممثلة في : اعداده بالعقل .. وبتزويده بالهداية الإلّهية . وذلك باستخدام العقل فيما خلق له وهو : التفكير السليم ، لصالح الانسان وصالح البشرية ، وباتباع الهداية الإلّهية في مجالاتها المختلفة .

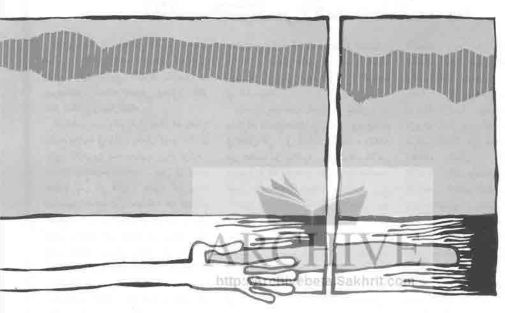
ولكن الإنسان قد لايحس بهذه النعمة المزدوجة فيقف منها موقف الكافر بها . وعندئذ لايلوم إلا نفسه : «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم» (النمل : ٤٠) .

فشكر الإنسان لله إذن هو : في اتباع هداية الله . وهداية الله ستوجه تفكيره ، وسلوكه وعمله ، بحيث لايستهدف بأي منها : سوى الحق والخير والمنفعة العامة ، كما يستهدف تجنب الايذاء والإضرار بالغير .

ولكن هذا الشكر الذي هو اتباع ، أي تطبيق عملي لهداية الله ، قد تحول في حاضر المسلمين إلى لفظ عدم المدلول العملي ، وإلى «شعار» ليس له أثر في حياة الإنسان ..وما أكده الله في قوله : «وإذ تأذن ربكم : لئن شكرتم لأزيدنكم» .. لم يعد ذا صلة بما تحول إليه شكر الله في حاضر المسلمين من شعار . فمهما عبر صاحب شعار الشكر ، ومهما كرره صباح مساء ، فلن تتغير حياته ، ولن يرى فيها مزيدا من فضل الله ونعمته .. ذلك المزيد الذي وعد به هنا ، وهو مزيد الهداية والتوفيق ، والاطمئنان النفسي ، وستر الله .

البريء





امتد الليل غارسا أعمدة راياته فوق سماء الوطن الحزين !
لفظت الطائرات أقدام ووجوه « القادمين » من مختلف محطات العالم .

انتشت الوجوه من عبير الوطن والتقت في لحظة صامتة !

فتل « مفتش الجمارك » شاربيه وتجشأ .. مد يداً غليظة اعترض بها جسداً فارعاً لشاب يلصق حقيبته الوحيدة فوق كتفه ويجر صمته خلفه صرخ به :
ــ قف !

أدار الشاب رأسه وابتسم ...
« صدقني في هذا الزمن الموبوء أعرف كيف أقف وأستطيع أن أردد الطقوس الاجبارية وأن أرفع يدى فيما أعلى رأسي وأرفع قدمي أيضا وأن أكب على وجهي وأسحب إذا كان في المتعة ذلك .. صدقني أعرف كيف يغرس الخنجر في الصدر حتى النخاع .. وكيف يغتال الفرح .. وكيف أستحضر وجه الحبيبة في ليلة مدلهمة وأنا أتكىء على جدار أسود أحلم باشراقة ضياء . »

ــ ماذا تحمل ؟ !
حقيبته أمامه وقبل أن تعبث بها يد « رجل الجمارك » عاد فسحبها ثانية وضمها لصدره وهو يتقهقر للخلف ...
« أحمل وجه طفلي .. وضحكاته وخصلاته السوداء وعينيه الجميلتين وأنشودة فرح مبتورة .. وحزن حبيبتي الغافي فوق الوسادة .. ولون ذوائبها المبتلة تحت المطر وبياض جلدها ودفء مشاعرها .. ورسالة ساقتها الريح إلى فيما وراء البحار تحمل كبرياء طفلة وصدق أحساسها وعينيها الضاحكتين أحمل قساوة أبي عندما كان بامكانه أن يسقط وجوه الصبايا ويعددها بمنزله ويتجشأ وهو يمجد كثرة المال والبنين .. ووجه أمي الغاضب يرفض ذلك التساقط والتعداد ويتهمه بنكران العشرة ويرحل عنه ، مخلفاً وجوهنا وحيدة خائفة تحت هجير ذلك الأب نجثو.. أحمل أيضاً بقايا أوراق .. وأصداء ذكرى . »

ــ لماذا لاتجيب .. أنت إذن متهم .

قصة قصيرة بقلم : كلثم جبر



سحب الحقيبة بعنف من فوق صدره .. يتشبث بها يسقط معها فوق الأرض .. يتثبث بها بقوة ..

« في المرة السابقة كنت أشعر بطعم الخيانة كالعلقم فوق شفتي .. وقفت أمامي وصرخت إنها تملك رجلا آخر غيري ..

كانت عيون طفلنا نائمة وابتسامة حالمة فوق شفتيه . لذا لم أستطع أن أوجه لها صفعة أو حتى كلمة . تحولت الاضاءة بالنفس الجليدية إلى حمراء .. تقوقعت أمام وجه طفلي أحفر بأطراف السرير صامتاً .. بعدها حملت حقيبتي ورحلت .. وقبض على متلبساً بالحزن في أحد مطارات الوطن ..

عندها مد أحدهم كفاً عريضة مماثلة طوق بها ذراعي وجرني مترنحاً بوجعي وصرخ بي .. أنت متهم ! »

شيء حاد ومدبب وبارد يوجه إلى رأسه .. للوهلة الأولى عرف أن أية حركة منه ولو للسماء ستودي بحياته ، لذا تشبث بحقيبته بشراسة .. والكف العريضة تهوى فوق وجهه .. تلقى به فوق أرض باردة بغرفة منعزلة باردة .. وهي تزأر ..

ـ إعترف .. ماذا تحمل ؟ !

تكور .. قنفذ بري فوق الحقيبة يرفض التمدد .. يتعثر بحزنه .. عيناه الشاحبتان معلقتان فوق وجه « رجل الجمارك » يحاول التحدث فيعجز ...

« ثلاثون عاماً منذ أن لفظني رحم أمي وحتى اللحظة وأنا أعترف بأن الوجع هاهنا يسكن الصدر مني والذاكرة .. أعترف أن هجران أمي لأبي غرس بداخلي شتلة الوحدة وأن كف زوجة أبي الراكضة فوق وجهي علمتني معنى الألم .. وأن تعطشي لدفء صدر أمي جعلني لاهثا أبحث عن ذاك الدفء بصدور جميع النساء أعترف .. بأن تمزقي بين غرف كثيرة لايتواجد بها أبي وأمي معاً قد جعل مني صناجاً .. أضرب الأطفال وأسرق لعبهم .. بوهيمياً أخلق لنفسي عالماً لايتواجد الآخرون به أصرخ بين جدرانه وأغني وأسقط وجوه النساء به كأبي ولكن دون قسيمة شرعية .. أعترف بعد كل هذا أن جميع النساء اللواتي حببتهن بصدق قد هجرنني وأن من أحبني قد هجرته .. واني قد بت وحيداء جافا كأعواد النخل الباسقة أعانق آلة موسيقية بليالي الشتاء الباردة لأعزف عذابي وأنثر الألوان المتراكمة بداخلي فوق الورق فأخرج برؤى بوهيمية تمتلىء بها غرفتي الصامتة .. أعترف بعد هذا أني حزين حتى الموت ! »

كان بوجهه الشاحب عدة كدمات .. سحب قدميه المتورمتين وذراعه الملتوية وحقيبته بعد أن فتشت من قبل « رجال الجمارك » !

كان بها صورة لامرأة تسكن المدن الباردة ، ووجه طفل تمازجت تقاطيعه بين المطر والصهد فحمل وجهاً رائعاً بابتسامة جميلة .. ورسالة بأقصى الحقيبة تقبع ، وأوراق بيضاء ، وأقلام سوداء وملونة وريشة . دفعته الكف العريضة خارجاً .. حمل جسده النحيل وحقيبته الوحيدة وصدى صوت أجش يلاحقه « لرجل الجمارك » :

ـ أنت بريء .

آخر المرافئ

يحلو للسندباد الطواف في الشوارع بغير غاية ، وينتشي بالاحساس أنه غيمة تسوقها الريح من أرض الى أرض ، ولكنه خشي من ثيابه العتيقة أن تقوده الى أحد السجون بتهمة التشرد أو التسول ، فقصد مقهى اعتاد التردد إليه ، وانضم الى ثلاثة من أصدقائه كانوا منهمكين في التحدث بحماسة عن أفلام الممثلة المصرية نادية الجندي بوصفها الوريثة العربية الوحيدة لسيمون دي بوفوار.

وقد تنبه الأصدقاء الثلاثة الى أن السندباد صامت واجم مكتئب لايشاركهم في الحديث ، فقال له أحدهم بفضول : « مابك عابس الوجه لاتتكلم؟ » .

فقال السندباد : « ما هذا السؤال؟ وجهي منذ ولادتي عابس » .

فقال صديق آخر : « لن تنجح في خداعنا . هيا تكلم وحدثنا بما يحزنك حتى نستطيع أن نواسيك . هل تصدق بأن من يراك يعتقد أنك كنت قبل دقائق تشاهد دفن أعز الناس لديك ؟ » .

فتنهد السندباد بأسى ، وقال : « أف ! لقد مللت الاقامة بهذه البلاد ، وقررت أن أسافر » .

فقوبل كلامه بالدهشة ، وقيل له : « ولكنك قبل أعوام أقسمت ألا تسافر وأن تقيم ببلدك حتى يوم مماتك » .

قال السندباد : « ما يدفعني الى أن أحنث في قسمي ليس سببه في هذه المرة الحنين الى السفر لرؤية عوالم جديدة ، بل أنا أرغب في السفر كي أهرب » .

فبوغت الأصدقاء الثلاثة ، وتعالت صيحاتهم المتسائلة المتعجبة :

« ـ ممن تهرب ؟ » .

« ـ أسرقت مصرفاً ؟ » .

« ـ هل صرت واحداً من أصحاب المبادىء الهدامة ؟ » .

« ـ ألك عدو ينوى قتلك ومن هو ؟ » .

« ـ هل ارتكبت جريمة توشك أن تفتضح ؟ » .

« ـ هل ازداد عدد دائنيك ، وباتوا يطاردونك ليل نهار وفي كل مكان ؟ » .

فتأمل السندباد أصدقاءه ، كأنه يراهم أول مرة في حياته ، ثم قال لهم بصوت حانق مفعم بسخرية مرة : « أنتم بالتأكيد عميان بلا قلوب وعقول . والا لما سألتم مثل هذه الأسئلة الغبية الساذجة التي تدل على جهل بالأسباب التي تدفعني الى الهرب ، وهي أسباب واضحة وضوح الشمس » .

فاغتاظ أصدقاؤه من كلامه ، وهموا بالرد عليه ، ولكن السندباد سارع الى القول لهم : « أنا لم أقصد الاساءة اليكم أو المس بكرامتكم ، ولكنى أطالبكم فقط بألا تتجاهلوا ما يجرى حولكم . هل هذه العيشة التى نعيشها تليق بانسان من لحم ودم ؟ الناس يتقاتلون على القمامة ، وكل شيء للبيع وذو ثمن محدد ، وحتى الانسان يباع بأبخس الأسعار ولا يجد من يرحب بشرائه ، فالمعروض أكثر من المطلوب . كل شيء يتردى ويتدهور . فالأب يتنكر لأبنائه ، والأبناء يعاملون آباءهم كأنهم خصوم ألداء ، والزوجة تستشهد في سبيل زوجها اذا كان قرداً ثرياً ، وتهمله اذا كان فقيراً ولا تأبه له حتى اذا كان مالكاً لكل فضائل الدنيا ، والرجال نساء والنساء رجال ، والصدق مفقود محتقر ، والكذب مبجل ، والدعي يحتل كرسي الأصيل ، والأصيل منبوذ مهان تطارده الكلاب ، والدم العربي يسفك كل يوم ولا منتقم له ، والأخ يقتل أخاه اذا كان سيفوز بفردة حذاء ، والفاسد له الصدارة والتمجيد ، والصالح يعامل كأنه قاتل أمه ، والصديق وقت الضيق لا وجود له الا في الحكايات الكاذبة التى تروى للأطفال » .

فحملق اليه أصدقاؤه بريبة ، واتهموه بالتشاؤم وتناسى انتصارات الشعوب ، ونصحوه بالذهاب سريعاً الى طبيب نفساني ، ولكن السندباد ظل مصمماً على السفر ، ورحل في أول سفينة أتت الى ميناء البلد الذى يعيش فيه .

ولما سارت السفينة تمخر عباب البحر ، ضحك السندباد ضحكاً مرحاً ، واستنشق الهواء بنهم من كان سجيناً تحت الأرض طوال أعوام .

وفي ليلة من الليالي ، هبت عاصفة ضارية ، وحطمت السفينة ، ووجد السندباد نفسه وسط بحر هائج الأمواج ، وأيقن أنه هالك لا محالة ، وصرخ مرعوباً مستغيثاً ، وحاول السباحة ، ولكن البحر بدا له قبراً يتسع لملايين من الرجال والنساء والأطفال والأبنية ، فأذعن له ، وكف عن المقاومة .

وفجأة اصطدم بجسمه لوح خشبي من ألواح السفينة المحطمة ، فتشبث به ، وحمله الموج ، وألقاه على شاطىء رملي كومة من اللحم المرهق ، فلم يحاول السندباد النهوض ، انما أغمض عينيه



خواطر تسر الخاطر

بقلم: زكريا تامر

واستسلم للنوم العميق .

وصحا السندباد من نومه على ضياء شمس حارة وصوت يقول مستغرباً : « ما هذا الشيء ؟ » .

ثم سمع الصوت نفسه يقول : « لابد من أنه حيوان ميت من حيوانات البحر الغريبة قذفت به الأمواج في الليل الى شاطىء جزيرتنا » .

ففتح السندباد عينيه ، فرأى حماراً يقف قربه ، فتطلع فيما حوله ، وصاح : « من الذى كان يتكلم ؟ » .

قال الحمار : « أنا الذى كنت أتكلم » .

فشهق السندباد متعجباً ، وصاح : « حمار يتكلم اللغة العربية الفصحى ؟! كأني في منام ! هذا شيء لا يصدق ! » .

فقال الحمار باستياء : « ما لا يصدق هو أن تستطيع أنت أن تتكلم كما أتكلم أنا » .

قال السندباد : « أين أنا ؟ » .

قال الحمار : « أنت فى جزيرة الحمير » .

قال السندباد : « ما هذا الاسم الفكاهي الغريب ؟ أنا لم أسمع به من قبل » .

قال الحمار باعتداد : « لا أحد يعيش فى هذه الجزيرة الا الحمير » .

قال السندباد : « وهل الحمير كلها هنا قادرة على أن تتكلم كما تتكلم أنت ؟ » .

فهز الحمار رأسه بالايجاب ، وشرع فى التحديق الى السندباد بنظرات متفحصة ، ثم سأله : « من أنت ؟ لقد صرت عجوزاً ولم أشاهد فى حياتى كلها مخلوقاً مثلك » .

قال السندباد مدهوشاً : « ماذا تقول ؟ ألم تعرفني ؟ أنا الانسان الذى تقول الكتب عني إني أثمن رأس مال ، وأوصف بأني سيد الأرض » .

فقال الحمار بنزق : « كن مؤدباً . لا سيد هنا الا الحمير » .

قال السندباد ضاحكاً : « ولكن الأمر في أماكن أخرى من العالم يختلف عن جزيرتكم » .

فقال الحمار بلهجة تهديد : « هيا امش معي » .

قال السندباد : « هل هزل الزمان الى حد أني أتلقى الأوامر من حمار ؟ » .

قال الحمار غاضباً : « اسمع . سأرفسك بقوة اذا لم تطعنى . وتكفى صيحة مني حتى تتجمع حولك حمير لايحصى عددها وتلقنك درسا لاتنساه » .

ففكر السندباد لحظات . ثم قال للحمار : « أنا متعب . فدعني أركب على ظهرك » .

قال الحمار باستنكار : « ماذا أسمع ؟! أتريد الركوب على ظهري ؟ » .

قال السندباد : « ولماذا تستغرب؟ ما طلبته منك تقوم به الحمير يومياً فى بلادنا » .

فقال الحمار بازدراء : « لابد من أن الحمير فى بلادكم ذليلة أو بلهاء » .

قال السندباد : « والى أين ستأخذنى ؟ الى رئيسك ؟ » .

قال الحمار بلهجة من أهين إهانة بالغة : « لا رئيس لي . كل حمار هو رئيس نفسه . قل لي : ما الفائدة فى الرئيس وهل وجوده ضروري ؟ » .

قال السندباد : « مهمته بالغة الأهمية وهى الاشراف على البلاد وتطبيق القوانين ، واذا تنازع اثنان كان الحكم بينهما » .

فقال الحمار بهزء : « نحن لا نحتاج الى رئيس وقوانين . ولا سبب يدفعنا الى النزاع والاختلاف . فمن يجع فالعشب موجود بكثرة وفى مقدوره أن يأكل منه حتى يشبع ، ومن يعطش فالماء العذب غزير ويشرب منه حتى يرتوي . ومن يرغب فى النوم فالأرض واسعة » .

قال السندباد : « إذن الى أين تريد أن تأخذني » .

قال الحمار : « سآخذك الى حيث تعيش الحمير لتراك . ولا أعتقد أن حماراً من حمير جزيرتنا قد رأى مخلوقاً مثلك » .

فخضع السندباد لمشيئة الحمار ، ورافقه الى سهل كثير العشب والماء والشجر ، وتحتشد فيه أعداد عظيمة من الحمير .

وما أن رأت الحمير السندباد حتى تحلقت حوله ، وراحت تحدق اليه بنظرات ساخرة . فأحس السندباد بأن نظرات الحمير لا تهينه وحده بل تهين بني البشر أجمعين ، فصاح : « أنا أحتج على هذه المعاملة غير اللائقة . لماذا تتفحصوني كأني ذبابة أو جرادة أو ضفدعة ؟ ينبغي لكم أن تحترموني . فأنا واحد من الجنس البشرى الذى حول الأرض من أدغال للوحوش الى مدن زاخرة بالرقي والحضارة . ولتعلموا أن البلاد التى جئت منها بلاد عظيمة ولا تقارن بجزيرتكم هذه التافهة » .

فقال حمار من الحمير للسندباد : « مادمت تتباهى ببلادك فما الذي يوجد فيها ولا يوجد لدينا ؟ » .

قال السندباد : « وما الذى يوجد فى جزيرتكم غير العشب والماء والشجر ؟ فى بلادي عندنا عشب وماء وشجر ، وعندنا ايضاً بيوت للأحياء ومقابر للموتى . عندنا برلمانات وانتخابات وصحف ومجلات وكتب واذاعات وتليفزيونات . عندنا مدارس وجامعات وملاعب رياضية . عندنا أدباء وكهرباء وشوارع ودساتير وحدود بين الدول . عندنا جيوش وأسلحة من مختلف الأنواع . عندنا مركبات فضائية ورجال مشت أقدامهم على أرض القمر . عندنا سيارات وطائرات وثلاجات وثورات وانقلابات .. »

فهيمن سكون غريب على الحمير ، فتأملها السندباد بنظرات مزهوة .

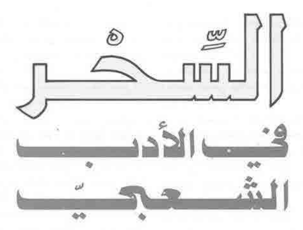
وفجأة قال أحد الحمير : « يجب أن نعترف بأنه لا وجود فى جزيرتنا لشيء مما ذكرت ، ولكن هل أنتم سعداء ؟ » .

ففوجيء السندباد بالسؤال ، وأحنى رأسه ، وفكر طويلا متجهم الوجه ، وطغت عليه رغبة حارة فى النحيب ، ووجد نفسه يصيح بصوت متهدج : « كاذباً سأكون اذا قلت لكم إننا سعداء ولم أقل إننا تعساء بائسون » .

فقال له الحمار نفسه متسائلا : « أي فائدة فى امتلاك أشياء لا تسعد ؟ » .

فخجل السندباد ، ولم يفه بكلمة .

وفيما بعد ، بحث السندباد عن وسيلة تمكنه من الهرب من جزيرة الحمير ، فأخفق ، واضطر الى العيش فيها ، وتحمل الكثير من سخرية الحمير ، فهو يفكر ويمشي على قدمين وصوته ليس بالمنكسر ، ولكنه شيئاً فشيئاً حقق ما عزم عليه ، فصار لا يفكر الا فى التهام العشب الأخضر الطازج ، وبات يمشي على أربع وينهق ويرقص ، فظفر باحترام الحمير ، وعاش سعيداً ، وتخلى عن التفكير فى الفرار .



السِّحْر في الأدب الشعبيّ

• السحر هو رمز الشر في القصص الشعبية .. ويقاومه – دائما – الانسان الطيب ويحاول إحباطه ، لأن الخير أقوى من الشر في النهاية !

بقلم : عباس خضر

يقوم بناء كثير من القصص الشعبية على السحر ، وخاصة فى حكايات ألف ليلة وليلة ، وهو فى الغالب يأخذ جانب الشر ، وتأخذ مقاومته وإحباطه جانب الخير . وأقول فى الغالب لأنه فى بعض القصص يكون جزاء الشر ، ويكون المسحور على أية حال كلباً أو بغلا أو حماراً أو قرداً أو غير ذلك من الحيوان .

وفى حكايات ألف ليلة صيغة تحتل ظاهرة ، هى أن يدخل الرجل بالحيوان المسحور على ابنته فى المنزل ، فتغطى البنت وجهها وتعتب على أبيها أن يدخل عليها رجلا غريباً .. ويتبين من الحوار أصل رجل مسحور .. ويتبين كذلك أن البنت تعلمت السحر من امرأة عجوز صادفتها فى حياتها ، فأخذت عنها وحذقت فنها . فيطلب الأب من ابنته أن تعيد المسحور الى حالته البشرية ، فتأخذ طاسة وتضع فيها ماء ، وترش به وجه المسحور ، وتقول له : عد الى صورتك الأولى ، فيعود .

والذى سحر الانسان قد يكون إنساناً ساحراً ، أو واحداً من الجن ، وقد يكون هذا مؤمناً مسلماً ، ويكون سحره عقاباً للمسحور لما أتاه من شر ، وقد يكون الجنى الساحر غير ذلك ويكون الباعث له أن الآدمي رمى شيئاً فأصاب ابن الجنى فقتله أو فقأ عينه ، وأهون الانتقام أن يسحر الجان الآدمي الى صورة حيوان ولا يقتله .

ومعنا الآن أديب قرد .. لا قرد أديب ، فهو انسان فى الأصل ، وصفة « القردية » طرأت عليه بفعل مارد من كفرة الجن .

وبما أن صاحبنا أديب فلندعه يقص علينا قصته التى « لوكتبت بالإبر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر » كما قال فى البدء ، وأردف يحكى :

قرأت القرآن ، وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم ، وقرأت علم النجوم ، وشعر الشعراء ، واجتهدت فى ذلك حتى فقت أهل زمانى ، وذاع صيتى فى سائر الأقاليم والبلدان ، وسمع بى ملك الهند ، فأرسل الى أبى يطلب زيارتى له ، فأنا ابن ملك ، وأرسل اليه هدايا مما يتبادله الملوك .

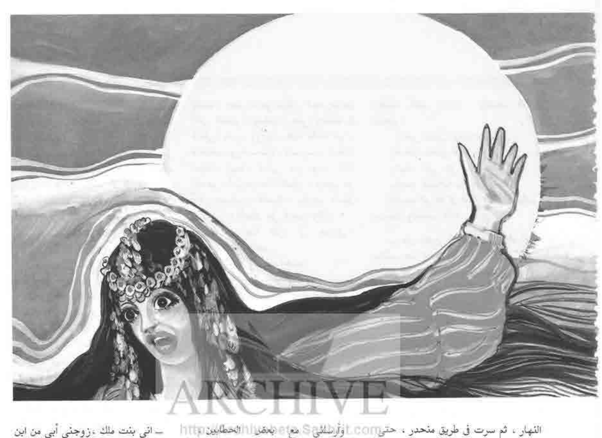
جهزنى أبى فى ستة مراكب ، وسرنا فى البحر شهراً كاملا ، حتى وصلنا الى البر ، وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب ، وجمالا حملناها الهدايا .

مشينا قليلا ، واذا غبار علا وثار حتى سد الأقطار ، ثم انكشف عن ستين فارساً عبوساً ، فتأملناهم ، فاذا هم قطاع طريق .. شدوا علينا ، فأشرنا إليهم قائلين :

ــ نحن رسل الى ملك الهند المعظم ، فلا تؤذونا .

ــ لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه .

قتلوا بعض من كانوا فى صحبتى ، وفر الباقون ، ونجوت أنا بعد أن جرحت جرحاً بليغاً ، وساعدنى على الهرب انشغال اللصوص بالمال . سرت لا أدرى أين أذهب ، الى أن أتيت رأس جبل ، ورأيت مغارة ، فدخلت فيها ، ومكثت حتى طلع



النهار ، ثم سرت فى طريق منحدر ، حتى بلغت مدينة عامرة ، ففرحت بوصولى اليها ، واضطربت فى طرقاتها . رأيت خياطاً فى دكان ، فسلمت عليه ؛ فرد على السلام ، ودعانى الى الجلوس مرحباً بى ، وأحضر لى طعاما ، فأكلت وأكل معى . أخلى لى محلا فى حانوته ، وأتانى بما أحتاج اليه من فراش وغطاء ، وأقمت عنده ثلاثة ايام ، ثم قال لى :

ــ أما تعرف صنعة تكتسب بها ؟

ــ انى طالب علم وكاتب حاسب .

ــ إن صناعتك فى بلادنا كاسدة ، وأهل مدينتنا لا يشغلهم غير المال .

الصبية والجنى

سكت الخياط قليلا يفكر . ثم قال :

ــ شد الحزام على وسطك . وخذ فأساً وحبلا ، واحتطب من البرية حطباً تتقوت به الى أن يفرج الله عليك .

وأرسلنى مع بعض الحطابين ، وأوصاهم بى . فخرجت معهم واحتطبت ، وعدت أحمل حطباً وأبيعه ، حتى كان يوم وأنا فى طريقى الى البرية ، رأيت خميلة وأشجاراً فيها حطب كثير . وبينما كنت أهوى بالفأس على عود من الحطب سمعت رنينا من وقع الفأس . فحفرت فى الموضع ، وأزلت التراب ، واذا حلقة من نحاس شددتها ، فبان تحتها سلم فنزلت الى أسفل السلم ، فرأيت باباً ، فدخلت منه ، فرأيت صبية كالدرة السنية ، تنفى عن القلب كل هم وغم ، نظرت الى وقالت :

ــ أأنت إنسى أم جنى ؟

ــ أنا إنسى .

ــ من أوصلك الى هذا المكان ؟ انى هنا منذ سنين لم أر فيها إنسياً قط .

ــ يا سيدتى أوصلنى الله . ولعله يزيل همى وحزنى .

وحكيت لها ما جرى لى ، وسألتها عن حالها ، فقالت :

ــ انى بنت ملك ، زوجنى أبى من ابن عمى ، وليلة الزفاف اختطفنى عفريت وطار بى حتى أنزلنى فى هذا المكان ، ونقل إلى كل ما أحتاجه من طعام وشراب وثياب . وهو يجيئنى كل عشرة أيام ، فيبيت ليلة ثم يمضى ، وقال لى : اذا احتجت الى أى شىء فالمسى هذين السطرين المكتوبين على القبة ، فأكون عندك فى الحال . وقد كان هنا منذ أربعة أيام ، فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ، ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم ؟ فوافقت فرحا ، وزال عنى همى وكربى .

قضيت معها أوقاتاً طيبة ، ثم قلت لها :

ــ هل أريحك من هذا الجنى ؟

ــ اقنع واسكت ، حتى لا تعانى شر الوبال .

غلب على الغرام ، ولم ألتفت لتحذيرها ، وهجمت على النقش المكتوب مزمعاً أن أقتل العفريت بالفأس اذا حضر .

قالت فزعة :

ــ ها هو ذا قد حضر .. أما حذرتك ؟ انج بنفسك .

هربت ، ومن شدة خوفي نسيت نعلي وفأسي ، ولما صعدت درجتين التفت لأنظرهما ، فرأيت الأرض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع .. نظر هو يميناً وشمالا ، فرأى النعل والفأس ، وقال :

ــ ما هذا الا متاع إنسي .. من جاء اليك ؟

لما وصلت الى سطح الأرض جريت حتى وصلت الى صاحبي الخياط ، فقال لي :

ــ أين كنت ؟ قد قلقت لغيابك .

شكرته وحاولت أن أطمئنه وإن كنت في حاجة الى الاطمئنان . دخلت خلوتي وأنا أفكر في بلوتي ، وبعد برهة دخل الخياط على وقال لي :

ــ في الخارج شخص يطلبك ومعه نعلك وفأسك .

اصفر لوني وتغير حالي ، ولم يمهلني العفريت ، بل خطفني وطار بي ، ثم انزلني في ذلك الموضع عند الصبية ، فرأيتها والدم يسيل منها ، وقال لها :

ــ ها أنا جئت بمن كان معك ..

فنظرت الى وقالت : لا أعرفه ، فقال لها : إن كنت لا تعرفينه حقاً فخذى هذا السيف واضربي عنقه .. فأبت ، فضربها بالسيف وأطار رأسها .. ثم التفت الى وقال :

ــ إنني لم أتحقق أنك خنتني فيها ، فلا أقتلك ، ولكن لابد أن ألحق بك أى أذى ، سأسحرك ، فاختر أية صورة تكون عليها .. صورة كلب أو حمار أو قرد . فرجوته أن يعفو عني دون فائدة ، أخذني وطار بي حتى أنزلني على جبل ، وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وقذفني به قائلا :

ــ اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد .

لما رأيت نفسي على صورة القرد بكيت ، وصبرت على بلواي . انحدرت من أعلى الجبل ، ومشيت حتى وصلت إلى شاطىء بحر ، ورأيت سفينة تقصد البر ، فاختفيت وراء صخرة ، فلما رست السفينة تسللت إليها ، فرآني من بها ، وقال أحدهم : أخرجوا هذا المشئوم ، وهجم على آخر بسيف ، فأمسكت بطرف السيف وبكيت .. فأشفق على الريس وقال :

ــ ان هذا القرد في جواري ، فلا يتعرض له أحد .

فلذت به وصرت أخدمه .

كتبت شعراً

طاب الريح للسفينة ، فسارت خمسين يوماً ، ثم رست بنا على مدينة عظيمة عامرة بالسكان . استقبلنا هناك ناس كثيرون من أهل المدينة . وبعد برهة أرسل الينا ملكها بدفتر من الورق ليكتب فيه كل واحد اسمه ، فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدفتر من أيديهم ، فنهروني وأرادوا قتلي ، فأشرت لهم أني أكتب ، وقال لهم الريس : دعوه يكتب ، انى ما رأيت قرداً أذكى منه .

كتبت في الدفتر أبياتاً من الشعر مدحت بها الملك ، كتبتها بخط جميل ، لما رآه الملك عند ما أعيد الدفتر اليه انبهر به وقال :

ــ أحضروا صاحب هذا الخط والشعر ، ألبسوه حلة وأركبوه بغلة .

فتبسم الحاضرون ، فغضب الملك وقال لهم :

ــ كيف آمركم بأمر وتضحكون .. ؟

ــ أيها الملك معاذ الله أن نضحك من كلامك ، إن الذى كتب هذا قرد ..

ــ عجباً ! أحضروه الى في الحال .

ألبسوني الحلة ، وأركبوني بغلة وصار الناس يتعجبون ويتفرجون على في الطريق ، حتى وصلنا الى الملك ، فأمرني بالجلوس ، ودعا بالطعام ، فجلست وأكلت ، ثم أخذت القلم والدواة ، وكتبت هذين البيتين :

أناجر الضأن ترياق من العلل
وأصحن الحلو فيها منتهى أملي
يالهف قلبي على مد السماط اذا
ماجت كنافته بالسمن والعسل

وقدمت الورقة الى الملك ، فقرأ البيتين وضحك وتعجب قائلا :

ــ هل يكون قرد ، بهذه الفصاحة ويكتب هذا الخط الجميل !

ثم قال الملك للخادم (الطواشي) :

ــ اذهب الى سيدتك وادعها ، كي تتفرج على هذا القردالعجيب .

أقبلت بنت الملك ، فلما رأتني غطت وجهها وقالت :

ــ يا أبي ، كيف خطر لك أن ترسل الى ويراني رجل غريب .. ؟

ــ أين هو الرجل الغريب ؟

أشارت الى وقالت :

ــ هــذا ..

ــ . . . .

ــ هذا القرد ابن ملك ، واسم أبيه « إيمار » صاحب جزائر الأبنوس الداخلة ، وهو مسحور ، سحره عفريت من ذرية ابليس ، هذا رجل عالم أديب ..

فنظر إلى الملك متعجباً :

ــ أحقاً ما تقول عنك ؟

فقلت برأسي : نعم ، وبكيت ، فقال الملك لابنته :

ــ كيف عرفت أنه مسحور ؟

ــ يا أبت ، أتذكر تلك العجوز « أم الدواهي » التى ربتني وأنا صغيرة ؟

ــ نعم أذكرها رحمها الله .

ــ علمتني أم الدواهي صناعة السحر ، فأتقنتها .

ــ بحق اسم الله عليك أن تخلصي هذا الشاب الظريف اللبيب .

ــ حباً وكرامة .

معركة سحرية

وأخذت بنت الملك سكينا ، وخطت بها دائرة ، وكتبت بعض الكلمات وقرأت كلاما لايفهم . وبعد ساعة أظلم الجو ، وإذا العفريت قد تدلى علينا في أقبح صورة ، ففزعنا منه . فقالت له بنت الملك :

ـ لا أهلا بك ولا سهلا .

قال العفريت وهو يزمجر :

ـ ياخائنة ، لماذا خنت العهد أما تحالفنا على أنه لايتعرض أحد منا للآخر ؟

ـ ياملعون ، وهل لك عهد ؟

انقلب العفريت إلى أسد ، وفتح فاه ، وهجم على الصبية ، فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها ، وهمهمت بشفتيها ، فصارت الشعرة سيفا ، شرعت تضرب به ذلك الأسد ، فتحول إلى عقرب ، وانقلبت الصبية إلى حية عظيمة ، وهجمت على العقرب .. وتقاتلا قتالا شديدا ، ثم انقلب العقرب عقاباً ، فانقلبت الحية نسرا ، وصارت وراء العقاب ، ثم انقلب العقاب قطا أسود ، فانقلبت الصبية ذئبا ، وتشاحنا ساعة ، فرأى القط نفسه مغلوبا ، فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ، فقصدها الذئب ، فارتفعت في الهواء ، ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وتناثر الحب ، فانقلب ذلك الذئب ديكا ، ليلتقط الحب حتى أتى عليه ، لم يترك منه إلا حبة واحدة ، اختفت في ناحية ، فجعل الديك يبحث عنها حتى وجدها ، فانقض عليها ليلتقطها ، ولكن الحبة قفزت وتحولت إلى سمكة ، فانقلب الديك حوتا كبيرا وحاول التهام السمكة ..

ثم سمعنا صراخا عاليا ، فارتجفنا ، وإذا العفريت شعلة من نار ، وكذلك صارت الصبية نارا . وما نشعر إلا والعفريت ينفخ في وجوهنا بالنار ، فلحقت به الصبية ، ونفخت في وجهه بالنار أيضا . أما شررها فلم يؤذنا ، وأما شرره فلحقتني منه شرارة في عيني فأتلفتها ، واشتد علينا الكرب ، وإذا صوت يرتفع :

الله أكبر ... الله أكبر ، قد فتح ونصر ، وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر . وإذا القائل بنت الملك وقد أحرقت العفريت وصيرته رمادا .

بعد ذلك طلبت الصبية طاسة بها ماء ، تكلمت عليها بكلام لا نفهمه ، ثم رشتني بالماء وقالت :

ـ بحق الحق ، وبحق اسم الله الأعظم ، عد إلى صورتك الأولى . فصرت بشرا كما كنت .

أمام الرشيد

كان أديبنا الذي سحر قردا ثم عاد إلى بشريته يحكي حكايته أمام هارون الرشيد ، وقد أتمها بسرد السبب في خروجه من مدينة ذلك الملك بعد موت ابنته الساحرة ، مما لانطيل بذكره ، وكان من ثلاثة عور صادفهما الخليفة في جولة من جولاته ببغداد وبصحبته الوزير جعفر البرمكي ، يتفقد أحوال الرعية في ليلة من الليالي التي يأرق فيها ، فيدعو الوزير ويطوفان هنا وهناك ، وقد يكون معهما مسرور السياف .

سمع الرشيد حكاية صاحبنا ، ثم حكاية الأعورين الآخرين ، وزوج الثلاثة من ثلاث جوار ، وعينهم حجابا في قصر الخلافة ، وأمر أن تكتب هذه الحكايات وتحفظ في خزانته لتبقى على مر الزمان .

وبعد فإن المعركة بين بنت الملك والعفريت كانت معركة ضارية ، انتصر فيها الإنس على الجن ، على الرغم من كونه جنا .. لأن الخير أقوى من الشر في النهاية ، مهما أمهل الله للشر ، فإنه إذا أخذه لم يفلته . والقتال نجده في الأدب الشعبي غالبا بين الانسان وقوى الشر الأخرى ، فإذا كان بين الإنسان والإنسان فإن المهزوم في الآخر أصله خارج عن الإنسانية ، فاستحق مانزل به .

وذلك على خلاف ما يحدث في عصرنا هذا ، إذ نرى الناس يتقاتلون ، لا تدري أيهم على حق وأيهم على باطل ، وإن أمعنت النظر رأيت الجميع على باطل ، لأن النزاع على السلطة ، فهو قتال سياسي يحاول التلون بلون يخدع المقاتلين .. وما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته ، نسأل الله السلامة والسلام .

عباس خضر





• ماذا قال لي عندما التقيت به قبل وفاته بخمس سنوات ؟

• نماذج من شعره الذي أخفاه عن الناس فلم يعرفوه إلا ناقداً ومفكراً وكاتب قصة .

بقلم : الدكتور نبيل سليم

في الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٣ احتسب الأدب العربي عميده ، وطوى الموت فيه شخصية فذة ، ربما كانت أعمق الشخصيات العربية المثقفة أثراً في جيلنا هذا ، وأحسب أن أثرها سيظل باقياً لعدة أجيال .

تلك هي شخصية أستاذنا الدكتور « طه حسين » ذلك الرجل الذي خرج من أعماق القرية المصرية ليعلن للعالم كله ، ما في أرضنا العربية من خصوبة ، يمكن أن تستجيب لنداء المعرفة بحيث تقتحم السدود وتحطم العوائق في سبيل الوصول الى ثمارها الطيبة . فلا يقعد بها النقص الجسدي ، ولا العجز المادي ولا يقف أمامها جدار من جدران الجهل ، ولا سور من أسوار الاستبداد عن بلوغ هذا الهدف النبيل .

ولقد عرفت المرحوم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي معرفة لقاء قبل وفاته بنحو خمس سنوات وإن كنت قد عرفته قارئاً منذ أكثر من عشرين عاما .

وفي أول لقاء مع العميد الراحل كانت تغمرني هيبة الإجلال لهذا العبقري الذي شق طريقه بين الصخور في عزم لا يعرف الوهن وارادة تزيدها الشدائد والعقبات قوة ومضاء ، وأفضيت إلى العميد الجليل بما استحوذ على مشاعري وأفكاري توطئة للإعتذار عما قد أخطئ فيه وأنا أقرأ له ، وقال العميد لا عليك فالكل يخطئ في القراءة ، ثم أخذ يسألني عن بعض الأمور التي تخصني ، وأمضينا الوقت في حديث شخصي بدد مخاوفي وهيبتي ، ومنحني الجرأة على سؤال العميد ومناقشته في كثير من المسائل والقضايا بعد ذلك .

وكثر لقائي بالعميد وتوثقت صلتي به ، ومن ثم عرفت عنه الكثير ، وفي هذه الكلمة الموجزة أسجل بعض ما عرفت تحية وفاء لذكرى وفاة هذا العبقري الانسان الذي أثر في تاريخ أمته العربية أبلغ تأثير .

لقد كان طه حسين إنساناً رقيق الشعور ، يتألم أشد الألم إذا قرأ خبراً عن كارثة أو حادثة ويتفوه ببعض العبارات مثل اعوذ بالله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكانت أخبار الحروب تزعجه كل الإزعاج ، وكذلك أخبار المجاعات والأوبئة .

وطه حسين الإنسان لم يكن ثرياً ، وانما كان مستوراً على حد قوله ، فلم يكن يملك عقارات ثابتة أو منقولة ، وكان كل دخله يتمثل في معاشه ومكافآت العضوية في بعض الهيئات العلمية ، ثم ما تدره كتبه عليه من أموال كانت تقريباًنحو ثلاثة آلاف جنيه في كل عام .

هذا الإنسان المستور الحال كان كريماً معطاء ، ويجود بماله على ذوي الحاجة والفاقة خاصة أهله ، وكم كانت ترد اليه الرسائل الكثيرة يطلب أصحابها منه أن يمدهم ببعض المال فكان يبعث اليهم بما يطلبون ، وكان يعهد بارسال ما يجود به عن طريق البريد ، وأذكر مرة أن عاملاً بعث اليه يطلب منه أن يعاونه على بناء مسكن جديد ليقيم فيه بدلا من الإقامة في مسكن يكلفه كل شهر إيجاراً باهظاً ، ويضحك



طه حسين .. المفكر الأديب الذى خرج من أعماق القرية ، ليعلن للعالم كله ما في أرضنا العربية من خصوبة — بريشة الفنان صلاح طاهر

العميد بعد أن قرأت له رسالة هذا العامل ويقول : الناس يظنون أنني رجل غني وهذا غير صحيح ، فهذا العامل لا يعرف حقيقة ما لدي من مال ، ولو عرف لما بعث برسالته لي .

وكان الناس يعرفون في العميد كرمه وإنسانيته فكانوا يطرقون باب بيته في الصباح أو المساء . وما كان يرد إنساناً دون أن يقدم اليه ما يستطيع . وكان هذا يثير زوجته في كثير من الأحيان ويجعلها تتهم زوجها بأنه يستجيب لكل طارق ويسمع لكل شكوى ، ويصدق بكل ما يسمعه ، ولهذا كان العميد يخفي عن زوجته ما ينفقه ويجود به ، وأذكر بهذه المناسبة أن سائق سيارته إحتاج الى بعض المال لأمر طارئ ، فلجأ الى زوجة العميد وطلب أن تعطيه هذا المبلغ وتخصمه من راتبه على فترات ، ولكنها أبت فحدث العميد في هذا فأعطاه المبلغ وأمره ألا يخبر زوجته فهو هدية إليه .

وطه حسين الكاتب الفذ يقدر قيمة الوقت كل التقدير ويحرص عليه أشد الحرص ، وقد عرفت أنه في أيام شبابه وصحته كان يمضي نحو خمس عشر ساعة في القراءة والكتابة كل يوم ، فلما كبرت سنه وضعفت قوته كان يقرأ كل يوم نحو ثماني ساعات .

ولما نصحه الأطباء في السنتين الأخيرتين من عمره بالراحة وعدم الإكثار من القراءة لم يستجب لهذا النصح وكان مما قاله لي : الموت خير لي من الحياة إذا لم أقرأ ، فلا معنى لحياتي بدون القراءة

ومن دلائل حرصه على الوقت وشغفه بالقراءة أنه كان يضيق بهذا السلوك غاية الضيق ، ويقول فور خروج الزائر : إن فلاناً هذا كثير الكلام لقد أضاع الوقت بلا طائل ، ومع هذا كان العميد يحاول أن يخفي ضيقه بكل زائر يطيل الجلوس دون حاجة الى ذلك ، ويشد على يديه وهو يودعه قائلاً : « بدري .. أحب أن أراك كثيراً » .

وكان العميد يتهم الأدباء الشبان بالضحالة الفكرية واللغوية ، وذلك لأنهم لم

يقدروا قيمة الوقت ، والهتهم المسارح والاذاعات المرئية ، فراحوا يضيعون جل أوقاتهم في مشاهدة ما تعرضه المسارح أو دور الخيالة أو تذيعه الاذاعة من اسفافات وهبوط ، وكان الأخلق بهم أن يعكفوا على التراث الفكري في مصادره الأصيلة بالعربية وغيرها قديماً وحديثاً حتى يستطيعوا أن ينتجوا أدباً ذا بال .

وطه حسين الأديب الذي منح ثماني دكتوراه من مختلف الجامعات العالمية والذي ترجمت بعض مؤلفاته وبخاصة « الأيام » الى جميع اللغات المعاصرة تقريباً ، والذي تسلم أرفع المناصب العلمية ، هذا الأديب العبقري لم يعرف الغرور سبيلاً اليه ، وكان إذا أطراه إنسان فانه يبتسم في حياء ويقول لمن يشيد به ويعدد مناقبه : حيلك حيلك .. (أي أنك أسرفت وجاوزت المعقول) .

ومن شواهد تواضعه أنه لم يرض عن إنتاجه الأدبي والعلمي ، ولعل هذا كان مصدر عزوفه عن قراءة كل كتاب ألفه أو مقال نشره ، وهذا آية على أن الأديب الجاد والعالم المخلص لا يرى فيما يصل اليه من دراسات وأبحاث إلا محاولة على درب المعرفة الإنسانية قد تدفع بعجلة العلم والفكر الى الأمام ، وكان لا يدعي إطلاقاً بأنه أتى بما لم يأت به الأوائل ، وأنه قد حقق المعجزات وسبق الجميع ، وهذا الإحساس الكريم هو الذي يحمل العلماء والأدباء على أن يواصلوا مسيرتهم الفكرية في هدوء واخلاص وجد وإحسان .فلا ينضب لهم معين ويظل عطاؤهم متدفقاً حتى يأتي الكتاب أجله ، أما وحين تهجم آفة الغرور على عالم أو أديب ويزعم أنه قد بلغ ما لم يبلغه سواه فانه يبدأ رحلة التخلف والجهل ، فلا يزال الانسان عالماً ما طلب العلم وحافظ عليه فإن ظن أنه قد علم فقد جهل .

ويقول أصدقاؤه أنه عندما منح قلادة النيل ، وهي أعلا وسام في مصر ولا تمنح إلا لرؤساء الدول والشخصيات البارزة قال



طه حسين
الإنسان والشاعر

بعد أن قرأوا له خبر منحه القلادة :

ـ الواقع أنني لم أجد سبباً لهذه القلادة قالوا : « كيف هذا واليوم تكرم الدولة العلم والأدب والفن ـ وكان أن منح الدكتور قلادة النيل في يوم عيد العلم سنة ١٩٦٥ ـ وأنت رمز النهضة العلمية ، كنت الرائد والقائد ، فوجب أن تنال حقك ويعترف بقدرك .

فالعميد لا يرى سبباً لاهداء القلادة اليه ، وكأنه يقول : إنه لم يقدم من الأعمال ما يستحق عليه هذا التكريم ، وهذا هو التواضع الذي ينأى بالانسان دائماً عن الغرور والادعاء .

ولا أنسى موقفاً للعميد يشهد بانسانيته ومجاملته الرقيقة وتواضعه الكريم وكان هذا غداة حصول أحد تلامذته وهو الدكتور محمد الدسوقي على درجة الدكتوراه ، فقد هنأه العميد تهنئة حارة ثم قال له : لقد تساوينا فقد أصبحت دكتوراً ، فقال د . الدسوقي : عفوا يا سيدي أين الثرى من الثريا ، فقال : لقد حصلت على الدرجة الجامعية التي حصلت عليها من قبل فنحن الآن سواء ، وشكر العميد على عطفه ومجاملته ، وأكبرت أنا فيه هذه الروح الإنسانيه . وهذا التواضع الجم .

والعميد كان مع انسانيته وكرمه وتواضعه وايمانه بقيمة الوقت وأثره في حياة الأفراد والجماعات كان لا يعيش في الماضي ، ولا يسبح بآماله في المستقبل ، وانما كان يحيا واقعه في صدق وموضوعية ولهذا كان يتمثل بقول الشاعر :

ما فات مات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها

وبهذه المناسبة يهمني أن أعرض جانباً من جوانب إبداعه الأدبي ، ربما كان أكثرها خفاء أو لعل « طه حسين » نفسه هو الذي ساعد على هذا الخفاء ، وأعني به الجانب الشعري في إنتاجه ، ولا أقصد هنا شاعرية الأسلوب في بعض قصصه أو بحوثه كما يتبادر إلى الذهن ، فان لذلك مجالاً آخر ربما يتناوله غيري ، وانما أقصد الحديث عن شعره الموزون المقفى الذي يقع في دائرة ما وضع الخليل بن أحمد من مسميات لهذا الفن . ويقول الأديب والمؤرخ والشاعر عبدالعليم القباني في كتابه « طه حسين في الضحى من شبابه » :

« وهو فن مشى فيه طه حسين » شوطاً لا بأس به ، استغرق الضحى من شبابه (سنة ١٩٠٨ ـ ١٩١٣) ثم شغلته الأحداث عن ممارسته ، عندما إحتواه الصراع الكبير ، في مجابهة الثائرين ضده ، والناقمين عليه وهي معركة استنفدت من جهده الكثير ، حتى يمكن أن يقال أن نظم الشعر أصبح فيها ترفا لا مكان له .

كان صبياً لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، يوم أن تفجر الشعر في أعماقه ، فجره حزنه على موت أخيه ..

كان ذلك في أحد أيام أغسطس من سنة ١٩٠٢ ، حيث كانت « الكوليرا » قد انطلقت تحصد أرواح الناس في الصعيد « صعيد مصر » ..

وكان أن أودت بخمسين ألف مواطن ذهبوا جميعاً ضحية الجهل والسذاجة . وتبدأ القصة بعودة أحد حجاج قرية « موشا » من رجال الأعمال في « أسيوط » من البلاد المقدسة ، وكان قد أحضر معه

زجاجة من ماء «زمزم» وعندما توافد عليه طلاب البركة، وأراد ألا يحرم منهم أحداً، ألقى بما في الزجاجة في أحد آبار القرية، وكانت الزجاجة قد تلوثت بميكروب «الكوليرا» ومن ثم إنطلق الداء القاتل من هذه البئر إلى أنحاء القطر وبخاصة في الصعيد الأوسط. وإمتدت أذرع الوباء الرهيب لتحتضن قرية «الكيلو» التابعة لمركز (مغاغة) في المنيا بالصعيد الأوسط من مصر، وتسللت.. وساعتها.. أحس الصبي بالدار تكاد من ذعرها تمور، وإذا بالضجة من حوله ترتفع، وتغلي، وتثور.. ثم ما لبثت هذه الأذرع الرهيبة أن امتدت فانتزعت أخاه الأثير لديه، من دون أفراد الأسرة لتنطلق به الى حيث لا يعود، ولم يملك صراخ الأم الولهى، ولا ذهول الأب المفجوع له ردا.

وأعجزت العلة الصبي أن يرى الموكب الحزين القاتم، وهو يمشي خلف الفقيد المحمول على أعناق الذين بادلهم بالأمس الفرحة والأسى: وإن كان قد أحس بما يصنعون كأعمق ما يكون الاحساس.. وعرف الصبي منذ ذلك اليوم.. أرق الليل، وأنفق في سواد الليل يفكر في أخيه.. ويقرأ سورة الاخلاص آلاف المرات أو ينظم شعرا على نحو الذي كان يقرؤه في كتب القصص مترجم فيه حزنه وألمه لفقد أخيه معنياً بألا يفزع من قصيدة حتى يصلي في آخرها على النبي صلى الله عليه وسلم، واهبا ثواب هذه الصلاة لأخيه. ونحن هنا لا تعنينا القيمة الفنية لهذا الشعر المبكر، فإنه يكفي أن يكون متنفساً لصاحبه، فيكون قد أدى شطراً من وظيفته الأدبية، وأن يكون على جانب من شكل فني متعارف عليه، فيكون قد حقق شطراً آخر من قواعده.. وكذلك كان الحب منبعاً آخر من منابع شاعريته المبكرة حتى وإن كان حباً ساذجاً غريراً

لنستمع الى هذه القصيدة التي نشرها «طه حسين» وهو في العشرين من عمره والتي عني في مطلعها بنوع من البديع يسمونه الالتفات، ذلك حيث يقول:

ضننت: لا من هوى الغواني
واشتقت: لا للمها الحسان
وشفني: لا صدود رئم
إذا ثنى عطفه سباني
واقتادني: لا هوى فلان
فقد تولّى هوى فلان

ثم يتحدث عن غرامه الطفولي فيقول:

لقد بلوت الغرام غرا
فكم بآلامه ابتلاني
تحكم الغيد في دهرا
ثم انثنى عنهمو عناني
لا اكذب الله أن عاماً
مضى حثيثاً بلا تواني
اذا تذكرته استهلت
دموع عيني كالجمان
إذ أنا في لذة وأمن
أباكر اللهو غير وان
استقبل الدهر في صفاء
وما درى كاشح مكاني
أرضيت بالطيبات نفسي
في غير إثم ولا امتنان
إن كان في قبلة جناح
فإنني منه في أمان
فقد نلتها واستزدت منها
لو بعض ما نلته كفاني

ثم يقول فيما يشبه التنهيدة الحزينة

ثم طوى الدهر ذاك عنا
ليت الردى قبله طواني

تلك أبيات اشتممنا فيها بعض عبق من هذا الماضي الذي تناولناه بالحديث وقد نكون مغالين في ظنوننا وقد يختلف الواقع معنا اختلافاً كبيراً، ولكننا نحاول أن نثبت اقدامنا، في بداية طريقنا الشاق الذي اخترناه لأنفسنا لعلنا نظفر بالمزيد..

وتوالت أشعار طه حسين تزداد رصانة وجودة، ففي عام ١٩٠٦ حينما كانت فكرة اقامة الجامعة المصرية قد شغلت أذهان بعض مفكري الأمة وقتئذ والتي قال فيها مصطفى كامل أنها «هذه هي الوحيدة التي يليق بالوطنيين إهداؤها لمصر والمصريين، فلتنس الأحزاب إنقساماتها، ولينس الصحفيون خصوماتهم، ولتلق الأحقاد في هوة لا يسمع فيها لغو ولا دوى..».

بدأت حملة جمع التبرعات لبناء الجامعة المصرية، وتربعت الأميرة «فاطمة اسماعيل» على عرش المتبرعين لهذا المشروع الجليل، إذ تبرعت بستة أفدنة من أراضي البناء بجوار قصرها بالدقي لإقامة مبنى الجامعة عليها وأوقفت ستمائة فدان من أجود ما تملك من الأراضي الزراعية للصرف من ريعها على الجامعة الوليدة، كما قدمت من جواهرها ما يساوي عشرة ألفاً من جنيهات ذلك العهد إسهاماً منها في عملية البناء وأضافت جميع مصاريف حفلات الإفتتاح الى حسابها الخاص، فأثار صنيع «الأميرة» شاعرية عدد من الشعراء مثل أحمد شوقي رحمه الله وطه حسين فلنستمع اليه وهو يخاطب «الأميرة» فيقول:

عشت للشرق فإن الشرق محتاج اليك
رفع الله منا العلم فيه.. بيديك
وهب الجامعة السعد فنالت نعمتيك
فهي في أمن من الدهر بما فازت لديك

لقد كان الشعر ـ بلا شك ـ مكوناً من مكونات طه حسين، والشعر صورة للنفس، فيما يقول عميد الأدب العربي نفسه. ولذلك لجأت الى شعر العميد كي نستلهمه ونستفتيه اذا غمض علينا الدليل.

فهل تكشف لنا بعض أعماق الرجل العظيم؟

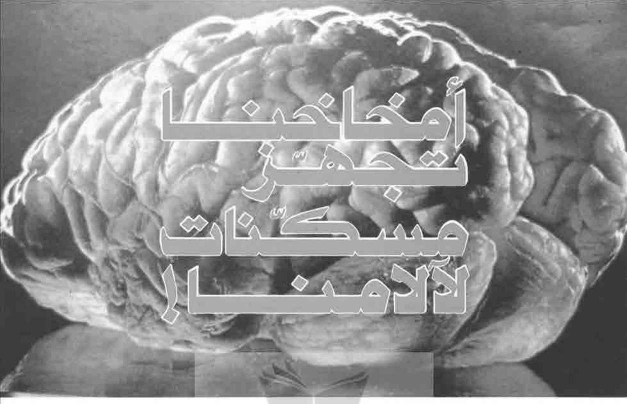
لقد أردت بهذا المقال المتواضع أن أعطي بعض الضوء على جانب من جوانب سيرته. وحسبي هذا، ذلك لأني أومن بالحكمة التي تقول:

لاتستح من إعطاء القليل فان الحرمان أقل منه، وصدق الله العظيم إذ يقول:

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس، فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال».

وبعد.. هذا ما عرفته عن العميد الراحل أسجله في ذكرى وفاته رحمه الله وجزاه بما قدم خير جزاء.

نبيل سليم



أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

يبدو أن حلم البشرية في حياة بدون آلام سوف يتحقق قبل أن يطل علينا القرن الواحد والعشرون ، وليس ذلك على أية حال ببعيد ، فلقد ظل الإنسان من آلاف السنين يجهد عقله ، عله يتوصل إلى شيء يريحه من آلامه التي قد تحل به بين آن وحين .. إذ مما لاشك فيه أن كل إنسان قد مر بتجربة الألم ، لكن الألم درجات ، وأقساه مايحيل حياة الإنسان إلى عذاب غير محتمل لدرجة أنه قد يفضل عليه الموت ، وما هو بمبالغه !

وطبيعي أن الإنسان من قديم الزمن قد بحث للألم عن علاج أو مسكن أو مخدر أو ماشابه ذلك ، فتحدثنا احدى برديات الفراعنة مثلا عن تحضير منقوع بذور «أبو النوم» أو الخشخاش كمسكن لآلام الأطفال ، فإذا شربوه كفوا عن الصراخ والبكاء واستكانوا وناموا ، والمعروف أن الخشخاش هو النبات الذي تستخرج منه مادة الأفيون ومشتقاتها الكثيرة ، ولايزال هذا المشروب يستخدم حتى اليوم كمهدىء من الآلام المعوية .. كما اكتشف علماء الآثار كذلك ثلاث نباتات أو بذورها داخل قبر رمسيس الثالث ، واتضح أنها من النباتات التي تستخدم في تسكين الآلام (وهي نباتات البنشين والخشخاش واللفاح) .. ولاشك أن الحضارات الأخرى القديمة قد عرفت طريقها إلى المسكنات التي كانت تستخرج أصلا من النباتات ، مثل حضارة الصين وبلاد مابين النهرين (العراق) ، وماذكره العرب القدامى في أعشابهم الطبية .. الخ .

كشف مثير

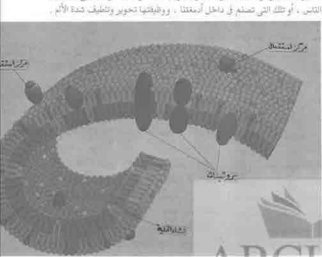
لكن القصد من هذه الدراسة ليس في تقديم أنواع المخدرات أو المسكنات التي توصل اليها الإنسان عبر عصور طويلة ، ولايزال ، خاصة إذا عرفنا أن المسكنات التي توصل اليها العلماء من مصادرها الطبيعية ، أو بالطرق الكيميائية ، صارت الآن قائمة طويلة عريضة ، لكنها مع ذلك لم تحقق الهدف المنشود ، لأن المداومة على تعاطيها ـ خاصة لفترات طويلة ـ يؤدي حتما إلى الإدمان ، بمعنى أن الإنسان لايستطيع أن يستغني عنها ، لأن هناك دافعا ملحا من داخله لطلب المزيد ، الى أن يصبح الإنسان عبداً لها ، فإذا حاول أن يمتنع عن تعاطيها ، أصيب بحالة من الأرق والتهيج والقلق والإسهال وتقلص العضلات وغير ذلك من أحاسيس وآلام تدفع المدمن دفعا لكي يتنازل عن أي شيء في مقابل جرعة تعيد اليه هدوءه وسكينته (شكل ١) .

ولقد حاول العلماء محاولات جبارة في التوصل الى مادة أو أكثر علها تطمس الآلام ، وفي الوقت ذاته لاتسبب الإدمان ، لكنهم لم يوفقوا في ذلك ، رغم مابذلوه من محاولات مع مئات الأنواع من المركبات والمشتقات ، وبدأت البحوث تتجه وجهة أخرى ، وكانت وجهة العلماء هي الكشف عن سر



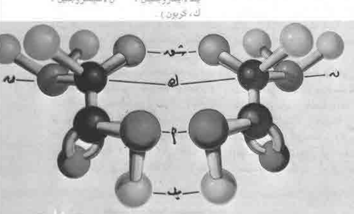
شكل (١) فتاة تبدو عليها علامات الانهيار العصبي نتيجة إدمانها . وهي هنا بين يدى وسيطة روحية تثق في قدراتها على العلاج الروحي ، علها تخلصها من هذا الداء : وهو داء قد تسلط على ملايين البؤساء .

شكل (٢) رسم توضيحي لسور الخلية أو غشائها الرقيق جداً وقد أندس بينه جزيئات بروتينية تقوم بوظائف شتى . ولقد اكتشف العلماء أن بعض هذه الجزيئات تعمل بمثابة مراكز استقبال لمواد كثيرة . ومن هذه المواد المخدرات التى يتعاطاها الناس ، أو تلك التى تصنع فى داخل أدمغتنا . ووظيفتها تحوير وتلطيف شدة الألم .



شكل (٣) نموذج جزيئي للدماغين أو الانكفالين (الى أعلى) وهو «المخدر» الطبيعي الذى تفرزه أدمغتنا . ونموذج لجزىء المورفين (الى أسفل) .. إن التشابه بينهما يكمن فى الجزء الذى يشير اليه السهم فى كل منهما . وبهذا الجزء يتعرف كل جزىء على مركز الاستقبال . وهى هنا أشبه بفكرة القفل والمفتاح .

شكل (٤) فى الطبيعة توجد أنواع من المركبات العضوية إذا مر فيها الضوء من جهاز خاص حرفته يميناً أو يساراً . وكأنما نفس المركب له صورة يمينية وأخرى يسارية . ومن هذه المركبات جزيئات المورفين . والنموذج الجزيئى يوضح أحد الأحماض الأمينية وكأنما هو وصورته فى المرآة . أى أن أحدهما يمينى . والآخر يسارى (أ . أوكسيجين ، يد . ايدروجين ، ن . نيتروجين ، ك . كربون) .



أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا!

التفاعل بين الجهاز العصبي وبين المواد المخدرة . ولقد طافت بأفكارهم أسئلة شتى : ماذا تفعل أية مادة مسكنة للسيطرة على الألم ؟.. وإلى أين تتوجه ؟.. وكيف تتصرف مع الخلية العصبية وتغير مابها فلا تستطيع أن تتعرف على سيل النبضات العصبية الواصلة اليها من مواقع الألم ؟ ثم ـ وهذا هو الأهم ـ كيف يحدث الإدمان أساساً ؟

الواقع أنه من السهل أن نسأل . لكن من الصعب جدا أن نجيب ، لأن أسرار المخ أعقد مما نتصور ، فالمخ بمثابة لغز الألغاز ، أو سر الأسرار ، أو حتى قدس الأقداس ، إذ كلما تعمقت فيه ، تشعبت بك السبل ، فلا تعرف أي طريق تسلك . ومع ذلك فقد عرفنا من أسراره القليل ، وبقي الكثير ، لكن القليل الذي اكتشفناه ، يوضح لنا ماانطوت عليه الحياة من بديع صنع الله .

فأول هذه الأسرار يكمن على الأسوار ، نعني أسوار الخلايا الحية ، ذلك أن كل خلية تحيط نفسها بغشاء رقيق غاية الرقة ، غشاء لايزيد سمكه عن جزء واحد من ٨٠ ألف جزء من المليمتر ! ! ومع هذه الرقة المتناهية ، أصبح الغشاء بدوره ملكوتاً قائماً بذاته ، أو هو بمثابة حرس الحدود الذي يعرف هوية الجزيئات المتجهة الى داخل الخلية ، أو الجزيئات الخارجة منها ، فيسمح بدخول وخروج المركبات التي تحتاجها ، أو التي تستغني عنها ، وكل شيء بحساب ، ويخرج بمقدار ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ومثير ، ولانستطيع أن نتعرض هنا للمزيد ، لأن ماكتب فيه قد يستوعب مجلدات من فوق مجلدات ، لكن الشيء الهام هنا أن السور أو الغشاء مزود بمحطات أو مراكز استقبال ليستضيف فيها أو عليها جزيئات خاصة ذات سيادة في عالمها ، أي أنها مكلفة بمساعدة الهيئة الجزيئية التي تقف على حدود الخلية في انجاز تفاعلات لايمكن للحياة أن تتم بدونها (شكل ٢) .

ولقد وجد العلماء أن لأسوار الخلايا العصبية محطات استقبال صالحة لنزول أو استضافة أي مخدر أو مسكن للآلام ، وهذا وحده سر هام ، أو هو بداية للكشف عن أسرار أخرى لم تكن في الحسبان ، ومن أجل هذا تساءل العلماء : هل يعني ذلك أن جهازنا العصبي كان مهيأ من البداية للتعامل مع هذه المخدرات ؟! .

الواقع أن أحدا لايستطيع أن يقر ذلك ، لأن غالبية المخلوقات تعيش حياة عادية بدون مسكنات أو مخدرات ، ومع ذلك فإن هذه المستقبلات المتراصة على الأسوار لم تخلق عبثا ، ولابد أن لوجودها سببا ، وبالفعل اكتشف العلماء السر ، فهذه المستقبلات موجودة أساسا لمسكنات أو مهدئات أو مخدرات تصنعها أجسامنا ، فكل مستقبل «يستضيف» جزيئا من المخدر الطبيعي ، أو هو بمثابة «الصناعة المحلية» أي ليس مستوردا من الخارج على هيئة حبوب أو حقن أو مشروب أو غير ذلك من المسكنات والمهدئات التي نستعين بها على تخفيف أو قتل الآلام .

سر الأفيون الداخلي

وعندما بدأ العلماء في عزل أولى هذه المواد المخدرة أو المسكنة التي تصنعها أجسام الإنسان والحيوان ، استبشروا خيرا ، فمن خلال مايحدث بين المستقبلات الكائنة على الأسوار ، وبين «الأفيونة» الحيوانية (أي التي يصنعها الحيوان) قد يمكن التوصل الى ادراك السر في الإدمان ، خاصة وأن «الأفيونة» التي تصنعها أمخاخنا ليس من ورائها إدمان على الإطلاق ، فهي تحدث الأثر بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، وقد تصل قوتها الى أكثر من مائة ضعف من قوة المورفين .

وبمثل هذا الاكتشاف المثير والخطير ، يمكن التنبؤ طبعا بما سيحمله المستقبل من مفاجآت وآمال ، خاصة وأننا قد اكتشفنا مسكنا لآلامنا ، ومهدئا لأعصابنا ، ومسيطرا على أمزجتنا ، وكل هذا يمكن تحقيقه بدون إدمان ، أو خوف من الوقوع تحت طائلة العقاب ، أو أي أمر من الأمور التي قد تحط من كرامة الإنسان ، ذلك أن أفيوننا هو من نفس تكويننا ، أو هو كلمة في قاموس بروتيناتنا ، ولالوم على أحد إذا استفاد من حكمة وضعها الله في خلقه ، لتصبح أداة لطف ورحمة ، لا أداة عذاب ونقمة ، كما هو الحال في المخدرات غير المشروعة..

ولقد ظن العلماء ـ باديء الأمر ـ أن خلايانا العصبية تستقبل على اسوارها مركبا واحدا ، وأنها ـ بهذا المركب تستطيع أن تحور في نبضات الألم ، لكن ظنونهم كانت متواضعة ، خاصة بعد أن أعلنت عدة مراكز ومعاهد للبحوث في دول مختلفة أن المسكنات الطبيعية في أجسامنا ليست نوعا واحدا ، بل هناك عدة أنواع تعد على أصابع اليدين ، وربما يرتفع عددها في المستقبل لتصبح أكثر من ذلك بكثير ، ولقد تبين أن الأنواع المعزولة تقع تحت فصيلتين أساسيتين : فصيلة تعرف باسم «الاندورفين» Endorphins والأخرى باسم «الانكيفالين» Enkephalins والاسمان ـ كما هو واضح ـ مشتقان من كلمات لاتينية ، فالأولى تعني المورفين أو الأفيون الداخلي (أي الذي يتكون داخل أدمغتنا) ، والثانية تعني التي «في الدماغ» ، أي الأفيونه التي تجهزها أدمغتنا ، ولنسمها تجاوزا «الدماغين» ، أي التي تعدل الدماغ .

دعنا ـ إذن ـ نتعرف على «أفيوننا وحشيشنا» الذي يتكون داخلنا ، ولنقارن بينه وبين مايحل بالجسم من خارجه ، أي المواد المخدرة التي تستخدم في الدوائر الطبية أو خارجها ، ولنبدأ بمادة الدماغين ، لأنها أبسط تكوينا ، إلا أنها ليست مادة واحدة ، بل مادتين ، : لكن الاختلاف الوحيد بينهما يكمن في حامض أميني واحد .. والمعروف أن الأحماض الأمينية هي «ألف باء» الجزيئات البروتينية ، وكل البروتينات ـ صغيرها وكبيرها ـ الموجودة في جميع الكائنات الحية «تكتب» أو تتآلف بعشرين نوعا من الأحماض الأمينية ، تماما كما نكتب لغتنا أيضا بحروفنا ، ونكون بها كلماتنا ، وقد تكون الكلمة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر قليلا ، ونادرا ما تتعدى الكلمة عشرة حروف ، لكن

الأحماض الأمينية المختلفة قد تتآلف أو تترابط بالعشرات والمئات في سلاسل طويلة .

ومن هذا المنطلق نعود الى الانكيفالين أو الدماغين ، فنرى صنفا منه يتكون من «توليفة» . والآخر من توليفة أخرى لاتختلف عن الأول إلا في حامض أميني واحد .. فكل منهما يتكون من خمسة احماض أمينية (أي كل منهما بروتين جد قصير من خمسة أحماض ، ولهذا يسمى خماسي الببتيد - لمن يهمه الأمر) .. الحامض الأول في كل منهما مختلف ، والأربعة الأخرى متشابهة تماما في النوع ، وفي الترتيب (شكل ٣) ولكي توضح ذلك ، كان لابد أن نقارنهما بكلمتين من كلماتنا ذات الحروف الخمسة أيضا ، ولنختر مثلا كلمتي : هابطة ، رابطة ، أو صاعدة ، قاعدة .. الخ ، الاختلاف هنا في حرف واحد ، لكن المعنى مختلف تماما ، كذلك وجد العلماء صنفي الدماغين مكتوبين هكذا : فعججت لفججت .. أيضا الحرف الأول مختلف ، والحروف الأخرى متشابهة تماما - صحيح أن نطق الكلمتين هنا ثقيل - وليس لهما في عقولنا معنى ، لكنهما في عالمهما الجزيئي الدقيق تعرفان كيف تتخاطبان مع أسوار الخلايا العصبية ، وكيف تهتديان الى مواقعهما الاستراتيجية على المستقبلات (ثم - لمن يهمه الأمر - فإن حرفي م ، ل في نوعي الانكيفالين تعنيان الحامضي الأميني ميثايونين ، ليوسين ، والأربعة الأخرى «فججت» فهي على الترتيب فينايل آلانين ، جلايسين ، ثم جلايسين ، ثم تيروسين - أخذنا الحرف الأول من كل حامض أو كلمة من باب الاختصار ليس إلا ، ثم ان الترابط بينهما في الجزيء هو - في الأصل - ترابط اليكتروني) .

لكن أمخاخنا لا تتعامل فقط مع الانكيفالين - م ، وتوأمه - ل (الواقع أن م ، ل هما رمزا الحامضين الامينيين في كل الكيفالين - كما سبق أن أشرنا) ، لكن تبقى أيضا فصيلة الأندورفين ، وهي أيضا مجموعة من الأحماض الأمينية المتآلفة بالعشرات ، أو بالتحديد ٣١ حامضاً أمينيا متشابكا في جزيء ، أو قد تكون دون ذلك عددا (ولهذا أطلق عليها العلماء أندورفين الفا ، بيتا ، جاما .. أي أ ، ب ، ج) .. والغريب أن هذه المركبات الثلاثة تحتوي دائما في أحد طرفيها على الأحماض الأمينية الخمسة التي تكون الانكيفالين - م بالتحديد ، وليس ذلك فحسب ، بل أيضا بنفس الترتيب ، ولازالت هذه الفصيلة غير معروفة الوظيفة على وجه التأكيد ، وإن كان بعض العلماء يعتقد أن وجودها لم يأت هكذا اعتباطا ، ولابد أن يكون لها هدف في تحوير كيمياء المخ بطريقة أو بأخرى ، والسنوات المقبلة ، والبحوث المكثفة كفيلة بكشف هذا الغموض .

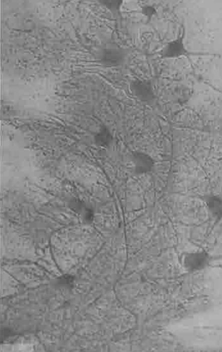
شكل (٥) النماذج الجزيئية الثلاثة فى أعلى الصورة توضح التوزيع والترابط الذرى لبعض المخدرات ، واللذان الى أسفل مضادات أو منافسات لهذه المخدرات ، وهى من المركبات التخليقية التى صنعها العلماء ليحاربوا بها الادمان .. لاحظ التشابه الموجود فى يسار كل مركب بين المخدر والمادتين المتضادتين معه ، وهو ما يرشدها الى مراكز الاستقبال على أغشية الخلايا ، وكأنما هذه المراكز بمثابة الأقفال ، والمواد الموجودة فى الشكل بمثابة مفاتيحها التى ، تلبس ، فيها

بين مورفين وانكيفالين

العلماء الذين يتعمقون في مثل هذه الدراسات المعقدة والمجهدة ، داعبت عقولهم بعض أسئلة حائرة : إذا كان الانكيفالين أو الدماغين الذي تنتجه أدمغتنا يحتل مواقع استراتيجية على أسوار خلايا المخ ، ليحور في كيميائها أو نبضاتها العصبية التي تتعامل بها مابين إرسال واستقبال ، فما دخل المخدرات التي يتعاطاها بعض الناس بمثل هذه المواقع ؟ .. وهل هناك وجه شبه بين هذه وتلك ؟ .. وإذا كان ، فلماذا يصبح لهذه المخدرات (ولنأخذ واحدا - هو المورفين) اليد العليا ، وللدماغين اليد السفلى ؟ .. أي لماذا يتغلب هذا على ذاك ، ويأخذ موقعه ، ثم يصبح في البداية مهدئا ومسكنا ومريحا ، وفي النهاية - عند الإدمان - يتحول إلى غول رهيب يفتك بأمخاخ المدمنين ؟ .. الخ .

الواقع أن التركيب الكيميائي للدماغين يختلف عن المورفين أو الهيروييين أو الكودين أو ما شابه ذلك ، فالأول يتكون من احماض امينية ، والثاني لايدخل فيه أي حامض أميني (قارن هذا بذاك من شكل ٣) ، لكن هناك تطابقا في الهندسة الجزيئية بين هذا وذاك .. صحيح أن البقية مختلفة ، لكن ذلك ليس هاما بالنسبة لمن يدرسون العلوم الكيميائية ، ونحن لانريد أن ندخل هنا في معمعة علمية ، لكننا مع ذلك لن نهرب من هذا المأزق ، وعلينا أيضا أن نبسطه بمثال من واقع حياتنا ، وليكن ذلك في قفل ومفتاح ، فليس كل مفتاح صالحا لفتح أي قفل إلا ما توافقت أسنانه مع ريش القفل .. وكذلك تكون هذه الجزيئات مع مستقبلاتها على الأسوار .. فلمادة الدماغين تنظيم ذري جزيئي متوافق تماما مع مواقعه الاستراتيجية على الأسوار (وإلى حيث يشير السهم في شكل ٣) . والمورفين كذلك له نفس التنظيم (حيث يشير السهم أيضا) .. فكأنما هذا مفتاح أصلي ، وذاك تقليد ، لكنهما يؤديان نفس العمل ، ولا يهم بعد ذلك إن جاء المفتاح طويلا أو مزركشا أو نحاسا أو فضة .. فالمهم فقط أسنانه التي تتوافق مع

أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا !



شكل (٦) بضع خلايا من الـ ١٢ ألف مليون خلية عصبية في أمخاخنا ، وحول كل خلية توجد غابة من الألياف ، وهي بمثابة أسلاك التليفون التي تنقل الاتصال ، لكنها هنا اتصالات كهروكيميائية ، وهذا يعطيك بأن المخ كون هائل من الشبكات التي تقوم عليها أعظم العقول.

ريش القفل ، لتؤدي مهمتها على أكمل وجه .

ولقد بلغ التخصص بين المستقبلات على الأسوار الخلوية وبين المواد المخدرة منتهاه ، وبحيث تبدوا لنا أمور الحياة في داخلنا بنظم دقيقة مذهلة الى حد الخيال ، فهناك مركبات عضوية توجد على صور يمينية ويسارية ، فكما لنا يد يمنى ويسرى ، كذلك يجيء المركب ذاته بنفس النظام الجزيئي تماماً ، لكن أحدهما يبدو بالنسبة للآخر كصورته في المرآة (جرب وضع يدك اليمنى أمام المرآة وابسط يدك اليسرى أمامك ، تجد صورة اليمنى في المرآة تتطابق مع اليسرى تماما - وكذلك بعض أنواع الجزيئات .. أنظر شكل ٤) ، وقد يطرأ على الذهن هنا تساؤل : وما دخل ذلك بموضوعنا ؟ .. الواقع أن له دخلا ، فالمورفين ذاته يوجد بصورتين ، فجزيئات منه يمينية ، والأخرى يسارية .. ومع أن لهما نفس الخواص الطبيعية والكيميائية ، إلا أن المستقبلات على أسوار الخلايا العصبية تتعامل مع المورفين اليساري ، ولاتقبل اليميني .. أي كأنما أنت قد اتيت بمفتاحين لهما نفس الأسنان تماما ، لكن اتجاه هذه عكس اتجاه تلك ، وطبيعي أن القفل سيتوافق مع واحد فقط ، ولايمكن أن للآخر أن يلج فيه .. وهذا - بلاشك - برهان أكيد لوجود المستقبلات المتخصصة على الأسوار ، وبحيث تتعامل مع صورة ، ولا تقبل الأخرى .

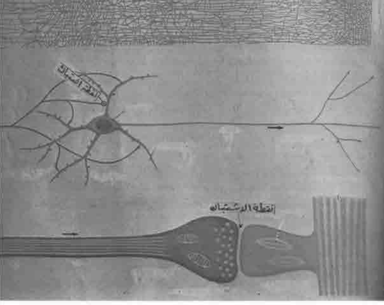
ورغم أن كيميائية الإدمان ذاتها لم تتضح بعد ، إلا أنه من المعتقد أن المواد المخدرة التي يتعاطاها المدمنون ، أو الذين يطلبون راحة من آلامهم العضوية أو النفسية ، أو كليهما - هذه المواد تنجذب الى المستقبلات اكثر من الدماغين أو الاندورفين الذي تصنعه أدمغتنا ، أي أن الدخيل يطرد «صاحب» البيت ويحتل موقعه ، ومن هذا المفهوم يمكن تخليق جزيئات كيميائية شبيهة بالمواد المخدرة ، ثم تجربتها على المدمنين (الواقع أنها تتم أولا على حيوانات التجارب ، فلها في أمخاخها مثل مالنا) ، فلربما تطرد الدخيل ، وتنزعه من مواقعه التي احتلها على الأسوار .. وقد كان ، إذ توصل العلماء إلى صنع عدة مواد يمكن بها محاربة الادمان ، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - مادتان : نالوكسون ونالورفين (وهما ليسا من المواد المخدرة) .. فلهاتين المادتين هندسة جزيئية تشبه إلى حد كبير الهندسة الجزيئية في المورفين ، وإلى حد ما الهيروين والكودين (وهما مخدران مشتقان من المورفين - شكل ٥) - أي أن ما يحدث بين هذه الجزيئات وبين المواقع المخصصة لها على الأسوار ، هو مايحدث عادة بين صور الحياة المنظورة ، فالقوي يطرد الضعيف ، لكن القوي قد يأتيه من هو أقوى منه ليطرده .. فالضعيف هنا هو الدماغين ، والقوي هو المورفين ، (أو أحد مشتقاته) ، والأقوى هو نالوكسون أو نالورفين ، فإذا جاء المورفين وجد مانعا يمنعه من اللجوء الى مواقعه .. وهذا المانع اسمه العامل المضاد او المقاوم أو الطارد ، وهو أمر معروف في التفاعلات الكيميائية والبيولوجية .

المهم أن هذه المواضيع طويلة ومثيرة ومفعمة بالألغاز والأسرار ، وليس لها هنا مجال ، ولكن الأهم هو هذا السؤال : هل سينجح العلماء حقا في الوصول الى شيء - أي شيء - يريح البشرية من آلامها العضوية والنفسية والعاطفية ودون أن تحل بها حالة من الإدمان المدمر ؟

حرص واجب

الإجابة على هذا السؤال الهام قد تكون سابقة لأوانها ، وذلك لأسباب يطول شرحها .. صحيح أن معظم العلماء قد تحمسوا لهذه الكشوفات الكبيرة ، وبها استبشروا خيرا ، وعلى ذلك يعلق كيندريك فريزر في الكتاب السنوي للعلم والمستقبل (١٩٨١) فيذكر «أن حقن الاندورفين والانكيفالين في الحيوان أو الإنسان يؤدي إلى احداث آثار نفسية مثيرة ، فمعظمها مفيد ، إذ أنها تخفف الآلام ، وتسبب الانشراح ، وتساعد على التركيز ، وتقوي الذاكرة ، وتخفف بعض أعراض التخلف العقلي ، وفصام الشخصية (الشيزوفرانيا) ، ولقد قيل عنها بحق أنها من أعظم الاكتشافات الدوائية في القرن العشرين ، هذا رغم أن بعض الخواص الجديدة لهذه الكيماويات المعزولة من أمخاخنا لازالت تحت البحث والدراسة» .

لكن الموضوع ليس بهذه البساطة ، فلا زالت في أمخاخنا أسرار كالطوفان ، وأمامها نقف كالأطفال ، إذ ليست هذه البروتينات



شكل (٧) في الصورة العليا شبكة من الاتصالات بين الخلايا العصبية . ولكي تتضح أكثر أخذنا جزءاً صغيراً (الملحاظ بدائرة في الصورة العليا) وكبرناه في الصورة الوسطى ، حيث تظهر عقد صغيرة اسمها نقط الاشتباك ، وفي هذه النقط (أسفل الصورة) يتم التفاهم أو الاتصال بين خلية وأخرى عن طريق الشحن والتفريغ الكهروكيميائي ، وكأنما هي بطاريات حية جد دقيقة ، وعلى هذه النقط الاشتباكية تستقبل الخلايا العصبية المخدرات ، فتحور التفاعلات .

شكل (٨) المعروف أن الإبر الصينية اذا غرست في مواقع محددة (كما يبدو في صورة هذه السيدة الصينية) فإنها تخفف الآلام ، ويقال أن ذلك ليس من فعل الإبر مباشرة ، بل يرجع الى حفز الإبر للجهاز العصبي ، لكي يفرز مزيداً من الدماغين الطبيعي ، فيحور في درجات الألم ويخففه .



الصغيرة (الدماغين) أو المتوسطة (الاندورفين) هي كل حصاد العلماء ، بل هناك أكثر من عشرين نوعا مكتشفا ، ويعتقد البعض أن ذلك لايمثل إلا ١٠٪ فقط من حصيلة لازالت مجهولة ، أي ربما توجد حوالي مائتي مادة تسيطر على انفعالاتنا ، وتوجه أمزجتنا ، وتخفف آلامنا ، وتثير أو تكبح شهواتنا ، وتتحكم في عواطفنا ، والخلل في موازينها قد يؤدي الى خلل في عقولنا ، فمعظم الأمراض النفسية أو العقلية ترجع إلى اختلال في هذه المواد ، أي أن لدى المخ قاموساً كيميائياً يعرف كيف يستخدمه ويتعامل معه ، أو كما يشبهها دكتور ايمري زيمرمان من جامعة كاليفورنيا بلوس انجيليس بأنها «لغة أساسية جديدة .. لغة كيميائية يستخدمها المخ ليجري اتصالاته مع نفسه» !

ونحن لم نعرف من هذه اللغة إلا القليل ، وحتى الذي عرفناه يمثل لنا الخطوط العريضة ، وغاب عنا كثير من التفاصيل ، ففي أمخاخنا تتحدد شخصياتنا ، وتتمثل سلوكياتنا ، وتتغير أمزجتنا ، فنثور ونهدأ ، ونفرح ونحزن ، وننشرح ونكتئب ، ونتلذذ ونتألم ، ونحب ونكره ،

أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا!

إلى آخر هذه العواطف والانفعالات التي يسيطر عليها أكثر من ١٢ الف مليون خلية عصبية ، وكل خلية تحيط نفسها بشبكة ا لياف دقيقة (شكل ٦) ، وعلى الألياف تكمن الآلاف من نقط الاشتباك أو التوصيلات التي تحدث بين البلايين ، وكل نقطة بمثابة محطة إرسال أو استقبال ، وبين هذه النقط توجد مركبات كيميائية لتفرغ وتشحن ، وتنبض وترسل ، وتحور وتعدل ، ويقال إن هناك عشرات المواد التي تهيمن على هذه العمليات البالغة التعقيد ، وكأنما هي عصا المايسترو التي تهيمن على فرقة بأكملها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك ، أو هي ـ كما يشبهها لنا جويل جورين بقوله «إذا تصورنا أن المخ بمثابة راديو يستقبل سيلا متصلا من المعلومات عن طريق نقط الاشتباك العصبي ، فان الببتيدات (أي سلاسل الأحماض الأمينية التي تتشابك بالآحاد والعشرات) قد تكون هامة في ضبط عملية الاستقبال» (شكل ٧) .

إذن فنحن أمام غابة هائلة من الأسرار التي لم يشهد لها العقل مثيلا ، صحيح أن أساس التفاهم بين خلايا المخ ينتج عن عمليات كهروكيميائية تؤدي إلى نبضات عصبية سريعة ومستمرة ، الا أنها محكومة بجزيئات كثيرة ضابطة لكل صغيرة وكبيرة ، لكن ماهي طبيعة الضبط والتحكم ، وماهي المركبات التي تشارك في ذلك ، وما عددها ، وكيف تشارك ؟ .. كل هذا وغيره لايزال يشكل أمامنا متاهات تبدو كأكوان ضخمة من الألغاز .

المستقبل قد يحمل المفاجآت

لكن رغم تلك الصعاب الجمة التي تحتاج من العلماء الى صبر جميل ، وذكاء خارق ، وجهد عظيم ، وبحث عميق ، رغم ذلك فإن إدراك أسرار أمخاخنا ، والسيطرة على انفعالاتنا ، والتغلب على آلامنا لن تظهر نتائجه بين يوم وليلة ، ولا سنة وأخرى ، أو حتى بين جيل وجيل ، ذلك أن كل سر مكتشف ، يقود إلى أسرار أخرى أعظم وأعمق ، ولاشك أن حصيلة السنوات الطويلة سوف يتمخض عن أهداف قد نحسبها نحن اليوم خيالا ، لكن قد تعيش في واقعها الأجيال المقبلة .

ولاشك أن العلاقة بين أمخاخنا وأفيونها الذي تصنعه على هواها علاقة لاريب فيها ، فقد أثبتت تجارب كثيرة صحة هذه العلاقة ، لكن قد يثار سؤال في مثل هذا المجال : إذا كان الدماغين أو الاندورفين بمثابة المورفين الذي يهدىء الآلام ، فلماذا إذن نتألم رغم أنه موجود بداخلنا ؟

الواقع أن الألم في حد ذاته مطلوب ، لأنه بمثابة إنذار لنا بوجود شيء في غير صالحنا ، حتى نتخذ حذرنا ، ونبحث له عن علاج ، أو على الأقل دواء يخفف هذه الآلام .. لكن الآلام هنا درجات ، بمعنى أن الألم الناتج من غرس إبرة في الجسم يختلف بين إنسان وإنسان ، ذلك أن واحدا قد يتألم بدرجة أعظم أو أقل من الآخر ، أو قد تكون لمسة أو دعاء من رجل صالح يعتقد المريض في بركاته كافيا لاختفاء الألم أو خفة حدته ، أو إعطاء الذي يعاني من الألم دواء يعتقد أنه سيريحه ، فيستريح بالفعل ، رغم أن الدواء هنا كاذب (حقنة ملح أو سكر جلوكوز مثلا) ، أو من يعتقد في جدوى الابر الصينية في العلاج أو تخفيف الألم (شكل ٨) ، فتخـف آلامه ، أو حتى في ا جراء العمليات الجراحية بدون تخدير ، كما هو الحال في الصين ، إذ تكفي الابر الصينية للقيام بعملية التخدير ، ويعني ذلك أن الجراحة تتم بدون آلام ، أو بآلام محتملة قد لانتحملها نحن ، أو قد يختفي الألم عندما يمارس الانسان رياضة التركيز والتأمل الروحي (اليوجا مثلا) .. إلى آخر هذه الاعتقادات التي تثير تساؤلا هاما : لكن ماذا يعني كل ذلك حقا ؟

يعتقد معظم العلماء أن اختفاء الألم في مثل هذه الحالات إنما يرجع الى عمليات توجيه ا يحائية الى أمخاخنا ، تكون نتيجتها زيادة ا فراز «أفيونها» فيحتل المواقع التي خصصت له على الأسوار بتركيزات تناسب شدة الألم ، وفي هذه الحالة يخفف شدة النبضات العصبية المعبرة عن الألم ، أو ربما يحول بينها ـ جزئيا أو كليا ـ وبين الوصول إلى داخل الخلايا العصبية ، فكأنما هي بمثابة المحول الذي يحدد أو يهبط تيارات الاشارات الواصلة ، ولولا ذلك لأصبح الألم مرعبا ، لكن الله لطيف بعباده .. ومما يساند هذا الرأي نتائج بعض التجارب التي أجريت على الحيوان ، ثم على الإنسان بعد ذلك ، إذ يخبرنا دكتور دافيد ماير من الكلية الطبية بولاية فيرجينيا أن الألم الناتج من الأسنان أو الضروس المعطوبة يقل بدرجات محسوسة في حالة غرس الابر الصينية في مواقع محددة ، وهو يعلل ذلك بزيادة افراز الدماغين أو الاندورفين أو كليهما ، ولكي يبرهن على صحة استنتاجاته ، قام بإعطاء مرضاه عقار النالوكسون دون أن يخبرهم بحقيقته ، فزادت عندهم درجات الألم عن ذي قبل ، وعندئذ تحققت ظنونه ، لأن أثر هذا العقار مضاد لأثر أية مادة مخدرة أو مسكنة للآلام (انظر شكل ٥ للتوضيح) .. وهو لم يقم بإعطاء مرضاه أي مخدر ، لكن المخدر أو المورفين الدماغي كان قد تم تصنيعه في الداخل ، ثم جاء النالوكسون وطرده من مواقعه ، وأبطل مفعوله المهدىء للآلام !

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن يكفي أن نقول إنه رغم هذه البدايات المتواضعة ، إلا أن الأعوام القادمة كفيلة بكشف المزيد من الأسرار ، وبها يمكن إدراك كل تفاصيل التفاعلات الكيميائية والكهربية المعقدة التي تشعرنا بكل انفعالاتنا ، وعندئذ قد يمكن السيطرة عليها ، لأن السيطرة أو التوجيه تحتاج إلى معرفة بمفردات اللغة المعقدة التي تتخاطب بها الخلايا فيما بينها ، ويوم نتعلم أكثر ، ونعرف أعمق ، ونجمع حصيلة أعظم ، فلابد أن يكون التطبيق أتقن ، فيتحول الألم إلى لذة ، والاكتئاب إلى بهجة ، والمرض العقلي إلى صحة ، ولاشيء من هذا سيحدث بغير علم ومعرفة .. وإن غدا لناظره قريب .

عبد المحسن صالح

الغريب والسَّوسَنة

شعر: حسن توفيق

لو قلت لي : يا ايها الرجل الغريب متى تنام ؟ فلن أجيبَ إلى الأبدْ
فأنا وأنت نظل نسبح في بحار الساهرين الضائعين ... ولا أحد
هذا هو الليل العميق
ومواءُ قط جائع ... مترقب « ليلاه » ... حتى يستكنَّ إذا وَجَدْ
والبرد يسري من شقوق في النوافذ كالحريق
والنجم يشهد سهدنا ...
فلكم سهرنا للصباح
ماذا سنفعل وحدنا ؟ !
نبقى لكي نتبادل الكلماتِ والضحكاتِ والنظراتِ والقلقَ العريقْ
ما أجمل الكلمات في ليل الشتاء برغم عاصفةٍ تحاول دَكَّ أعماق السكون المستطاب
ما أطيب الضحكات تدفئنا وتسقينا
ما أعمق النظرات حين تطل صافيةً فتغسل روحَنا بصفائها النضر الذي يمحو العذاب
ما أخصب القلق العريق يفر من آفاقه الحيرى ليسكن فجأة بجموحه فينا !

****

.... وأغيبُ عنك ... أغيب في أرجاء غرفتيَ الكئيبة
وأظل أحلم بالحياة
وأظل أحلم بالعصافير التي رحلتْ ولم تعبأ بآفاقي الرحيبة
وأقول إن النهر ـ في يوم ـ سيسعدُ بالمسير مع الحياة لمنتهاه
وأقول إن السوسنه
يوماً ... ستدفعها العواصف في أقاصي الأمكنة
فأحس ظفر الوحشة البكماء منغرساً بقلبي
لكنني ـ في لحظة ـ ألقي الظلال الحزينة
عن عالمي عند انبثاق النور منسكبا على كتبي الحبيبة أو على الجدران والأشياء قربي
وترفُّ ـ كالنسمات حين ترفُّ ـ روح محسنه

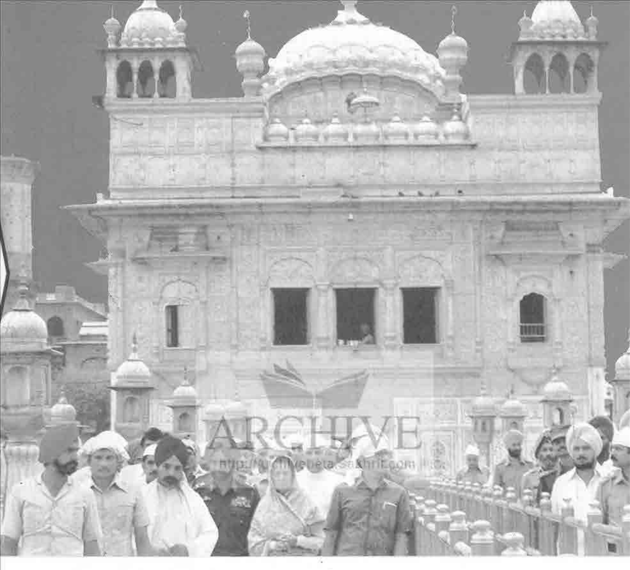
****

ليل ونافذة قريبه
منها يفوح النورُ مبتسماً وفي بسماته وبهائه فرحٌ يذيبُ ظلامَ غرفتي الكئيبة
يأتي إليَّ النور مبتسما مع الصوت البهيّ
هو صوتك النعسان يحمل غنوةً من أغنيات الحب والأحلام في هذا السكون المستطابْ
تسقينَ منها روحَك العطشى إلى قلب وفي
فتطل من قلبي الشجيّ
قسماتُ أوجه مَنْ عشقتُ على مدى الزمن البعيد
ويطير بي شغف نقيّ
لغدى الذي أسكنته قلبي وقلتُ متى تفوح روائح الفرح المحلق في سمائكَ يا شريدْ
ومتى يطل غد سعيد
يرتاح فيه الناس ... كل الناس ... من عبء التطاحن والتمزق والوعيد ؟

****

ماذا يقول النورُ في هذا السكون المستطابْ
الله ... ما أحلى الشباب
الله ... إذ نتبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
الله ... ما أحلى ائتلاف الشمل من بعد اغتراب
ألقاكِ مبتهجاً وأهتفُ ضاحكاً : رغم الضياع سيُقبلُ الغدُ في الطريقْ
فلتهنأي كالنور مبتسماً مع الصوت البهي ، وقد أضاء الأمكنه
فلتهنأي ... يا سوسنه ...





أنديرا غاندي.. في العاصفة

- قصة المرأة الحديدية التي حكمت الهند ١٨ عامًا .. من المجد إلى الاغتيال!
- مظهر هادئ رصين وشخصية فذة .. وطموح لا يقف عند حد
- دخلت السجن وهي تغني : لا تقولوا وداعًا .. بل قولوا حظًا سعيدًا
- عندما كانت الجماهير تهتف : أنديرا فتاة الهند .. حبيبة الفقراء .. ابنة نهرو وربيبة غاندي

بقلم : محمد العزب موسى



▶
أنديرا أثناء زيارة المعبد الذهبى للسيخ بعد اقتحامه فى يونيو الماضى .. صور هذه الزيارة لم تنشر فى الهند أو خارجها ، وقد التقط أحد الهواة هذه الصورة خلسة وباعها لمجلة «الفيجارو» الفرنسية التى نشرتها عقب حادث الاغتيال تحت عنوان «صورة فريدة خاصة» وتنشرها الدوحة هنا نقلا عن المجلة الفرنسية

◀
أنديرا غاندى تصافح بعض قادة الجيش من طائفة السيخ .. كانت أنديرا تثق فى السيخ وتعلن أنها تعارض حركتهم الانفصالية فقط . ولاتعاديهم على أساس طائفى

مهما اختلفت الآراء حول انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند الراحلة فانها تتفق فيما اعتقد على أنها كانت امرأة ذات ارادة قوية ، كان مظهرها الهادىء الرصين يخفى شخصية مصممة فذة وطموحا لا يقف عند حد ، وقد استطاعت أن تحكم الهند ١٨ عاماً شبه متصلة باستثناء ثلاثة أعوام فقط فى أواخر السبعينات ، وبذلك سيطرت أسرة نهرو على حكم الهند منذ استقلالها حتى الآن ، وكانت أهم ما يشغل بالها فى أواخر حياتها أن تمهد الطريق لأحد ولديها ليخلفها فى الحكم ، وبالرغم من وفاة وريثها المنتظر القوى ابنها سانجاى فى حادث طائرة عام ١٩٨٠ فقد تحقق لها ما أرادت وخلفها ابنها الأكبر راجيف فى الحكم بعد اغتيالها .

والواقع أن تاريخ أسرة نهرو يمتزج بتاريخ الهند السياسى الحديث امتزاجاً قوياً ، فالأحداث العامة تصبح مشاغل خاصة لأفراد هذه الأسرة ، والشئون الخاصة للأسرة تنعكس على الحياة السياسية للهند ، كما لوكانت هذه الأسرة هى عضلة القلب لتلك الدولة الكبيرة .

وقد ولدت أنديرا غاندى فى بيت سياسى وفى أسرة تتنفس السياسة والحركة الوطنية كما تتنفس الهواء ، فوالدها جواهر لال نهرو الزعيم الوطنى الذى كان من أوثق مساعدى غاندى الشبان وكان أول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال وظل فى منصبه حتى وفاته عام ١٩٦٤ ، وكان جدها البانديت موتيلال نهرو (١٨٦١ — ١٩٣١) من زعماء حركة الاستقلال الهندية وأحد مؤسسى حزب سواراج (الحكم الذاتى) ثم انضم الى حركة غاندى ودخل السجن أكثر من مرة . ووالدتها « كمالا » كانت من أبرز وأحب الشخصيات النسائية فى الهند ، وعمتها فيجايا لاكشيمى كانت سياسية بارزة وممثلة للهند فى منظمة الأمم المتحدة . وزوجها فيروز غاندى (ليس من أسرة المهاتما غاندى) كان نائباً فى البرلمان ذا خط مستقل عن حزب المؤتمر .

ولكن تاريخ الأسرة وحده لايكفى لحكم دولة مثل الهند بمساحاتها الشاسعة ، وتعدادها الضخم ، وشعوبها المتباينة ، وعقائدها ولغاتها الكثيرة ، يضاف الى كل ذلك الفقر الشديد وقسوة المناخ وخشونة الطبيعة ، مما يجعل حكم الهند مهمة صعبة للغاية ، دعك من محاولة النهوض بها ورفعها الى مصاف الأمم العظيمة .
ولاشك أن انديرا كان لها من الصفات الشخصية ما جعلها قادرة على تحقيق هذه المهة الصعبة ، وفى مقدمة هذه الصفات التصميم والارادة والغريزة السياسية ، وهى إن لم تكن من طراز الحكام المفكرين أو الفلاسفة كوالدها نهرو ، فقد كانت شخصية عملية من الطراز الأول ، وكانت تفهم فلسفة القوة واستطاعت أن تطبقها اكثر من مرة ثم سقطت ضحية لها فى النهاية .

وفى بلد كالهند حيث يقتات الناس بالأساطير ، ويختلط الخيال بالواقع ، من



أنديرا غاندى فى سنوات الشباب

الممكن أن تصبح انديرا أسطورة ، يرفعها البعض الى مكانة عالية ويخفضها آخرون الى درك الشياطين ، فالخلاف حول انديرا غاندى سوف يستمر شأن ما يحدث لكل العظماء

ولكن بدلاً من اصدار الأحكام العامة ، بالمدح أو القدح ، بالتصويب أو بالتخطئة ، قد يكون من الأنسب أن نتتبع باختصار قصة حياة أنديرا غاندى ونتركها تتحدث عن نفسها .

الطفولة والشباب

ولدت انديرا ، واسمها الأصلى برى يار دار شيئى ، فى مدينة الله اباد يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٧ فى أسرة برهمية غنية من كشمير ، كان والدها جواهر لال نهرو قد اتم تعليمه فى كلية هارو بجامعة كامبردج وتزوج من والدتها كمالا كاول وهى ابنة تاجر كشميرى يقيم فى دلهى ، كانت كمالا جميلة ، ولكن سيدات أسرة نهرو لم يعتبرن أسرتها مكافئة لهن ، ولم يرحبن بها داخل أسرتهن . وقد انعكس ذلك على انديرا ، الثمرة الوحيدة لذلك الزواج ، فنشأت على علاقات متوترة مع معظم سيدات الأسرة ، وهذا ما يفسر الخلاف الشهير فيما بعد بينها وبين عمتها أخت نهرو الشهيرة فيجايا لاكشيمى بانديت .
كان بيت أسرة نهرو فى الله اباد عريقاً ثرياً لا تنقصه كل وسائل الترف المعتادة فى بيوت الأغنياء الذين يأخذون بأساليب

الحضارة الغربية ، ولكنه لم يكن بالبيت السعيد بالنسبة لطفلة رقيقة حالمة ، فقد كان مركزاً للحركة الوطنية التى تهز البلاد من أقصاها الى أقصاها ، ونشأت أنديرا فى جو سياسى متوتر بين كبار السياسيين والمناضلين فى عصر أبيها .

وعاشت أنديرا معظم طفولتها وحيدة لأن أباها وأمها كانا يدخلان السجن مرارا ، ثم انضم جدها المحامى الكبير موتيلال نهرو الى حركة العصيان المدنى التى يقودها غاندى ، وذلك بعد مذبحة امريتسار عام ١٩١٩ التى قتل فيها مئات الهنود بالبنادق البريطانية ، وترك المحاماة وتفرغ للسياسة ، وهجر بالتالى حياة الدعة والثراء ، ونال هو الآخر نصيبه من لعنة السجن .

فى تلك الأيام قررت انديرا أن تصبح فى المستقبل مثل جان دارك ، الفتاة الفرنسية التى حاربت الانجليز وصارت عنواناً للحركة الوطنية الفرنسية ، وكثيراً ما كانت تشاهد وهى تمثل دور جان دارك وهى تحارب الانجليز وقد رفعت بيسراها العلم الذى يلهب افئدة الثوار .

ولكن تعليمها كان متقطعاً ومتغايراً ، فقد أمضت بعض الوقت فى المدرسة الدولية بجنيف ، وعادت حيث دخلت عدة مدارس فى الهند . وقضت أياماً سعيدة فى جامعة شانتينيكتان **Shantiniketan** التى أنشأها الشاعر والزعيم الروحى رابندرانات طاغور فى البنغال وأخيراً ذهبت الى اكسفورد فى عام ١٩٣٧ بعد عام من وفاة امها بالسل فى سويسرا . وقد تمتعت باقامتها فى اكسفورد ولكنها كانت شديدة الحنين للعودة الى الهند ، والى أبيها ، وأخيراً عادت الى بومباى فى عام ١٩٤١ ، بعد قيام الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحصل على اجازتها الجامعية ، ولكن كان فى معيتها الشاب الذى ستتزوجه فيما بعد ، فيروز غاندى ، وهو طالب بارسى (بهائى) أحبها بشدة ولكن باحترام بالغ منذ كانت فى السادسة عشرة من عمرها .

وزارت انديرا والدها فى السجن ، وأبلغته انها قررت أن تتزوج فيروز ، ولم يسعد نهرو بالنبأ أو بعودتها دون اكمال دراستها ، وكان الزواج بين الطوائف الدينية المختلفة فى ذلك الوقت غير مألوف

كما هو الآن ، بل يثير كثيراً من الاستياء والرفض العام . ولكن المهاتما غاندى تكلم فى صف هذين الشابين الصغيرين اللذين حطم حبهما أغلال التقاليد البالية ، وتزوجت انديرا وفيروز فى أوائل عام ١٩٤٢ .

أنجبا ولدين ، راجيف وسانجاى ، ولكن زواجهما لم يكن سعيداً ، بصفة خاصة نتيجة للمجتمع المحافظ الذى يعيشان فيه ، وعندما جاء الاستقلال وأصبح نهرو أول رئيس وزراء للهند وجدت انديرا أن من واجبها أن تتفرغ لأبيها وتعتنى بشئونه ، وهو الأرمل الوحيد المثقل بالمسئوليات ، فلحقت بمنزل ابيها كابنة ومضيفة وسكرتيرة . ولم تكن العلاقات بين الأب والزوج على ما يرام خاصة وقد استطاع فيروز أن يطور مستقبله السياسى بصفة مستقلة كعضو معارض فى مجلس النواب ولذلك آثر فيروز أن يبتعد عن أسرته ويعيش وحيداً ولكنهما كانا يلتقيان باستمرار . ومات فيروز فى عام ١٩٦٠ ولم تتزوج انديرا من بعده ، وظلت تحمل اسمه .

فى معية نهرو

قامت انديرا بدور المضيفة لأبيها من عام ١٩٤٧ حتى وفاته عام ١٩٦٤ ، وخلال هذه الفترة الطويلة كانت تصحبه فى رحلاته للخارج ، وتشارك فى استقبال الزعماء العالميين الذين يزورون دلهى ، مما جعلها تتعرف على كل أصدقاء أبيها البارزين فى الهند وخارجها ، والأهم من ذلك انها خبرت المسرح السياسى الهندى عن كثب ومن موقع فريد ، وعاشت فى قلب كثير من العواصف التى ألمت بالبلاد ، وكانت ترقب بعين يقظة دوافع وأساليب زملاء أبيها ، كانت تراقبهم باهتمام بينما كان هؤلاء يتجاهلونها الى حد كبير باعتبارها مجرد ابنة نهرو وسكرتيرته ، ولذا عندما جاء الوقت لتعاملهم من مركزها كرئيسة للوزراء كانت تعرف كل شىء عن نقاط قوتهم وضعفهم .

وقد لاحظت انديرا أيضاً أن والدها يضعف أمام الاستمالة والرجاء ، وكثيراً ما يخسر بسبب تردده وعدم حسمه للأمور ، وقررت أن يكون أسلوبها مختلفاً



صورة نادرة لأنديرا مع الزعيم غاندى

دون القاء كبير بال الى الشكليات الدستورية ، والولاءات الشخصية ، وآراء المنتقدين .

واستطاعت أن تقدم نموذجاً مبكراً لأسلوبها الشخصى الجديد عندما انتخبت رئيسة لحزب المؤتمر عام ١٩٥٩ بفضل نفوذ أبيها وتأييده الضمنى . إذ أثبتت ديناميكية هائلة وعملت على اسقاط حكومة كيرالا الشيوعية التى كانت قد انتخبت بطريقة ديمقراطية ، وتحالفت فى سبيل ذلك مع الاشتراكيين والرابطة الاسلامية بل قيل إنها قبلت ــ على حد اتهام الكاتب الامريكى باتريك دانييل مونيهان ــ أموالاً من وكالة المخابرات المركزية الامريكية لتحقيق هذا الهدف .

وفى العامين الأخيرين قبيل وفاة أبيها ، عندما اشتد عليه المرض ، أصبحت انديرا مناط الحل والربط ، فاذا جاء أحد من السياسيين أو الوزراء للحديث معه فى أى شأن هام كان يقول له : « ابحث الأمر مع انديرا » ، لدرجة أن بعض الأذهان تهيأت فعلا لقبول انديرا رئيسة للوزراء بعد وفاة ابيها . ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، فعندما مات نهرو فى عام ١٩٦٤ خلفه السياسى اللين العجوز لال بهادور شاسترى متغلباً بذلك على مورارجى ديساى وزير المالية السابق الذى كان نهرو قد طرده من منصبه قبيل وفاته والذى كان زعيماً للجناح اليمينى فى حزب المؤتمر . وقام شاسترى بتعيين انديرا فى وزارته لأول مرة كوزيرة للاعلام والاذاعة . وأسرها

ديساى فى نفسه .

رئاسة انديرا

ولكن لال بهادور شاسترى توفى فى يناير عام ١٩٦٦ وأصبحت انديرا غاندى رئيسة للوزراء كحل وسط لارتضاء الجناحان اليمينى واليسارى فى الحزب الحاكم . غير ان زعامتها تعرضت للتحدى المستمر من جانب الجناح اليمينى للحزب بزعامة مورارجى ديساى ، وكان عليها أن تقبل ديساى كنائب لرئيس الوزراء فى عام ١٩٦٧ . وأخذ الكثيرون ينتقدون زعامتها ــ أو بالأحرى غياب زعامتها ــ وبدأ بعض « صانعى الملكة » يبحثون عن بدائل أخرى .

ولم تلبث أن واتتها الفرصة لاظهار معدنها الصلب بعد وفاة زاكر حسين رئيس الجمهورية فى صيف ١٩٦٩ ، فقد تحركت زعامة الحزب لملء المنصب الشاغر بأحد رجالها وهو سانجيفا ريدى ، وكان هو نفسه من خصوم انديرا ، ولكن انديرا أصرت على مرشحها الخاص ف . ف . ريدى الذى كان نائباً لرئيس الجمهورية ، وألقت بكل ثقلها وراءه حتى انها استخدمت سلطتها كرئيسة للوزراء فى اصدار مراسيم لصد مناورات خصومها (وقد حكمت المحكمة العليا فيما بعد بعدم دستورية بعض هذه المراسيم ولكن ذلك لم يكن ليجعلها غير فعالة فى أوانها !) .

وصورت انديرا الصراع على انه معركة ايديولوجية لانقاذ الروح الاشتراكية لحزب المؤتمر ، وانتصرت فى المعركة وانتخب ريدى رئيساً للجمهورية ، ولكن حزب المؤتمر انقسم نتيجة لذلك وظهر حزبان كل منهما يدعى انه حزب المؤتمر . ولما كان الفريق الذى يناصرها هو الذى يتمتع بمنصبى رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية لذلك أصبح الفريق الآخر بزعامة ديساى فى حالة سيئة .

وأعلنت انديرا أن حزبها ، الذى سمى من الآن فصاعداً بحزب المؤتمر الحاكم ، سيتجه نحو اجراء تغييرات راديكالية فى المجتمع كالاصلاح الزراعى وتأميم البنوك ومصادرة ثروات المهراجات ، وقررت



أنديرا غاندى .. لقطة فى اليوم الذى سبق اغتيالها

انديرا أن تحصل على تأييد انتخابى لهذا الاتجاه . فأعلنت عن اجراء الانتخابات البرلمانية الخامسة فى مارس ١٩٧١ أى فى موعد مبكر عن موعدها الأصلى بعام .

وجاءت نتيجة هذه الانتخابات بمثابة نصر شخصى كبير لانديرا غاندى . إذ حصل حزب المؤتمر الحاكم على ٣٥٠ مقعداً من ٤٤٠ دائرة تنافس فيها الحزب ، وأصبح له وحده أغلبية الثلثين فى مجلس النواب (الذى يضم ٥٢٠ مقعداً) وهى أغلبية كافية لاجراء التعديلات الدستورية والاصلاحات الراديكالية المطلوبة . أما حزب المؤتمر القديم بزعامة ديساى فقد حصل على ١٦ مقعداً فقط ، وحزب سواتانترا اليمينى ٨ مقاعد ، والاشتراكيون ٣ مقاعد . أما حزب جان سينغ فكان الحزب اليمينى الوحيد الذى حافظ على بعض الاستمرارية إذ حصل على ٢٢ مقعداً . وعاد الانفصاليون التاميليون بـ١٣ مقعداً (٢٥ فى السابق) وحصل الشيوعيون الموالون لبكين على ٢٣ مقعداً . والشيوعيون الموالون لموسكو على ٢٥ مقعداً .

ومعنى ذلك انتصار كاسح لحزب المؤتمر الحاكم بزعامة انديرا ، وهزيمة ساحقة لليمين بمختلف فصائله ، وانتقال المعارضة ذات الوزن لليسار . وفى ٩ أغسطس ١٩٧١ وقعت انديرا معاهدة سلام وصداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

قمة قوتها

وإذا كان عام ١٩٧١ قد بدأ بهذا النصر الانتخابى الحاسم لانديرا فقد انتهى العام بمشكلة المواجهة بين الهند وباكستان .

والذى حدث أن سكان الاقليم الشرقى لباكستان (البنغال القديمة) أخذوا يطالبون بالحكم الذاتى . وتدخل الجيش الباكستانى لاخماد حركتهم الانفصالية واعادة الاقليم الى الحكم المركزى ، وتدفقت اعداد من اللاجئين على الهند ، وشكل ذلك مشكلة ضخمة ومتفجرة للحكومة الهندية ، وحتى قبل أن تصل مشكلة اللاجئين الى ذروتها واجهت حكومة دلهى السؤال الصعب : هل تقف ساكتة بدعوى أنها مشكلة داخلية لباكستان أم تتدخل لخلق دولة بنجلاديش الجديدة ؟ ومع احتدام مشكلة اللاجئين لجأت إلى الخيار الثانى . وفى نهاية ابريل ١٩٧١ قررت الحكومة الهندية تأييد الثورة البنغالية حتى إذا استدعى الأمر التدخل العسكرى .

وأحرز التدخل الهندى فى صالح بنجلاديش نجاحاً على المستوى العسكرى والمستوى الدبلوماسى معاً . ففيما عدا الولايات المتحدة والصين الشعبية ــ اللتين انتقدتا التصرف الهندى بشدة ــ آثرت معظم العواصم العالمية الصمت . والبعض أيد الهند صراحة .

وفى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧١ سلمت القوات الباكستانية فى دكا (عاصمة الاقليم الشرقى) للقوات الهندية والبنجلاديشية . وانسحبت كل القوات الهندية من بنجلاديش فى ١٢ مارس ١٩٧٢ ، وأمدت الهند جارتها الجديدة بنجلاديش بمساعدات سخية . ثم جرت محاولة لتخفيف التوتر الشديد بين الهند وباكستان باللقاء بين انديرا غاندى وذو الفقار علي بوتو فى سيملا بالهند من ٢٨ يونيو الى ٣ يوليو ١٩٧٢ حيث اتفقا على تسوية المشكلات القائمة بالتفاوض الثنائى المباشر وقبول خط وقف اطلاق النار ليوم ١٧ ديسمبر ١٩٧١ .

وأدى هذا الحدث الى زيادة شعبية انديرا غاندى فى بلادها . فمضت فى خططها الخاصة باجراء أول تفجير ذرى هندى فى صحراء راجستان (مايو ١٩٧٤) ثم ضم سيكيم الى الاتحاد الهندى فى العام التالى .

كانت أنديرا غاندى فى تلك السنوات فى قمة قوتها وتألقها وبدت كحاكمة مطلقة للهند رغم أخذها بالنظام الديمقراطى .

أزمة الديمقراطية

هذا النجاح الكبير كان يحمل فى داخله بذور الانهيار السريع ! فقد أدى الى زيادة توقعات الجماهير وآمالها على نحو لم تستطع الحكومة أن تحققه . ولم يستطع النصر أن يخفف من حدة المشاكل الاجتماعية والإقتصادية فى الداخل خاصة بعد أن خاب الأمل فى « الثورة الخضراء » التى وعدت بها انديرا غاندى الجماهير فى اوائل عقد السبعينات نتيجة للقحط الشديد الذى حدث بين عامى ١٩٧٢ ــ ١٩٧٤ .

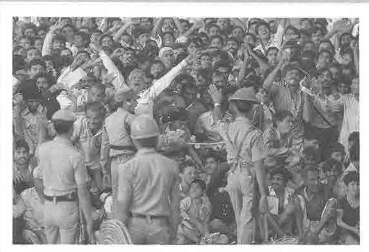
ومع كساد الانتاج الصناعى انتشرت القلاقل العمالية والاضرابات والمظاهرات وبدا المستقبل الاقتصادى مظلما . والحق ان كثيرا من أسباب هذه الحالة كان خارجا عن ارادة انديرا غاندى . ومن هذه الأسباب التضخم العالمى والتدهور المفاجئ فى التجارة الخارجية الهندية وزيادة أسعار البترول الى اربعة أضعاف فى اواخر عام ١٩٧٣ نتيجة لحرب اكتوبر وأزمة البترول فى الشرق الأوسط .

وسرعان ماوجدت انديرا غاندى ان

الأغلبية الكاسحة التى تتمتع بها فى مجلس النواب (لوك سابها) وفى المجالس التشريعية لمعظم الولايات لاتفيدها شيئا فى تخفيف حدة السخط الشعبى بسبب المتاعب الاقتصادية . وفى ولايتى بيهار وجوجارات بالتحديد وصلت المعارضة الى حدود مرعبة وبدأت أحزاب اليمين واليسار والوسط تتألف تحت قيادة الزعيم الاشتراكى القديم جايا براكاسن نارايان (صديق غاندى) الذى خسر الانتخابات فى دائرة انديرا غاندى عام ١٩٧١ . وقاد نارايان حملة ضخمة ضدها متهما اياها بانتهاك قوانين الانتخابات وبأنها تتبع اساليب استبدادية فى الحكم . وحصلت الحملة على تأييد شعبى واسع . ووصل الأمر الى القضاء حيث طلب نارايان الحكم ببطلان انتخاب انديرا . وفى يونيو ١٩٧٥ اصدرت المحكمة العليا فى الله اباد حكما ببطلان انتخابها لما شاب حملتها الانتخابية من تجاوزات وسوء استخدام للسلطة . وكان معنى ذلك حرمانها من مقعدها البرلمانى . وسقوطها كرئيسة للوزراء .

وهنا تحركت انديرا غاندى فى حملتها الشهيرة المضادة للديموقراطية . فخلال اسبوعين أعلنت حالة الطوارئ بدعوى تعرض الأمن القومى للخطر . وخلال ليلة ٢٥ ــ ٢٦ يونيو القت القبض على آلاف من زعماء المعارضة والكوادر الحزبية وبعض أعضاء البرلمان . وفرضت الرقابة الكاملة على الصحف . وتوالت تباعاً المراسيم الوزارية بتغيير الحركات المدنية وخنق مظاهر الاحتجاج . وعندما اجتمع البرلمان كان يخلو من أى صوت معارض . وأيد البرلمان الذى صار لعبة فى يدها كل التعديلات الدستورية التى طلبتها وبعضها يهدف بوضوح الى ضمان مركزها الشخصى مثل تعديل قوانين الانتخابات بأثر رجعى بما يجعل الحكم الصادر ضدها باطلا . وبعد ثلاثة أشهر أصدرت المحكمة الدستورية العليا فى دلهى حكماً بنقض الحكم الصادر ببطلان انتخابها من محكمة الله اباد .

وقد نستطيع هنا أن نقف وقفة قصيرة لنذكر مافعلته انديرا فى يوليو ١٩٧٥ . بعد انتصاراتها السابقة . فقد اغمضت عينيها عن السبب الحقيقى لسخط الجماهير .



جماهير الهند .. خرجت لتعبر عن غضبها عقب اغتيال أنديرا غاندى

وصدقت بدلا من ذلك الشعار الذى رفعه المحيطون بها : انديرا هى الهند . والهند هى انديرا .

وتقدر بعض الدوائر عدد من سجنتهم انديرا غاندى خلال تلك الفترة بنحو ١٦٠ ألف شخص على رأسهم ديساى ونارايان وكل زعماء المعارضة بلا استثناء .

ولكن هناك الكثيرين فى الهند يعتقدون أن انديرا تصرفت على هذا النحو لصالح أمن الوطن وسلامته . فقد كان النظام الذى ساد عقب اعلان حالة الطوارئ مفيدا وضروريا لانهاء حالة من الفوضى الشاملة بدعوى الحرية . ورحب رجال الأعمال بهذا الانتهاء المفاجئ للاضرابات والتوتر المستمر فى المصانع والمكاتب . وارتاح الجمهور للانضباط فى المرافق والحياة العامة ورؤية موظفى الحكومة وقد صاروا أكثر أدباً ودقة فى اداء واجباتهم .

ولكن الى جانب فوائد الطوارئ والانضباط بدأ عامل خطير آخر يسير جنباً الى جنب ولا يحظى فى أول الأمر باهتمام كبير فى الداخل أو الخارج بسبب كفاءة الرقابة على الأنباء . ذلك هو حملة تنظيم النسل التى أشرف عليها ابنها الأصغر سانجاى .

ولم تلبث ان انتشرت كالنار فى الهشيم انباء تعقيم الرجال والقصص المرعبة عن العمليات الجراحية الاجبارية التى يقوم بها اعوان سانجاى . وكذلك هدمت آلاف المساكن فى ازقة دلهى بدعوى تنظيف المدينة دون الاهتمام بايجاد مأوى بديل لسكانها . وأخذ رجال البوليس والموظفون يتصرفون بقسوة وفظاظة . ومرة أخرى بدأ يتزايد السخط وينصب على رأس انديرا وابنها .

السقوط المرير

ويذكر كاتب هذه السطور انه زار الهند فى خريف ١٩٧٨ ــ بعد عام من سقوط انديرا غاندى ــ وأمام جبل فى جنوب الهند قال لى أحد المثقفين الهنود انه يعيش فى قمة هذا الجبل صوفى صالح (ماهاريشى) يعد بمثابة الزعيم الروحى لجنوب الهند الذى هو معقل التأييد لانديرا غاندى . وان انديرا غاندى عندما كانت رئيسة للوزراء ذهبت الى هذا الماهاريشى للحصول على بركته وسؤاله عن كيفية الخروج من ورطتها . ولكن الرجل رفض أن يقابلها . وهو الفقير الضعيف الذى لا يملك شيئا من حطام الدنيا وهى رئيسة الوزراء وزعيمة الهند بلا منازع . وظلت انديرا أمام باب الرجل ثلاثة أيام تبكى بالدموع الغزيرة وتطلب المثول بين يديه . وأخيراً بعث اليها بكلمة مع أحد مريديه بأن تعود من حيث أتت وترجع أولا عن كل الاجراءات الاستبدادية التى اتخذتها . وأضاف مرافقو الهندى ان انديرا عادت بالفعل وبدأت تتراجع عن

موقفها .

وسواء صحت هذه القصة أو أن المحيطين بها أوهموها أن شعبيتها لاتزال كاسحة وقوية ، فقد أعلنت انديرا غاندى انها ستجرى انتخابات عامة فى مارس ١٩٧٧ ، وأطلقت سراح المسجونين السياسيين ، وخففت من وطأة تدابير الطوارىء .

وكانت نتيجة انتخابات ١٩٧٧ هزيمة ساحقة لانديرا غاندى وحزب المؤتمر على السواء ، اذ فقدت انديرا مقعدها البرلمانى أمام عدوها القديم راج نارايان ، وهزم سانجاى هزيمة مخجلة فى دائرة مجاورة وتعرض للاهانة والضرب من الجمهور ، وكذلك سقط كل وزرائها ومساعديها الأقربين ، وفاز فى الانتخابات حزب جاناتا (الشعب) الذى تشكل على عجل كجبهة ائتلافية من أربعة أحزاب سياسية منفصلة . واستقالت انديرا يوم ٢٢ مارس ليتولى الحكم حزب جاناتا الفائز فى الانتخابات .

وبالنسبة لانديرا فقد تجرعت كأس المرارة الى ثمالته وهى ترى منافسها القديم مورارجى ديساى الذى سجنته طوال فترة الطوارىء وقد اختير ليكون رئيساً للوزراء ، وجاجيفان رام نارايان ، الرجل الذى اعتبرته خائناً لدوداً للوطن ، يصبح وزيراً للدفاع .

عودة ظافرة

لم يكتف خصوم انديرا بما حدث لها ، وانما واصلوا عمليات الانتقام منها ، وكانت هذه غلطة سياسية وسيكلوجية كبرى من جانبهم أدت الى تكتيل مشاعر الشعب عطفاً عليها ، وبالتالى عودتها المظفرة الى المسرح السياسى .

فى أوائل شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ اعتقلت انديرا غاندى بدعوى اساءة استخدام السلطة أثناء رئاستها للوزارة ، وعندما قدمت الى قاضى التوقيف أمر باطلاق سراحها فوراً باعتبار ان احتجازها مكيدة سياسية ولاتستند على أساس قانونى . وأحدث الحادث اثارة عاطفية لدى الجماهير لم تضع انديرا فرصة استغلالها ، فبدأت حملة واسعة النطاق للتنديد بخصومها الذين يدعون الديمقراطية .

وفى مايو ١٩٧٨ قدمت لجنة التحقيق برئاسة القاضى ج .س . شاه تقريرها عن المخالفات التى ارتكبتها انديرا أثناء فترة الطوارىء ، وكان التقرير يدين انديرا وابنها سانجاى بشدة بالغة ، وطرح التقرير للبحث والمناقشة على أوسع نطاق فى البرلمان والصحف ، وارتفعت أصوات تطالب بمحاكمة انديرا غاندى ومساعديها أمام محكمة استثنائية واصدار أحكام رادعة ضدهم .

ولكن مورارجى ديساى رئيس الوزراء وخصم انديرا اللدود ، أصر على أن أى شىء يعمل يجب أن يكون طبقاً للقانون وللنظام القضائى فى البلاد ـــ وهذه وقفة تحسب له بمعايير الديمقراطية ـــ ولما كانت الاجراءات القضائية فى الهند بطيئة وبيروقراطية لذا عندما تولت انديرا الحكم مرة أخرى فى عام ١٩٨٠ كانت الدعوى القضائية ضدها لا تزال فى مراحلها الأولى .

وبدأت انديرا تطوف كل أنحاء الهند ، تخطب فى الجماهير دفاعاً عن نفسها ، وتوضح ما خفى عن الناس ، وتعلن عزمها على العودة الى المسرح السياسى لصالح الشعب والفقراء ، وبعد ٢٠ شهرا من هزيمتها الساحقة استطاعت بالفعل ان تفوز فى انتخابات فرعية اجريت فى دائرة شيكما جالور بولاية كارتاتاكا الجنوبية وهى من معاقل حزب المؤتمر ، وقد فازت بأغلبية اكثر من ٧٧ ألف صوت بعد معركة انتخابية مريرة .

وهكذا عادت انديرا الى مقعدها فى البرلمان فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٨ ، ولكن بعد شهر واحد اتهموها باحتقار البرلمان وانتهاك الحصانة السياسية بعد أن القت خطاباً عنيفاً دفعت فيه الاتهامات الموجهة اليها والى ابنها بخصوص مشروع السيارة الشعبية . واغتاظ النواب ومعظمهم من حزب جاناتا من هذا الخطاب ، وأصدروا قراراً بطردها من البرلمان وايداعها فى السجن بقية الدورة البرلمانية وكان الباقى على انتهائها أسبوع واحد .

وأرسلت انديرا الى سجن تيهار بدلهى حيث زجت من قبل بآلاف من خصومها السياسيين . وقبل ترحليها الى السجن اخذت هذه المرأة المدهشة تغنى أغنية شعبية انجليزية مطلعها :

لا تقولوا وداعـــاً ..

بل قولوا حظاً سعيداً ..

وهى أغنية كان يغنيها الجنود الانجليز قبل ذهابهم الى ميادين القتال فى الحرب العالمية الثانية !

وبدأ الحظ السعيد يبتسم لانديرا مرة أخرى بالفعل ..

فقد أخذت الصراعات الداخلية تمزق حزب جاناتا الحاكم ، ووجد ديساى نفسه معزولا عن وزرائه ، وتبادل حلفاء الأمس اقسى الشتائم والاتهامات فى البرلمان وعلى صفحات الصحف . وكان المخرج الوحيد لانتحار الزعامة السياسية الحاكمة الاعلان عن انتخابات برلمانية جديدة تتم فى الأسبوع الأول من عام ١٩٨٠ .

وسارعت انديرا غاندى الى تكوين حزب خاص من بعض أعضاء حزب المؤتمر الذين ظلوا موالين لها فى محنتها ، وأطلقت عليه « حزب المؤتمر رقم واحد » خاضت به الانتخابات كحزب متحد ضد معارضة ممزقة .

وحدثت المعجزة العجيبة .. فقد التف الشعب حول انديرا وحزبها بصورة صارخة ، وهتفت الجماهير باسم انديرا فتاة الهند ، حبيبة الفقراء ، ابنة نهرو وربيبة غاندى ، انهم لا يعرفون غيرها ولا يثقون فى أحد سواها ، واذا كانت قد اخطأت فقد نالت جزاءها وكفاية .. إنها يجب أن تعود الى الأضواء .

وحصل « حزب المؤتمر رقم واحد » على ٣٥١ مقعداً من ٥٤٢ مقعداً يضمها مجلس النواب ، كان حزباً له نجم واحد هو انديرا ، والناس ينتخبون مرشحيه حتى لو لم يكونوا يعرفونهم ، انهم ينتخبون انديرا فحسب (وهذا يذكرنا بما كان يقال فى التاريخ البرلمانى المصرى : لو رشح حزب الوفد حجرا لانتخبناه) أما انديرا غاندى فقد أظهرت تألقها الشعبى والسياسى بترشيح نفسها فى دائرتين مختلفتين فى نفس الوقت ، احداهما فى معقلها بالجنوب ، والأخرى دائرة « راى باريلى » التى هزمت فيها هزيمة ساحقة عام ١٩٧٧ وفازت فى الدائرتين فوزاً كاسحاً ، وأصبح لها بذلك مقعدان فى البرلمان لأول مرة فى



أنديرا مع والدها : نهرو

تاريخ الهند ، والأكثر مدعاة للدهشة ان ابنها سانجاى غاندى فاز هو أيضاً في دائرة «أميثى» بولاية اوتار براديش التى رفضته عام ١٩٧٧ وسحق منافسه من حزب جاناتا بأغلبية أكثر من ١٢٠ ألف صوت .

وهكذا عادت انديرا غاندى الى الحكم على اكتاف الشعب ، وعندما ألفت وزارتها الجديدة راعت أن تبعد عنها جميع الوزراء الذين اعتبروا مسئولين عن التجاوزات التى حدثت في فترة الطوارىء ، ولكن المراقبين لاحظوا أن قائمة الوزراء الجدد تضم عدداً لا بأس به من اصدقاء سانجاى .

وكان واضحاً ان سانجاى سيكون بطل المرحلة التالية في تاريخ أسرة نهرو .

متاعب حتى النهاية

عادت انديرا غاندى الى الحكم والأضواء ، وعادت الى المتاعب أيضاً .. متاعب أدت هذه المرة الى النهاية المؤلمة .

كان أول ما واجهته القلاقل الدامية التى تجتاح «آسام» ضد تزايد وجود من يسمون بالغرباء ، وهم لاجئون أخذوا يتدفقون على آسام الهندية من غرب البنغال وبنجلاديش ونيبال حيث يزاحمون الهنود ويشاركونهم رزقهم الشحيح . وكانت هناك أيضاً المتاعب الاقتصادية التى تعانى منها الهند ، وقد سارعت انديرا الى تأميم ستة بنوك هندية كبرى بالاضافة الى ١٤ بنكا كانت تحت اشراف الدولة منذ عام ١٩٦٩ وهو اجراء يقصد به تحقيق الشعبية أكثر من كونه ضرورة اقتصادية .

وفى المجال الخارجي كانت مشكلة الاحتلال السوفيتى لافغانستان شائكة بصفة خاصة بالنسبة للهند ، فالعالم يريد أن يعرف موقف الهند ازاء غزو صديقها الاتحاد السوفيتى لجارة اسلامية غير متحازة كانت دائماً على علاقات وثيقة وطيبة بالهند . وقد أعربت انديرا عن أسفها للتدخل السوفيتى في افغانستان ولكنها نحت أيضاً باللائمة على الولايات المتحدة بدعوى أنها تحاول التدخل في المنطقة . فدلت بذلك على أن شكها القديم في الولايات المتحدة لا يزال قائماً .

وكان أكبر ما يقلقها احتمال قيام الولايات المتحدة باعادة تسليح باكستان ، ومثل هذه الأسلحة قد تستعمل ضد الهند في يوم من الأيام .

وفى شهر يونيو ١٩٨٠ تلقت انديرا صدمة قاسية وغير متوقعة عندما قتل ابنها سانجاى الذى يعمل مستشاراً وثيقاً لها في حادث غامض وقع لطائرته الشراعية التى كان يزاول بها رياضته المعتادة في سماء دلهى . ولكنها تماسكت بقوة خارقة وضغطت على أخيه الأكبر راجيف ليشغل مكانه كسكرتير عام لحزب المؤتمر رقم واحد . وكان راجيف عازفاً بالمرة عن الحياة السياسية ويكرس كل وقته وطموحه لعمله كطيار مدنى على شركة الخطوط الجوية الهندية . وقد تعرضت انديرا بسبب ذلك لغضب أرملة ابنها مانيكا غاندى التى هاجمت حماتها بشدة وعلناً وانتقلت الى صفوف المعارضة .

ولكن أسوأ أزمة تعرضت لها دون شك كانت ثورة السيخ في البنجاب مطالبين بالحكم الذاتي وذهب بعض المتطرفين منهم الى حد المطالبة بالانفصال السياسى أسوة بما حدث في بنجلاديش . وشعرت انديرا بأن السماح باستقلال البنجاب سيشجع الطوائف الأخرى على المطالبة بالاستقلال عن الاتحاد الهندى الأمر الذى يدمر مبدأ الوحدة الذى تقوم عليه الهند الحديثة .

وكان من أشد زعماء السيخ تطرفاً سانت جارنايل بيندرانوال الذى اتخذ مقره مع أنصاره المتشددين داخل المعبد الذهبى للسيخ في امريتسار .

وقد حاولت انديرا غاندى في أول الأمر أن تحل الأزمة بالطرق السياسية ، ولكنها لم تصل الى شيء ، خاصة بسبب الخطوات غير المسئولة التى أقدم عليها ممثلوها المحليون في البنجاب ، وكان أن أمرت في ٦ يونيو الماضى الجيش باقتحام المعبد الذهبى واجلاء المتعصبين فيه بالقوة ، وقد نجحت العملية بالفعل ولكن بثمن مقتل ٣٠٠ على الأقل من السيخ ، وأثارت بذلك موجة من الحنق والتمرد بين السيخ في جميع أنحاء الهند ، وجعلوها هدفاً لانتقامهم الى أن تمكن منها ثلاثة من حراسها السيخ وأفرغوا فيها مدافعهم الرشاشة في أول شهر توفمبر الماضى .

وتولى راجيف غاندى الحكم من بعدها ليكون ثالث رئيس وزراء من أسرة نهرو بعد الاستقلال . وليبدأ صفحة جديدة مجهولة تماماً . وحبلى بالاحتمالات .

محمد العزب موسى



الجانب الباكستاني من بوابة الحدود في «طورخم» التي تصلها عبر ممر خيبر الذي يتلوى كأفعى كونية هائلة

خيبر
ملك ممرات الأرض قاطبة

- تفترصه .. يضربك بمنتهى القسوة .. إنه من أبناء الممر!
- مع كل العنف فإن شعار الجميع هو: الكرم لكل ضيف!

بقلم: عبد التواب عبد الحي



الجانب الأفغانى الذى يقودك إلى «قبقاى خيبر» .. أو خيبر الصغير!

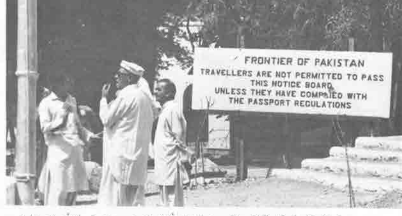
ليس بين تضاريس الأرض ممر له شهرة «ممر خيبر» وأهميته التاريخية والاستراتيجية. إنه ملك ممرات الأرض قاطبة!

وهو يقوم بدور «بوابة الحدود» بين أفغانستان وباكستان الآن. لكنه عبر تاريخه الطويل قام بدور أكثر خطورة كمعبر للغزو وطريق للتجارة بين وسط آسيا وشبه القارة الهندية. منه مرت أسماء غزاة أثاروا الرعب فى أوصال التاريخ، مثلما أثاروا الهلع فى نفوس قبائل المنطقة: الإسكندر الأكبر. جنكيزخان. وتيمور لنك .. ومنه دخل الإسلام من شبه الجزيرة العربية إلى قلب شبه القارة الهندية .. هادياً ومبشراً!

يقول هيرودوت إن سكان منطقة ممر خيبر وجباله الشاهقة كانوا ينتمون إلى قبائل باكتيا «Pactyae». وهم نفس القبائل التى تعرف الآن باسم «الباختون». قبائل باكتيا هذه تفرعت على مر الزمن إلى أربعة بطون: الأفريدى. والشينوارى. والمولاجورى. والشيلمان. لكن الأفريدى هم أكبر بطون الباختون. لهم ملامح مقدونية ورثوها عن جنود الإسكندر الذين عبروا الممر واستقروا فى وادى بيشاور. تجد بين شباب الأفريدى من يشبه فى سحنته «أبوللو». وبين الملتحين منهم من يتمتع بجاذبية «زيوس»!

لكن قبائل الباختون ببطونها الأربعة ـ ١٥ مليوناً ـ اسمها بالكامل: دارا آدم خيل! ـ هى مصنع سلاحهم المتنوع وذخائره.

إنها مسيرة ساعة بالسيارة من مدينة بيشاور. تدخلها كأنك دخلت بيت جحا. متاهة من الممرات المعقدة والمتقاطعة. يختلط فيها أزيز مخارط الحديد، بطرقات



رغم كل الظروف فإن القبائل تتنقل بين باكستان وأفغانستان بغير جواز سفر ولا تأشيرة دخول !

السندال العنيفة ، بطلقات الرصاص يطلقها المشترون في الهواء من بنادقهم الجديدة ليتأكدوا من خلوها من العيب ! إنه خط انتاج حربي كامل . وهم يصنعون الأسلحة الخفيفة بدءاً من البندقية لي أنفيلد البريطانية ، إلى البندقية الروسية « إيه . كيه . ٤٧ » ، كما يصنعون قطع الغيار لمدافع الهاون ، والرشاشات الثقيلة ، والمدافع المضادة للطائرات . ويخططون بطموح لصناعة مدافع الميدان « هاوتزر » والمدافع عديمة الارتداد من كل العيارات !

....

أصعب جزء في الرحلة إلى ممر خيبر ! التصريح بدخوله ! ــ فالممر مغلق لم يدخله صحفي منذ عامين على الأقل . حتى كبار زوار باكستان نادراً ما يطلبون زيارة الممر التاريخي ، ونادراً ما يسمح لهم بذلك ! وآخر من سمح لهما بزيارة ممر خيبر هما جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي الذي زاره في سبتمبر العام الماضي .. وتلاه كاسبر واينبرجر وزير الدفاع بزيارة مثيلة في ديسمبر من نفس السنة . إنها دواعي الأمن الشديدة . فممر خيبر هو المفتاح الشمالي لأراضي باكستان ، وشبه القارة الهندية بأسرها . ثم إن الممر ، والسهول حوله ، يشكلان ضلعاً فيما يسمى « المثلث الذهبي » لزراعة الأفيون وتجارة الهروين ، والضلع الثاني شرقي إيران ، والثالث جنوبي تايلاند . وقد شنت قوات الأمن الباكستانية حملة على المنطقة قبل أن أدخلها بأسبوعين ، وحطمت تجهيزات تصنيع الهروين داخل بيوت تجمعات القبائل الجبلية !

.. لدواعي الأمن الشديدة هذه لم يكن سهلا عبور ممر خيبر إلى مدينة طورخم على الحدود الباكستانية الأفغانية . اقتضى الأمر موافقة خاصة من الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق . وحراسة مسلحة رافقتنا الطريق حتى الحدود !

الحياة على الحدود

الطريق إلى ممر خيبر يبدأ عند قلعة جمرود شرقي مدينة بيشاور ، باب صخري ضخم مكتوب عليه « بابة خيبر » . تلجه فتجد الطريق يتلوى كأفعى كوثية هائلة باتجاه شمال الغرب ، ويطول ٤٠ كيلومتراً حتى الحدود الأفغانية . لكن ممر خيبر يمتد بعد ذلك داخل أفغانستان بطول ١٦ كيلومتراً أخرى ، تبدأ قرب قرية دكا الأفغانية باختناق صغير بين سلاسل الجبال ، ويسمونه : خيبر الصغير .. أو « قمقاي خيبر » بلغة الباشتو !

نعود إلى بداية الممر بعد بوابته قرب قلعة جمرود .. يمتد طريق الأفعى تحاصره من كل اتجاه سلسلة جبال سليمان « شوليمان » ، يصل ارتفاع بعض قممها إلى ١٢ ألف قدم ، وتعتبر امتداداً جغرافياً لجبال هيملايا .. سقف الدنيا ! والمنظر يأسر . سفوح جبال سليمان بتموجها .. بانحدارها الوعر .. بألوانها التى يتزاحم فيها البني والرمادى ، فيفسح لهما اللون البرتقالي الطريق .. كأنها مسرح رومانى مدرج متعلق يعرض مسرحية بالغة الأهمية .

يتلوى الطريق في ممر خيبر تحت أقدام جبال سليمان . بينما يستقيم خط السكة الحديد الذى أنشأه الإنجليز ليربط بين مدينتي بيشاور ولانديكوتال ، مخترقاً جروف جبال سليمان في أنفاق عديدة متفاوتة الطول . ومع ذلك فإنك إذا ركبت هذا القطار الأثرى الذى يقوم بهذه الرحلة مرة واحدة كل يوم خميس ، فإنك تحس أنه يمشي طلاعا نزالا وكأنه قطار مدينة الملاهي !

يرتفع طريق الممر بعد ذلك حتى يصل ارتفاعه إلى ٣١٤٧ قدماً ليمر بقرية « علي مسجد » . ويواصل الارتفاع إلى ٣٥١٨ قدماً ليمر بمدينة « لانديكوتال » . ثم يهبط الطريق وسط سهل تتناثر فيه قرى قبائل الشينواري ، ويواصل الهبوط بانحدار شديد الى مدينة « طورخم » حيث الحدود بين باكستان وأفغانستان ، بوابة الحدود ، عندما افتتحها مؤسس باكستان محمد علي جناح في ١٤ إبريل ١٩٤٨ ، شد على أيدى جنود حرس الحدود الأفغان ، وقال : « إننا إخوة .. ولن يستطيع أحد أن يفرق



أجولة الأرز والقمح إلى أفغانستان ، مقابل الأجهزة الكهربائية !



عربات النقل بالأجرة عبر بوابة الحدود !

بيننا » . روى لى الواقعة الشيخ محمد وزيرخان الضابط السياسى الباكستانى المسئول عن بوابة الحدود ، والذى شهد افتتاحها بعد ثمانية أشهر من إنشاء دولة باكستان . ثم أشار بحرارة إلى الجنود الأفغان على الجانب الآخر من البوابة .. كانوا منهمكين فى تعليق الأعلام ذات اللونين الأحمر والأسود .. بينما شرعوا فى السماء لافتة طويلة تقول بلغة الباشتو المكتوبة بحروف عربية : « دا انقلاب ضدش منائو آخرى سنجرونا مات كرى » .. والترجمة : أعداء الثورة يجب سحقهم ! لكنى رأيت بعض الجنود الافغان يؤدون صلاة الظهر جماعة !

والحركة على بوابة الحدود الباكستانية الأفغانية ، رغم كل شىء ، نشطة جداً . أجولة الأرز والقمح والخضر ، محمولة على الظهر أو الأكتاف أو عربات اليد ، تأخذ طريقها من باكستان إلى داخل أفغانستان .. وتعود بدلا منها صناديق المراوح والخلاطات والمسجلات والأجهزة الكهربائية . بعض ذلك يتم بالطرق المشروعة عبر بوابة الحدود ، والأغلب يتم تهريباً عبر مسالك أخرى جبلية ! وحركة رجال القبائل عبر الحدود تتم بغير جواز سفر أو أية إجراءات رسمية . فقبائل الباختون تفترش منطقة الحدود الباكستانية الأفغانية ، وتمتد حتى جلال أباد .. حتى كابول العاصمة . ولا يمكن ضبط هذه الحركة ذهاباً وإياباً بأى إجراء رسمى ! لكن الطلبة الباكستانيين فى جامعة كابول ، والطلبة الأفغان فى جامعة بيشاور ، وغيرهم من رجال الأعمال المترددين على بوابة الحدود ، يحملون جوازات السفر ، ويخضعون للإجراءات الرسمية !

قبائل مقاتلة

دعانا « الشيخ فضل » على الغداء فى بيته بإحدى القرى القريبة من مدينة لانديكوتال . ليس للقرية اسم تحمله . إنه مجرد تجمع قروى يضم عدداً من البيوت ، ومسجداً صغيراً ، قرب إحدى قمم جبال سليمان . على مرمى حجر من القرية ممر صغير يقود إلى الأراضى الأفغانية !

والبيت ، مثل كل البيوت حوله ، قلعة مستقلة . غرف قليلة متناثرة ، يتوسطها حوش واسع . ويحيط بالبيت سور من الطوب المغطى بالطين بارتفاع عشرة أمتار . تتوسطه بوابة حديدية ضخمة هى مدخل البيت ومتراسه . وفوق السور ، فى كل ركن من أركانه الأربعة ، دشمة صغيرة تطل منها فوهة مدفع ماكينة ٥٠ مللى !

والشيخ فضل ينتمى إلى قبائل الشينوارى إحدى بطون قبائل الباختون . جاء أولاده وأحفاده . حلقنا فى حوش الدار فوق عدد من « التشهار باى » .. هكذا يسمون السرير بالفارسية ، وبلغة الباشتو يسمونه « كت » .. قوائمه من الخشب ، ومسطحه من نبات « التورى » المجدول ، وهم يستعملون السرير للجلوس نهاراً ، وللنوم إذا جاء الليل !

واستمر الحوار بيننا قبل الغداء وبعده ساعات طويلة . استطعت أن أستكشف جوانب كثيرة من الشخصية الباختونية القبلية . فى الغضب والنزاع تحكمهم فلسفة « Badal » أو البدل .. وتقوم على القصاص ، السن بالسن والعين بالعين . وهم يتنازعون بشدة حول أشياء محورية محددة : النقود ، التجارة ، الأرض ، والعرض ! وإذا لم يستطع شيوخ القبيلة حل النزاع ، فالبندقية هى الحكم ! والثأر عندهم لأى إهانة . وقد يطول الثأر المتبادل لقرون ، دون أن يهدأ أو ينتهى ! من أقوال شاعر الباختون الشهير « خوشال ختاك خان » الذى عاش فى القرن الثامن الميلادى : « إنى أحتقر الرجل الذى لا يحمى حياته بشرف . ولا يحمى شرفه بكل قوة وسلاح . إن فكرة الشرف المثلوم تكاد تورثنى الجنون » ! والشرف عند الباختونى ليس مظهراً . وإنما فلسفة وأسلوب حياة .. : « تقرصه ، يضربك بمنتهى القسوة .. إنه باختونى » !

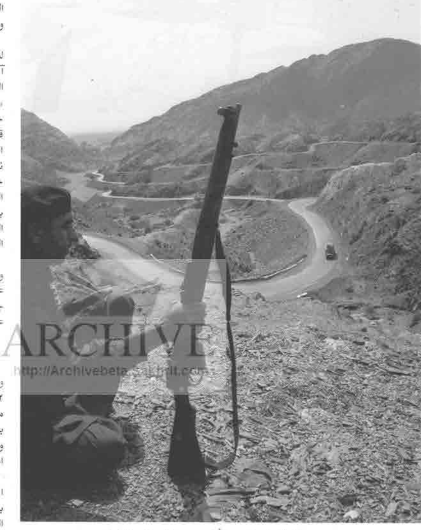
هذا العنف فى السلوك ، والصلابة فى التكوين ، للغريب تلين .. وتمنحه حق اللجوء والحماية ، وهو ما يسمى فى فلسفتهم "Nanawati" . تقترن بها فلسفة "Melmastiya" ، أو الكرم لكل ضيف !

لو لم يكن الباختونى شخصية مقاتلة عنيدة ، صلبة مثل جلمود جبال سليمان ، ما صمد حتى الآن ضد الغزوات العنيفة المتعاقبة عبر التاريخ الطويل كما سيجيء تالياً .. ولفقد استقلاله ، واندثر فلم تبق منه سوى جماجم وحفريات !

بدايات الممر التاريخى

ليس هناك ممر على سطح الأرض كان معبراً لغزوات كثيفة ومتعاقبة مثل ممر خيبر . فى سمائه تجمعت دائماً السحابات التى صنعت بدايات التاريخ فى أفق الزمن !

وأول من فتح ممر خيبر كمعبر للغزو كان الجنس الآرى — أو الهنود — جاءوا من وسط آسيا فى القرن ال ١٦ قبل الميلاد ، واستوطنوا شبه القارة الهندية . وفى القرن السادس قبل الميلاد استعمر الفرس منطقة ممر خيبر ووادى بيشاور وأصبحت ولاية فارسية ! ثم جاء الإسكندر الأكبر بجيوشه .. صحيح أن الإسكندر إستعمل طريقاً شمالياً عبر منه إلى شبه القارة الهندية ، لكن معظم جيوشه اتخذت طريقها إلى وادى بيشاور عبر ممر خيبر تحت قيادة اثنين من كبار قواده : هيبايستيون



بانوراما لممر خيبر .. كأنه مسرح رومانى متدرج هائل !

« Hepaaestion » وبيرديكاس « Perdiceas » . ومنذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى القرن الأول بعد الميلاد ، اقام الكوشان امبراطورية فى وسط آسيا تضم منطقة ممر خيبر . واتخذت مدينة بيشاور عاصمة لها ! وتسللت البوذية إلى المنطقة أثناء حكم الكوشان . وبعدهم جاء الماسانيون فى القرن الثالث الميلادى . وواصل ممر خيبر تاريخه كمعبر للغزو من كل لون !

.. ثم أشرقت شمس الإسلام على الممر التاريخى .. جاء بها السلطان محمود الغازنى الذى غزا شبه القارة عدة مرات ، فى مرتين منها مر بفرسانه عبر ممر خيبر . وأعقبه شهاب الدين محمد الغورى سنة ١١٨٥م الذى قضى على دولة الهندوس التى حكمت شبه القارة قرابة ٧٠٠ سنة . وأسس دولة دلهى المسلمة !

ومن سمرقند جاء أمير التتار تيمورلنك ليمد نفوذه إلى ممر خيبر ومعظم جنوب آسيا ، وبعده جاء الامبراطور بابار المغولى الذى صاهر قبائل الباختون بأن تزوج « بيبى مباركة » ، وأسس دولة المغول التى حكمت شبه القارة الهندية طوال ثلاثة قرون . ثم حانت نهاية دولة المغول فى الهند سنة ١٧٣٩ ، على يد امبراطور الفرس نادر شاه عفشار الذى عبر بجيوشه ممر خيبر واستولى على دلهى .. وعلى عرش الطاووس ، عرش امبراطور المغول المرصع بالياقوت والزمرد والماس ، وكنوز خزائنه الضخمة بما فيها ماسة « الكوهينور » العالمية الشهيرة !

لم يلبث توازن القوى بين المسلمين والهندوس أن عاد إلى شبه القارة الهندية عبر ممر خيبر سنة ١٧٦١ ، عندما عبرته جيوش المقاتل الأفغانى الباسل أحمد شاه عبدلى ، وأسس دولة أفغانستان الحديثة .

....

عندما غزا الإسكندر المقدونى ممر خيبر ووادى بيشاور ، لم يمكث فى الديار أكثر من ١٢ شهراً ، انسحب بعدها بجيوشه ، أو معظمها ، فقد بقى البعض واستوطن ! .. بعكس الإنجليز عندما جاءوا إلى المنطقة واحتلوا شبه القارة الهندية ، فقد كرسوا احتلالهم حتى دام فترة طويلة من الزمان !

وقد وصلت طلائع الجيش البريطانى الى بيشاور سنة ١٨٤٩ . سرعان ما ألحقوا بيشاور وبعض مناطق الحدود بولاية البنجاب ، واقترب الاحتلال البريطانى من ممر خيبر دون أن يجرؤ على الولوج إليه ! لكنه فعلها فى حرب الأفغان الأولى ، عندما اقتحم أحد الجيوش البريطانية ممر خيبر فى محاولة فاشلة لاحتلال أفغانستان . وبعد حرب السيخ الثانية ، نجحت القوات البريطانية فى احتلال الممر . وأقاموا فيه نظاماً من خنادق المدفعية ، فوق سفوح جبال سليمان ، تحكم منعطفات الممر وانحناءاته . هذه الخنادق الحاكمة ، مازالت حتى الآن قائمة ! واستمر الصراع

بين القوات البريطانية والمقاتلين الأشداء من قبائل الباختون خلال حرب الأفغان الثانية سنة ١٨٧٨ . وفى سنة ١٨٩٧ نجح المقاتلون من قبائل الأفريدى والشينوارى فى السيطرة على ممر خيبر وانتزاعه من قبضة الإنجليز . وجــرد الإنجليز حملة « تيراه » لاخضـاع القبائل المنتصرة . لكن المعارك بين الجانبين لم تهدأ حتى حرب الأفغان الثالثة سنة ١٩١٩ ، والتى سجلت فشل الاحتلال البريطانى للمرة الثالثة فى التقدم نحو افغانستان !

تحت تراب ممر خيبر وصخوره هناك كثير من الجماجم البريطانية .. فقد كان لقبائل الباختون أسلوبهم الفريد فى محاربة القوات البريطانية أصحاب المعاطف الحمراء . أسلوب الكمائن الكثيفة .. تتصدى لقوات الإنجليز المتحركة وتصليها بنارها ، سرعان ما تذوب وراء الجبال وشعاب الوديان ، لتظهر من جديد فى كمين جديد !

كتب أحد ضباط حملة تيراه لتأديب قبائل ممر خيبر ــ ٨٠ ألف جندى وضابط ــ فى يومياته : « .. أحس أننا بكل قواتنا ، مجرد خيال مآته .. فى مواجهة طرود شرسة من الدبابير » ! ولخص الشاعر الإنجليزى كبلنج المعامع التى دارت على أرض الممر ، فى بيت واحد من الشعر :

« إن الرصاصة الطائرة فى الممر تصفر هامسة .. :

على كل حي أن يرتمى وسط الحشائش ..
إن شاء النجاة ! » .

جانب آخر من ممر خيبر الذى يرتفع طريقه ليصل إلى ٣٥١٨ قدما فى بعض المناطق

* * *

ونجا الاحتلال البريطانى وانسحب من ممر خيبر .. ومن شبه القارة الهندية بأسرها !

وأعلنت دولة باكستان فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، تمد نفوذها وذراعها بالرعاية إلى ممر خيبر وقبائل الحدود . انتشر التعليم . نبتت المدارس فى تجمعات القرى فوق قمم جبال سليمان . راجت التجارة . وازدهرت الحرف الصغيرة . وامتدت اسلاك الكهرباء لتضىء بيوت رجال القبائل . أينما كانت ، مجاناً وبغير عداء ! ساق الأفريدى أو الشينوارى السيارة ، وأصبح ماهراً فى الميكانيكا . أدار الملا جورى أو الشيلمان المخارط الكهربية ، ليصنع أدق قطع السلاح !

.. وفى كلمة : انتقل ١٥ مليون قبلى ، من بدايات القرن الخامس ، إلى نهايات القرن العشرين !

عبد التواب عبد الحي



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات ①

في شهر مايو ١٩٨٤ وفي العدد (١٠١) الدوحة ، توقفت مذكرات فدوى طوقان ، ثم فاجأتنا الشاعرة الكبيرة بأن مذكراتها لها قسم آخر لم يكتمل ، وهذا هو القسم الثاني من مذكرات فدوى طوقان ، ننشره ابتداء من هذا العدد ، لتكتمل بذلك واحدة من أجمل وأصدق المذكرات التي عرفها الأدب العربي المعاصر ، حيث تكتب فدوى بمنتهى الأمانة والإخلاص ، وبأسلوبها البسيط النقي العذب ، صورة حية لكل ماعاشته وعانته من تجارب في الأدب والحياة .



شهر أغسطس من عام ١٩٦١ في اسبوعه الأخير ، والماء في الحديقة العامة بنابلس لطيف شفاف ، ورواد الحديقة من أهالي المدينة يستمتعون بلطافة الجو بعد نهار قائظ لاسيما أولئك العائدون من دول الخليج والمملكة السعودية لقضاء اجازاتهم في الوطن الغالي وبين ذراعي جرزيم وعيبال المفتوحتين أبدا لاحتضانهم .

في زاوية تظللها أشجار الحديقة الشاهقة الفروع جلسنا ، ابن عمي فاروق وأنا ، نحتسي القهوة ونتبادل الحديث ، وفاروق صديقي المقرب الحميم قبل أن يكون قريبي القريب ، ظلت تربطني به أواصر المحبة منذ طفولته المبكرة ، لاأزال أذكر كيف أدركته غفوة ذات مساء فيما هو قابع في حضني ، وحين حاولت أمه نقله إلى سريره صحا فجأة وشرع يبكي متشبثاً بي رافضاً الانصياع . كان تعلقي بأطفال العائلة تعلقا غريبا ، وحين كبروا وأصبحوا شبابا وصبايا بقيت علاقة المحبة قوية راسخة الجذور مع أكثرهم ، فيما وهنت الأواصر بيني وبين بعضهم الآخر .

في تلك الأمسية الصيفية بالحديقة العامة شرع فاروق يحدثني عن تجربته الحياتية والدراسية في انكلترا ، فقد كان حينئذ طالبا في « نيوكولج » بجامعة اكسفورد وكان سيحصل على شهادته الجامعية في صيف السنة التالية .

حدثت فاروق بدوري عن حلمي البعيد وتطلعي إلى الاقامة في انكلترا عاما أو عامين ، بارك فاروق على الفكرة وتحمس لها بصدق وأكد لي أنه سيتدبر هو بنفسه ترتيب الأمور وتسهيلها فور عودته إلى انكلترا .

.. ومن أكسفورد بعث لي فاروق بالرسائل الآتية :

اكسفورد ٨ أكتوبر ١٩٦١

العزيزة فدوى حفظها الله

أكتب اليك من أقدم مدينة جامعية في الدنيا . اليوم هو يوم الأحد . وأرى سكان هذه المدينة وهم يتجهون إلى بيوت العبادة ليلاقوا ربهم مرة في الأسبوع آملين منه أن يجعل السلام يخيم عليهم وأن يبعد عنهم شبح الحرب ، فقد ذاقوا ويلاتها مرتين في هذا القرن . ترينهم لايريدون الغنى أو الرزق ـ لأنهما حاصلان ـ بل يريدون السلم والسلام .

تركت نابلس هذه المرة وكلي شوق وحنين إلى سيادة الوالد ، أدامه الله ذخرا . كلي أمل أن تمر هذه السنة الدراسية الأخيرة لأرجع وأستقر في نابلس وأكون بجانب

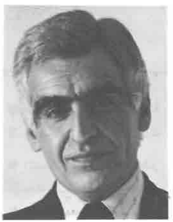
الأهل لألبي نداء كل فرد إذا ماإقتضى الأمر . لقد تركت نابلس وأنا بهذه الحالة العاطفية .

وصلت اكسفورد مرهقا من عدم النوم ، وفي اليوم التالي اهتديت إلى شقة مناسبة تتألف من غرفتي نوم وغرفة استقبال وغرفة اخرى ، لكن هذه الشقة لن تكون جاهزة قبل شهر ديسمبر القادم ، وأجرتها قليلة نسبيا فهي خمسة جنيهات في الأسبوع مع العلم أن أجرة مثيلاتها تبلغ عشرة جنيهات .

الحياة الاجتماعية بدأت تصخب في الجامعة . سيبدأ الفصل الدراسي في ١٣ أكتوبر . أمس ، السبت في ١٠/٧ كنت مدعوا إلى حفل استقبال في مقر سير وليام هاتير رئيس كليتي ، وقد رحب بي كثيرا وكذلك زوجته ليدي هاتير ، وهي خريجة جامعة كمبردج وعلى جانب كبير من اللطف . تبادلت وإياهما الحديث مايقارب من ربع ساعة ، وقد دعياني إلى تناول الغذاء في الحادي والعشرين من الشهر الحالي .

تجدين طيه قصاصة اقتطعتها من جريدة التايمز ، وهي تتعلق بالإعلانات ، ارسلها إليك لتأخذي فكرة عن مثل هذه الأمور ، وقد وضعت علامة على بعض الإعلانات التي أود أن تعرفي شيئا عنها . هناك مثلا إعلانان كل واحد منهما يتعلق بسيدة تريد أن تسكن مع عائلة . ولكن أود أن ألفت انتباهك إلى أن هذه الاعلانات تصدر يوميا ، وبعد ساعة من صدورها تكون قد قرئت من قبل المعنيين بهذه الاعلانات وذهبت جميع الفرص ، وأكبر برهان على ذلك هو أنها لاتتكرر في اليوم التالي . لذلك فأنت لاتستطيعين الاعتماد على قراءتها وأنت في نابلس ومن ثم تكتبين اليهم ، إذ أنك سترين أن القطار قد فاتك ، مع العلم أن الجرائد الانكليزية تصل إلى القدس متأخرة عن تاريخ صدورها يومين .

الذي أقترحه أنا هو مايلي : يستحسن حضورك إلى انكلترا بعد شهر ديسمبر وستجدينني أرحب بك كل الترحيب ، تسكنين معي في اكسفورد المدة التي تختارينها وأثناء وجودك في اكسفورد تنشرين إعلانا في جريدة التايمز تذكرين فيه كل ما تريدين بعد أن تكوني قد عرفت كل



فاروق طوقان .. حدثني كثيرا عن تجربته الحياتية والدراسية في انجلترا ..

ماتريدين . وأؤكد لك أنني بعد ديسمبر سوف أكون في الشقة التي أشرت اليها في بداية الرسالة ، وهي تتألف من غرفتي نوم ، وأؤكد لك أيضا بأن ذلك لن يكون مصدر ازعاج لي بتاتا ، بل على العكس ، سيكون مصدر سرور . فأنا أرحب كثيرا ومن صميم قلبي بمجيئك وبالسكنى معي المدة التي تريدينها . أحبذ مجيئك إلى اكسفورد لكي لايتغير جو الحياة فجأة ، وسوف أعرف عليك الأصدقاء والصديقات من زملائي في الكلية ، وسأدلك على أماكن شراء الخضار واللحوم ، ثم ان الحليب والخبز يرسلان الى المنزل كل صباح ، وأنا على يقين من أنني سوف أبدد كل الصعوبات التي ستلاقينها في بادىء الأمر ككل أجنبي يأتي ليسكن في بريطانيا ، وسترين أن الحياة هنا أبسط بكثير مما نتصورها في بلادنا ، وأن الحياة جميلة ويمكن أن تكون خالية من كل مايسبب وجع الرأس وتنغيص المزاج .

أخيرا أرجو أن تفكري بالأمر وأن تكوني شجاعة في الإقدام على المجيء الى انكلترا .

سلامي وتحياتي الى أفراد الأسرة جميعا ودمت .

المخلص

فاروق طوقان

اكسفورد ١٥/١١/١٩٦١

العزيزة فدوى حفظها الله

سررت كل السرور لعزمك الجدي على القدوم الى انكلترا ، خاصة الى اكسفورد في بداية الفترة . لقد بدأت من الآن أفكر في وضع برامج لك لكي تستفيدي من كل لحظة تقضينها هنا . أسأل الله أن يأخذ بيدي في تجهيز كل مايلزمك . وأصارحك ا ن بعض الأصدقاء والصديقات تواقون الى رؤيتك والتحدث اليك . أنا متأكد أنك سوف تجدين في اكسفورد الجو المناسب لك .

أما بخصوص وقت الحضور فإننا نرحب بك أي ساعة تختارينها . إذا أردت قضاء فصل الشتاء في انكلترا فشدي الرحال الآن ، أما إذا أردت تجنب برد انكلترا فإن اوائل شهر آذار تبدو لي الوقت المناسب مع العلم أن الفرق في البرودة بين شباط وآذار ليس كثيرا . على كل حال أطلب منك أن تتصلي بي فور إنهاء المعاملات الضرورية ـ الحصول على الفيزا وإذن الإقامة ـ ومن الآن كوني مطمئنة ، فان كل شيء في انكلترا منظم والزائر لايجد صعوبة اطلاقا في الحصول على أي شيء . إنني في انتظار سماع أخبارك السارة .

الحياة في اكسفورد هذا الفصل على مايرام ، فانني غارق في تحضير مقالاتي الأسبوعية ، الى جانب حضور الحفلات التي أدعى إليها . أهمها كانت تلك التي اقامها صديقي الذي زارني في نابلس مع زميلين آخرين ـ وتذكرين كم كان مثيرا لهم استحمامهم في حمام المدينة القديم ـ أمس دعيت إلى مائدة الأساتذة في كليتي والمعروفة «بالمائدة العليا» .

كنت الشخص الوحيد بين تلاميذ الكلية الذي دعي هذا العام الى تناول الطعام على هذه المائدة ، كما كنت التلميذ الذي دعي اليها في العام الدراسي الماضي . وهذا شرف عظيم جدا في اكسفورد . بعد الأكل انتقلنا من الطعام الى قاعة الأساتذة الرائعة ذات الأثاث الذي يرجع عهده الى قرون خلت وقدم لنا الحلو مع جوز وموز وفواكه على ضوء الشموع . وهذا يحدث عادة بعد العشاء مرة كل أسبوع كل يوم ثلاثاء .

وقد تناقشت مع أساتذة الكلية في عدة مواضيع لمدة ساعتين . أشكر الله الذي بيض وجهي في الإجابات على أسئلتهم التي كان بعضها «خبيثا» بمعنى تضمنها نية كشف اوراق الشخص . كانت كل إجاباتي

..وأحسست في داخلي بإشراق غريب وفرح لا أملك تصويره بالكلمات

مدعومة ببراهين وأدلة .

تبدأ عطلة الميلاد يوم الجمعة في ٨ ديسمبر لمدة ستة أسابيع ، سأذهب خلالها الى النمسا للتزحلق على الجليد هناك . ومن ثم سأذهب الى ألمانيا لبضعة أيام ثم إلى باريس . لم أخبر أحدا عن هذه الرحلة بعد . لكني سأكتب الى سيدي الوالد مستأذنا بالسفر كالعادة ، وسأخبر العم قدري والشقيق العزيز سعد .

حوالي العشرين من ديسمبر سأستلم السيارة المرسيدس الجديدة ، بدأت من الآن اعد العدة لتأمينها تأمينا كليا . أما الرحلة الى النمسا فستكون عن طريق الجامعة ، فالتكاليف ذهابا وإيابا ، مع الإقامة لمدة اسبوعين في أحسن الفنادق مع تأمين كسر الساقين أو اليدين تبلغ خمسة وثلاثين جنيها ماعدا مصروف الجيب . سيذهب معنا بعض الشباب والشابات من جامعتي اكسفورد وكمبردج . سأرجع الى انكلترا قبل يوم عيد الميلاد لأني سوف أقضي نصف العطلة الباقي في الدراسة .

هذا كل ما في الجعبة من أخباري . أدعو لك بالتوفيق والنجاح وآمل أن توافيني بالأخبار الطيبة . للجميع حبي وإخلاصي .

ودومي للمخلص المحب

فاروق

اكسفورد ٢٠ / شباط ١٩٦٢

العزيزة فدوى حفظها الله

أكتب إليك هذه الرسالة والساعة حوالي السادسة صباحا ، لم أنم طوال الليلة الماضية حيث قضيتها في تحضير أطروحة صغيرة عن « ماهو الصحيح وماهو الخطأ » وسوف القيها بعد ساعات قليلة .

أود أن ألفت انتباهك الى أن التأخير في الكتابة لم يكن بسبب الكسل أو عدم الاهتمام بموضوعك ، لكن بسبب أن المعلومات التي أود تزويدك بها وأخذ رأيك فيها لم تتوفر إلا أمس .

أرسلت إلى مسز مور رسالة على عنواني

● غريبة ووحيدة في لندن

● النظام الباهر يمضي بأمور الناس في صمت ومهابة

بنابلس ردا على رسالتي التي كنت قد بعثت بها إليها من نابلس ، ولكن ردها ذاك وصل بعد أن كنت قد غادرتكم ، ولهذا فقد أعاده العم العزيز قدري مرة ثانية الى اكسفورد .

ان أهم ما جاء في رسالتها عناوين توصيني بأن اتصل بأصحابها أسألهم عما اذا كان ممكنا أن تسكني مع إحدى تلك العائلات . وبالفعل اتصلت بالسيدات اللواتي رشحتهن مسز مور . وكان أن استلمت أمس رسالة من سيدة اسمها مارجريت فيرنش تخبرني فيها أنها مستعدة لقبولك في بيتها . تقول في رسالتها ان زوجها يدرس موسيقى في اكسفورد وان عائلتهم تتكون من ثلاثة أطفال ، يذهب الأول والثاني الى المدرسة والطفلة الصغرى تذهب الى المدرسة في الصباح فقط . ولهذا فهي لن تتمكن من تسليتك كثيرا ، وتضيف قولها بأنه في مدينتهم الصغيرة لايوجد صخب أو أي مكان يستحق الزيارة ، إلا أنها قريبة من اكسفورد ومن بلدة شكسبير ستراتفورد أبون ايفون وهي تعد بأن تتحدث معك بالانكليزية أكثر ما يمكن لكي تستفيدي من الإقامة معهم . وأخيرا تذكري بأنها ستتقاضى مبلغ سبعة جنيهات وسبعة شلنات في الأسبوع الواحد مقابل غرفة وطعام وكهرباء وتدفئة باستثناء الغسيل الخاص ، أي ملابسك .

ذهبت عصر أمس الى تلك المدينة واسمها « بامبوري » فوجدت أن مسز فيرنش تسكن في الواقع في إحدى ضواحيها . البيت قديم ولكن وسائل الراحة فيه متوفرة . والمدينة ليست بعيدة عن اكسفورد أبدا ، حوالي ثلاثين كيلومترا فقط .

أقترح أن تحضري إلى اكسفورد في نهاية آذار فتقيمي معي أسبوعين أو أكثر ثم آخذك الى بامبوري لتقيمي مع تلك السيدة بضعة اسابيع ثم نعرف ماذا تقررين بعد ذلك .

أما في اكسفورد فسوف تقيمين في الغرفة المجاورة لغرفتي ، ولحسن الحظ فإن عطلتي تبدأ مساء ٣/١٧ وتستمر ستة أسابيع .

أنتظر منك شرح وجهة نظرك بصراحة تامة ، كما أنني أقسم لك بأنني أنتظرك على أحر من الجمر لأني في حالة حزن شديد ، الحياة ماعادت تطيب لي خارج بلدي خاصة بعد وفاة سيدي الوالد رحمه الله . فوجودك بجانبي سيخفف من وطأة حنيني الى الوطن والأهل . والحقيقة أنني ماتصورت أبدا أنني سأصل الى مثل هذه المرحلة من الشوق والحنين الى العودة . لقد تشبعت من كل شيء ، وإني لأنتظر بشغف اللحظة التي ستطأ فيها قدمي أرض نابلس ، كفاني أن فيها ضريح والدي الذي كانت وفاته أشد مصيبة نزلت بي .

لهذا أرجوك مخلصا أن تحاولي الحضور في أي يوم بعد ٣/١٧ .

ودمت للمخلص

فاروق

* * *

تبقى رحلة الحياة مع الإنسان الطموح تجاوزا مستمرا لمحطات عديدة ، بدون هذا التجاوز يستحيل التجدد والاستمرار في الحياة ، ليس هناك هدف نهائي ، ليس هناك مستقر نهائي يتجمد عنده ، فالحياة حركة بالنسبة إليه تتجه دائما إلى الأمام . ان البحث الدائب عن أقاليم جديدة ، حتى لو كان بحثا ميؤوسا منه هو الذي يمنح الحياة غناها وكثافتها .

غادرت البلاد إلى انكلترا في أواخر مارس عام ١٩٦٢ وأنا أغزل الحلم عند

مرافيء التوقع المثير .

* * *

في كل رحلة من رحلاتي الجوية يطل علي أبو العلاء المعري من خلال رؤيا نبوية عجيبة كان قد أوردها في كتابه «الفصول والغايات» :

(إذا شاء الملك قرب النازح وطواه حتى يطوف الرجل في الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر طوفه بالكعبة حول قاف ــ أي حول الكرة الأرضية ــ ثم يؤوب الى فراشه والليلة ماهمت بالاسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من «تهامة» فيوقد ناره في «يبرين» وقاصية الرمال) .

هكذا ، وقبل ما يزيد على ألف عام ، ينطلق أبو العلاء المعري بمخيلته العجيبة فيستشرف في رؤيا أديب وشاعر عبقري مااخترعه الإنسان في هذا العصر من طيران وراديو وإضاءة بالتيار الكهربائي وسواها من اختراعات بلغ الانسان فيها ذروة عظمته الخلاقة .

* * *

قبل الغروب بدأ الريف الانكليزي ينكشف لعيني من خلال نافذة الطائرة ، الشجر والغابات والأكواخ الآجرية الحمراء ، هاقد بدأ الوجود الجميل يعطيني نفسه وسوف أعرف كيف آخذه .

كانت أول مرة أسافر فيها بمفردي خارج البلاد العربية . أما رحلتي السابقة الوحيدة الى أوروبا والتي شملت آنذاك هولندا والسويد وروسيا والصين الشعبية فقد كانت بصحبة وفد أردني وبدعوة رسمية لحضور مؤتمر السلام العالمي الذي انعقد في مدينة استوكهولم عام ١٩٥٦ . كان بعض أعضاء الوفد يقومون أثناء الرحلة بمهمة المعاملات الضرورية في المطارات هنا وهناك فلم أحمل هم القيام بمثل هذه الإجراءات بنفسي .

* * * *

لم يكن لي في مطار هيثرو بلندن من ينتظرني ، ففاروق يقضي أجازته في النمسا ، ولكني كنت أعرف أن السيدة التي يقطن في مسكنها في اكسفورد تحتفظ لي بغرفة خالية ، والعنوان في حقيبة يدي ، وكل شيء سيكون على مايرام .

* * *

في مطار هيثرو يسير النظام الباهر أمور الناس بصمت ومهابة . لا فوضى ولا تزاحم بالأيدي والأكتاف . مئات من المسافرين القادمين من مختلف أقطار العالم المتقدمة منها والمتخلفة ، منتظمون في صفوف ، كل واحد ينتظر دوره ليقدم جواز سفره والنظام يفرض نفسه والسكون والهدوء يخيمان على القاعة الفسيحة فكأنك في معبد بوذي ، . الموظفون المسؤولون عن الكشف عن شرعية الدخول كل في مكانه يقوم بأداء المهمة الملقاة عليه ، ينقل عينيه بين صفحات جواز سفرك وبين النظر في وجهك ، ويرد اليك جواز السفر وتمضي أنت إلى الداخل باسم الله مسراك ومرساك .

انحدرت إلى الطابق الأرضي والتقطت حقيبتي من بين مئات الحقائب . دخلت قسم الجمارك وخرجت منه . الخدمات تقدم اليك نفسها بنفسها والأمور تجري بسهولة ويسر . مكتب الاستعلامات مرشدك ودليلك الهادي . وجهني إلى قسم حجز الفنادق . بمكالمة تلفونية تم حجز غرفة لي في فندق في لندن ناولتني الموظفة عنوانه . سأمضي فيه ليلتي وفي غد أغادر بالقطار الى مدينة اكسفورد .

خرجت من مبنى المطار ألتمس لي سيارة توصلني الى الفندق ، وجدتني أنتظم ضمن طابور من المسافرين المنتظرين ، كل واحد حقيبته بجانبه على الرصيف وسيارات الأجرة تزحف واحدة إثر واحدة تلقف الراكب صاحب الدور ثم تمضي مسرعة نحو المدينة الكبيرة مخلية مكانها للسيارة التي تليها .

قرأت على السائق الصامت صمت أبي الهول عنوان الفندق ، وبشكلها المربع ولونها الأسود وسقفها العالي تحركت بي سيارة التاكسي وانطلقت تخترق الشوارع الفسيحة النظيفة الخالية إلا من دفق منهمر من السيارات .

نصف ساعة أو تزيد أخذت بعدها لندن تمرق أمامي بميادينها وحدائقها وساحاتها ونوافيرها وعمائرها وواجهات متاجرها وسياراتها ودراجاتها النارية وحافلاتها الحمراء ذات الطابقين والجموع الهائلة من البشر . حشد عنيف من الناس والأضواء والألوان والمشهد بمجموعه ينقل الى مسامعك وعينيك إيقاع الحياة الدينامية في شوارع المساء .

أحسست بإشراق غريب في داخلي . فرح لا أملك تصويره بالكلمات .. كأن يدا خفية ضغطت فجأة على زر كهربائي غير مرئي في اعماقي فإذا بروحي تضيء بوهج باهر ماعرفت مثله من قبل . إشراقة صوفية تفصلني عن الماضي كله ، تمحو عن قلبي آثار الفظاظة والخشونة والقسوة ، تطوقني برقى الأمان والسلام النفسي .

العالم طيب . إني أبارك على الحياة (رامبو) وداعا يازمان الجفاف والضيق وداعا يازمان التمزق والحيرة .

* * * *

تلقفتني غرفة الفندق المريحة . فيما كنت أتناول فطور الصباح سألت النادل عن موقعي الجغرافي من المدينة فقال إنني في وسطها . خرجت إلى ميدان فسيح حاشد في جولة استطلاعية . هذا ميدان بيكاديلي الشهير .. مواكب من الناس من كل الأجناس . آلاف السيارات تتدفق كسيل عرم من الجهات الأربع ، هرج ومرج وحركة دائبة . طالعتني المباني الفخمة الكلاسيكية ، طالعتني نافورة تصب مياهها كفضة سائلة ، طالعني تمثال شاهق جذاب لفتى تحيل مجنح أوقفه صانعه على قدمه اليسرى وعلق رجله اليمنى في الهواء وحمله في يديه قوسا وسهما على وشك الانطلاق . هذا إذن تمثال إيروس سيد العشاق والمحبين .

هذا ملمح من ملامح وجهك يالندن لايغنيني ولايشفي غليلي . طموحي أن أعرف روحك الحقيقية . علي أن أقيم فيك بضعة شهور . وسأحقق هذا المطمح في المستقبل .

عدت إلى الفندق لأحمل حقيبتي ثم استقل من هناك سيارة تاكسي توصلني إلى محطة بادنجتون للقطارات . أخذت مقعدي في إحدى عربات القطار المتوجه إلى اكسفورد وغبت في أحلامي السعيدة .

بقية المذكرات في العدد القادم

من تاريخ الفكر العربي

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

عبد الرحمن الكواكبي
أعظم من هاجم الاستبداد



- عمل بالمحاماة مدافعا عن الفقراء والمظلومين حتى صار اسمه بين الناس "أبو الضعفاء"
- هنالك كتابان ضائعان للكواكبي هما "صحائف قريش" و"العظمة لله"
- الحاكم المستبد لا يخشى شيئا أكثر من مبدأ "لا إله إلا الله"

ثالث رجال القرن التاسع عشر الذين أثروا على مسار العقل العربي وفتحوا أمامه آفاقا جديدة .. بالإضافة الى رفاعه رافع الطهطاوى وخير الدين التونسى ـ هو عبد الرحمن الكواكبى (١٨٥٤ ـ ١٩٠٢) الذى ارتبط اسمه بأروع ماكتب باللغة العربية ضد الاستبداد والآثار الاجتماعية والنفسية للاستبداد بأسلوب جمع بين دقة العالم الباحث المحقق وحماس الداعية المحرك للهمم .

ولد الكواكبى فى حلب من أسرة تنتسب الى الرسول (ص) ، وسرعان ما أصبح أحد رجالات الحركة الفكرية والوطنية فى المدينة . فاشتغل بالصحافة وهو فى بداية العشرينات من عمره فكتب فى صحيفة « فرات » ، ثم أصدر جريدتى « الشهباء » و « الاعتدال » اللتين أغلقتا بسبب آراء الكواكبى وانتقاداته للحكم العثمانى . ثم عمل بالمحاماة مدافعا عن حقوق الفقراء والمظلومين حتى صارت كنيته « أبو الضعفاء » . وفى عام ١٨٩٨ قدم الكواكبى إلى مصر وأصبح علماً من أعلامها الفكرية حتى وفاته فى عام ١٩٠٢ .

وكما كان الحال مع الطهطاوى والتونسى فقد جمع الكواكبى بين الفكر والعمل ، فتولى عددا من المناصب فى مدينة حلب ، فكان عضوا فى لجنة المعارف والمالية ، ومديرا فخريا للمطبعة الرسمية ، وعضواً بمحكمة التجارة ، ورئيسا للغرفة التجارية ، ورئيسا للمصرف الزراعى ، ورئيسا لكتاب المحكمة الشرعية .

عبد الحميد قد تولوا أمرهما .

لماذا التخلف ؟

عندما نحلل كتابات الكواكبى يبدو أن هناك ثلاثة أسباب تفسر أوضاع العرب والمسلمين وتشرح تخلفهم وهى الابتعاد عن جوهر الدين ، والاستبداد ، والحكم العثمانى .

فالكواكبى ينعى ما آل اليه الدين « الذى ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان . الدين الذى فقد الأنصار والأبرار وحكماء الأخيار فسطا عليه المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعاً » .

أما الاستبداد ، فقد صب عليه الكواكبى جام غضبه واعتبره أصلا لكل فساد وأن له تأثيره السيئ على كل واد ، فهو « يضغط على العقل فيفسده . ويلعب بالدين فيفسده ويحارب العلم فيفسده » .

والسبب الثالث لتخلف العرب والمسلمين هو الحكم التركى العثمانى ويرى الكواكبى أن ضعف الدولة العثمانية فى المجال الخارجى سببه الفساد وعدم الكفاءة وسوء الادارة المالية ، وأن الدولة تحولت عن نظمها القديمة دون أن تستوعب المؤسسات والنظم الجديدة ، وأنها تحاول أن تطبق قانونا موحدا على امبراطورية متعددة الجنسيات والأقاليم ، وأنها تميز بين الجنسيات . وركز الكواكبى بالذات على أوضاع العرب فمع أنهم يمثلون ثلث الامبراطورية إلا أنهم محرومون من حكم أنفسهم .

من هذا التشخيص لأسباب التخلف ولأوضاع العرب والمسلمين جاء العلاج فدعا الكواكبى إلى الاصلاح الدينى ، والعروبة ومحاربة الاستبداد .

الاسلام والنهضة

مثلما فعل الطهطاوى والتونسى اعتبر الكواكبى الاسلام بمثابة دين العقل ودين المدنية . ومثل خير الدين التونسى رأى أن



عبد الرحمن الكواكبى : ثالث رجال القرن التاسع عشر الذين فتحوا أمام العقل العربى آفاقا جديدة

ومثلهما أيضا كانت له فرصة السفر والترحال ، ولكن بينما سافر الطهطاوى والتونسى إلى أوربا ، اتجه الكواكبى جنوبا وشرقا فى افريقيا وآسيا ، فسافر الى الحبشة وهرر والصومال وشبه الجزيرة العربية والهند والسواحل الجنوبية لآسيا حتى حدود الصين . وهناك من يشير إلى أن زيارته لليمن وشبه الجزيره العربية كانت فى إطار مهمة سياسية لصالح الخديوى عباس حلمى .

كما عمل الكواكبى بالسياسة فرشح نفسه للبرلمان العثمانى فى عام ١٨٧٧ ، واتهم بالاشتراك فى مؤامرة لاغتيال الوالى فى عام ١٨٨٦ ، وسجن ثم برئت ساحته بعد محاكمة فى حلب وبيروت .

وخلافاً لهما لم يكن الكواكبى على معرفة بأى من اللغات الأوربية وإنما أتقن اللغة التركية ، ومن خلالها اطلع على مترجمات للكتب الأوربية .

أصدر الكواكبى كتابين فى عام ١٩٠٠ . أولهما هو « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » الذى صدره بقوله « انها صيحة فى واد ، أو نفخة رماد إن ذهبت اليوم مع الريح فستذهب غدا بالأوتاد » . وثانيهما هو « أم القرى » (مكة) وهو دراسة فى أسباب تخلف المسلمين وكيفية تحقيق نهضتهم ، وتميز هذا الكتاب بالطريقة التى كتب بها ، فهو عبارة عن محضر لاجتماع مؤتمر تصوره المؤلف لاثنين وعشرين من قادة المسلمين اجتمعوا لبحث أوضاع العالم الاسلامى واتفقوا على انشاء جمعية لتحقيق هدف احيائه .

وهناك مايشير إلى أن الكواكبى كتب كتابين آخرين بعنوان « صحائف قريش » و « العظمة لله » ولكنهما فقدا ولم ينشرا ، ويرجح المؤرخون أن جواسيس السلطان

النظام والعدل في المجتمع يقومان على مبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأن ذلك يتم في الدول المتحضرة من خلال البرلمان . ولكن خلافا لخير الدين اعتقد أن تطبيق هذا المبدأ هو أمر واجب على جميع المسلمين وأنه فرض عين وليس فرض كفاية ، بمعنى أنه أمر لازم على الجميع .

هاجم الكواكبي « الشرك الخفي » وكثير من ممارسات الصوفية وتقديس الأولياء ، وأكد أن الاسلام هو دين العقل ، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد والتوفيق بين الشريعة وضرورات العصر . وهكذا يندرج الكواكبي في مدرسة محمد عبده التي دعت إلى العودة إلى ممارسات السلف الصالح وتنقية الدين مما علق به من خرافات وشعوذات وطقوس تناقض روحه وجوهره .

ويقول إننا نحن الشرقيين أحوج ما نكون الى حكماء « يجددون النظر في الدين فيعيدون النواقص المعطلة ويهذبون من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين يتقادم عهده فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى أصله المبين البرىء من حيث تحرير الارادة والسعادة في الحياة من كل ما يشين » .

وطرح الكواكبي أفكارا هامة حول علاقة الدين بالدولة وحول التمييز بين ماأسماه الطهطاوي بالاخوة في الدين والاخوة في الوطن . فيقول الكواكبي « إن ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماما إلا في عهود الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضى الله عنهم » .وانه « لايوجد في الاسلام نفوذ ديني مطلقا في غير مسائل اقامة الدين » .

ثم يشير إلى تجارب الدول الأخرى بقوله « فهذه أمم اوستريا وأمريكا قد هداها العلم لطرائف شتى وأصول راسخة للاتحاد الوطني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الاداري ، فما بالنا نحن لانفتكر في أن نتبع احدى تلك الطرق



أكد الكواكبي أن الاسلام هو دين العقل ، ودعا إلى ممارسات السلف الصالح

او شبهها » . ويقدم اساسا للوحدة الوطنية "دعونا نجتمع على كلمات سواء . ألا وهي فلتحيا الأمة . فليحيا الوطن فلنحيا طلقاء اعزاء » .

طبائع الاستبداد

يعتبر كتاب طبائع الاستبداد من امهات الكتب العربية في علم السياسة ، وينطلق مؤلفه من ادراك دقيق للظواهر السياسية فيعرف علم السياسة بأنه « ادارة الشئون المشتركة بمقتضى الحكمة » ويعتبر الاستبداد واحدا من أهم موضوعاته ومباحثه . ويقول إن دراسة الاستبداد تثير أسئلة عديده مثل ماهي طبيعة الاستبداد ؟ لماذا يكون المستبد شديد الخوف ؟ ماهو تأثير الاستبداد على الدين ؟ وعلى العلم والمال والأخلاق ؟ وكيف يمكن التخلص من الاستبداد ؟

ويحدد الكواكبي مفهوم الاستبداد بأكثر من طريقة ، فهو « اقتصار المرء على رأى نفسه فيما ينبغي الاستشارة فيه » وهو « التصرف في الشئون المشتركة بمقتضى الهوى » وهو « تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بلا خوف » . فجوهر الاستبداد عند الكواكبي هو غياب المحاسبة وعدم وجود حدود للسلطة او قواعد لرقابة الحاكم .

فهو لايربط بين الاستبداد ووجود حاكم فرد فقد تكون المجموعةمستبدة ايضا . ولايربط بينه وبين وجود دستور أو حكومة دستورية فهي ايضا يمكن أن تكون مستبدة وذلك عندما لاتكون السلطة التنفيذية مسئولة أمام السلطة التشريعية وعندما لاتكون الأخيرة بدورها مسئولة أمام الجمهور . ولايربط بينه وبين الانتخاب ، فالحكم المنتخب يمكن ايضا أن يتحول إلى الاستبداد ، وأن مجرد المشاورة في قرار قبل اتخاذه لايجعل الحكومة أقل استبدادا .

وكأني بالكواكبي يقول إن السلطة مفسدة بطبيعتها ، وإن هناك خطراً دائماً من أن تتحول السلطة إلى الاستبداد وإن الضمان الذي يحول دون ذلك هو الرقابة المستمرة ، ويعبر عن هذا المعنى بقوله « إن الحكومة من أي نوع كانت لاتخرج عن وصف الاستبداد مالم تكن تحت الرقابة الشديدة والمحاسبة التي لاتسامح فيها كما جرى في صدر الاسلام . وانه من الأمور المقررة أنه ما من حكومة عادلة تأمن المسئولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمة او اغفالها لها إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الاستبداد وبعد أن تتمكن فيه لاتتركه وفي خدمتها شيء من القوتين الهائلتين المهولتين : جهالة الأمة والجنود المنظمة » .

آثار الاستبداد

للاستبداد آثار مدمرة على الحياة الاجتماعية وعلى نفوس وسلوك البشر ويؤدي إلى خراب الروح المعنوية للمجتمع ، وهو يتضمن قدرا من الشرك فيقول الكواكبي

إنه « مامن مستبد سياسي إلا ويتخذ له صفة قدسية لذلك فإن الحاكم المستبد لايخشى شيئا أكثر من مبدأ « لا إله الا الله » .

ويخاف المستبد من العلوم التى توسع العقل وتبين للناس حقوقهم وقدراتهم .

والاستبداد هو روح عامة تسود فى جميع مستويات المجتمع ابتداء من المستبد الأعظم حتى رجل الشرطة وصغار المسئولين بحيث يمارس جميعهم الخوف والنفاق والكذب وكل هؤلاء يعملون لصالحهم الخاصة وليس للمصلحة العامة .. والنتيجة أن وزير المستبد هو وزير المستبد لا وزير الأمة . لذلك فى عهود الاستبداد يرتفع قدر اللؤماء والمنافقين والمتجمدين ، ورجال عهد الاستبداد .. لاخلاق لهم ولاحمية لهم ولا يرجى منهم خير مطلقا ، والمستبدون لايتعاونون إلا مع الاسافل الأراذل ولايميلون لغير المتملقين المنافقين .

وخلاصة القول : إن الاستبداد داء أشد وطأة من الوباء . أكثر هولا من الحريق . اعظم تخريبا من السيل . أذل للنفوس من السؤال . داء اذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادى القضاء والقدر والأرض تناجي ربها بكشف البلاء . كيف لاتقشعر الجلود من الاستبداد وعهده ، عهد اشقى الناس فيه العقلاء والأغنياء ، وأسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء ، بل أسعدهم اولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسدهم الأحياء » .

نهاية الاستبداد

القضاء على الاستبداد يتطلب اولا رأياً عاماً رافضاً ومعادياً له ، فالأمة التى لايشعر اكثرها بآلام الاستبداد لاتستحق الحرية ، والمطلوب هو أن ترفض الأمة الاستبداد لا أن تنتقم فقط من شخص المستبد والطريق إلى تحقيق ذلك هو : ترقى الأمة فى الادراك والاحساس ، وهذا لايتم بدون التعليم واقناع الرأى العام .

كما انه يتطلب ثانيا وجود بديل فيجب « قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به » ولابد « من تعيين الغاية بصراحة واخلاص واشهارها بين الناس والسعى فى اقناعهم » وبهذا تكون الأمة قد استعدت طبيعيا لأن تحكم نفسها بنفسها وتعكس هذه النظرية فهما عميقا للنظم السياسية وأنها ليست مجرد اشكال دستورية وقانونية ولكنها انعكاس لظروف وبيئة ، فهو يربط بين الاستبداد والجهالة او نقص الوعي ، وبينه وبين قوة الجيوش وبالذات عندما يكون الجيش اجنبيا ، وبينه وبين قوة المال ورجال الفكر المؤيدين للاستبداد .

بهذا يرفض الكواكبي العقلية الانقلابية او التآمرية التى تتصور امكانية التغيير بواسطة أقلية منظمة تفرض نفسها وصية على الشعب وتقيم استبدادا جديدا ، ويؤكد ان التغيير الحقيقى يرتبط بوعى الأمة وبتغيير البيئة والظروف .

العروبة والتربية

لايمكن أن ننهى هذه المقالة عن الكواكبي دون ايراد كلمات موجزات عن موقفه من العروبة والعدالة الاجتماعية والتربية .

فهو يرى فى العرب قلب الاسلام والمسلمين وهم مركز الجاذبية وواسطة العقد فى العالم الاسلامى . فقد بدأ الاسلام بين ظهرانيهم ، وكان الرسول (صلعم) منهم ، ونزل القرآن الكريم بلغتهم .

والعروبة ليست قاصرة على المسلمين بل تشمل كل الناطقين بلغة الضاد كما يقول الكواكبي ويعرف حدود العرب فى شبه الجزيرة العربية وسوريا ولبنان والعراق ومصر وشمال افريقيا .

من ناحية أخرى يربط الكواكبي بين الاستبداد والتفاخر بالثروات ويهاجم « التمول » وتركيز الثروة ويقول : ان التمول جائز بشرط ان يتم جمع الثروة بطرق قانونية وأن لايكون فيها ضرر بالآخرين مثل احتكار الضروريات أو امتلاك ماهو مشترك وحر مثل الأرض ، فالأرض اعطاها الخالق للجميع . وان الاسلام دعا الى العدل بواسطة الزكاة والعشور والحض على العمل المنتج وأن العدالة الاجتماعية هى روح الاسلام .

واخيرا فان كل دعوة للاصلاح لابد ان ترتبط بالتربية والتعليم وان تغرس بذورها فى عقول النشء ، وانه لابد من التخطيط للتربية وتعميم التدريس باللغة العربية .

وأحسب أن كثيرا مما قاله الكواكبي ودافع عنه مازال واردا فى حياتنا العربية . وأحسب أن أعظم مافيه أنه لم يحاول ان يلقي باللوم على عناصر خارجية ، وانما واجه نفسه وواجه قومه بالحقيقة ودعاهم الى تغيير الذات .

فلنسمع إليه يخاطبهم بقوله : « ياقوم هون الله مصابكم ، تشكون من الجهل ولا تنفقون على التعليم نصف ماتصرفون على التدخين . تشكون من الحكام وهم اليوم منكم فلا تسعون فى اصلاحهم . تشكون فقد الرابطة ولكم رابط من وجوه لاتفكرون فى احكامها . تشكون الفقر ولاسبب له غير الكسل . هل ترجون الصلاح وانتم يخادع بعضكم بعضا ولاتخدعون الا انفسكم ترضون بأدنى المعيشة عجزا تسمونه قناعة . وتهملون شئونكم تهاونا تسمونه توكلا . تموهون عن جهلكم الاسباب بقضاء الله وتدفعون عار المسببات بعطفها على القدر ألا والله ماهذا شأن البشر »

« ان الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون » . . .

علي الدين هلال

نبيل خالد الأغا

مؤسسة آل البيت

مشروع علمي كبير وأهداف ثقافية طموحة

- موسوعة إسلامية في عشرين جزءاً يعمل فيها كبار المفكرين في العالم الإسلامي
- جهود واسعة للدفاع العلمي عن التراث العربي والإسلامي

د. ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية

ليس من اليسير على المرء أن يحكم على مؤسسة أكاديمية لم يتعد عمرها خمسة اعوام بالسلبية أو بالإيجابية .. ولكن ما رأيته ولمسته خلال زيارتي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في الأردن جعلني أشعر بالتفاؤل والحبور نحو هذه المؤسسة الفتية التي تضطلع بمهام عظيمة في خدمة الثقافة الاسلامية وحضارتها.

ولعل من أبرز المشروعات التي يضطلع المجمع بمهمة تنفيذها هي اصدار موسوعة الحضارة الاسلامية التي طالما تمنيناها وحلمنا بها.

وكذلك اصدار الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط والمبعثر في كل انحاء الدنيا.

كما أن المجمع يقوم بجهد مشكور في مواجهة المخططات الصهيونية الرامية لطمس المعالم التاريخية والاسلامية للأراضي العربية المحتلة وخاصة مدينة القدس.

وقد أصدر المجمع بالتعاون مع منظمة المدن العربية كتاباً قيماً بعنوان «كنوز القدس». ويتضمن توثيقاً وتسجيلا ووصفاً دقيقاً لكل مايتعلق بما في هذه المدينة المقدسة من آثار هامة مع بيان خطة ترميمها وانقاذها.

كما قام المجمع باصدار كتاب وثائقي بعنوان أجدادنا في ثرى بيت المقدس ويتضمن معلومات مفصلة مدعمة بالصور حول ٤٠٠ علم من أعيان أمتنا منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية العهد العثماني.

ويبين الكتاب معلومات مفصلة حول تسعة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن دفنوا في مدينة القدس والذين ازالت السلطات الصهيونية اضرحتهم بالجرافات، وأقامت مكانها المباني الشاهقة والحدائق العامة!

هذا ويسير المجمع الملكي في أعماله حسب خطط واضحة ومدروسة يناقشها مجلس المجمع. ويزيد في مناقشتها ويبلورها المؤتمر السنوي للمجمع الذي ينعقد في شهر ابريل من كل عام، ويرأسه سمو الأمير حسن ولي العهد ويضم جميع الأعضاء العاملين والمراسلين، بالإضافة إلى عدد من كبار العلماء المدعوين ممن ليسوا أعضاء لا عاملين ولا مراسلين في المجمع.

والمتعمق في أهداف المجمع -كما وردت في نظامه الأساسي- لا يسعه إلا احترام وتقدير كل جهد -مهما قل أو كثر- يبذله كل امرىء في المجمع من أجل تجسيد هذه الأهداف النبيلة وبلورتها إلى واقع ملموس.

ضمن أول هذه الأهداف: التعريف بالشريعة الاسلامية وتجلية جوانبها المضيئة، وتنقية الثقافة الاسلامية مما علق بها من شوائب، وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام والتراث، وإبراز تصور اسلامي معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه، مع استشراف المستقبل وارتياد آفاقه، ومواجهة قضايا العصر ومشكلاته،

وتحدياته المتجددة بمواقف وحلول عملية اسلامية من هدي الكتاب والسنة، وكذلك إبراز العطاء الانساني العلمي والحضاري،

وأثره في التقدم العالمي والحضارة الإنسانية. والنهوض بالدراسات والبحوث الاسلامية في مختلف فروع المعرفة الانسانية، وإحياء التراث العربي الإسلامي ونشره، وتوضيح المنهج العلمي للعلوم والمعارف من المنطلقات الاسلامية، وتوجيه الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية والعربية إلى العناية بذلك.

كذلك السعي الى التقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية وجمع كلمتها، والتقاء علماء المسلمين وتعارفهم، وتقوية الروابط الفكرية وتبادل الآراء بينهم، وتعريفهم بأحوال المسلمين في مختلف بقاع العالم،

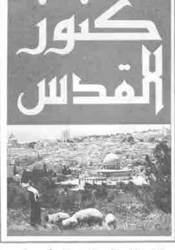
والتعاون مع المجامع ومراكز البحوث والهيئات العلمية والجامعات لتحقيق أهداف المجمع السابقة .

وإذا كنا نشهد لهذا المجمع العتيد بالكفاءة والعمل المبرمج الدءوب .. والتفاني والإخلاص من قبل العاملين والأعضاء والمراسلين فإن الأمانة تقتضينا - أن نشيد ونبارك الجهد المخلص والعطاء اللامحدود الذي يبذله رئيس المجمع الدكتور ناصر الدين الأسد في سبيل تأدية المجمع لرسالته الانسانية السامية .

والدكتور الأسد - لمن لايعرفه - واحد من اولئك الموهوبين المحبوبين - الذين لايملك المرء لأول وآخر وهلة إلا أن يحبهم ويحترمهم .. في الله .. ولله .

كان هذا هو شعوري عندما قابلته مرتين في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي .. وحملت إليه الرغبة في اجراء مقابلة معه .. بصفته رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية .







غلاف كتاب كنوز القدس الذى أصدره المجمع بالتعاون مع منظمة المدن العربية، والمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية فى الأردن الذى يقوم بدوره العظيم فى خدمة الثقافة الاسلامية

سبب التسمية

قبل أن أخوض في التفاصيل الدقيقة حول أعمال المجمع طلبت من الدكتور الأسد أن يعطي القراء - في البداية - تفسيرا لسبب تسمية المجمع «بمؤسسة آل البيت، «مؤاب» .. فقال :

انه الاسم الأصلي الذي خطر ببال جلالة الملك الحسين ، وسمو الأمير حسن أن ينسب هذا العمل لما يتبرك به ، ويتفاءل به ، ومن أحق بأن يتبرك به ويتفاءل به من آل البيت الأطهار ؟ ولذلك جعل اسم هذا المشروع العلمي اسم مؤسسة آل البيت .

وبالنسبة للشعار الذي وضعناه فقد كان إلهاماً من الله عز وجل . حيث أخذنا الآية الكريمة «إليه أدعو وإليه مآب» . فعملنا هو الدعوة إلى الله عز وجل ، ونحن بإسلامنا نعلم علم اليقين مآبنا ومرجعنا إليه عز وجل في النهاية ، فأخذنا الآية الكريمة «إليه أدعو وإليه مآب» ، ثم أخذنا الحروف الأولى من مؤسسة آل البيت فصارت «مآب» بفتح الميم وهذا أمر ثان ، ثم إن هذا الجزء من جنوب بلاد الشام أحيانا تضيق حدوده عند بعض الجغرافيين ، وأحياناً تتسع عند بعض الجغرافيين الآخرين ، ويسمى هذا الجزء الجنوبي (مآب) .



لقد كان العامة يلفظونه بضم الميم (مؤاب) لكن الجغرافيين العرب حرصوا على أن ينصوا بأنه بفتح الميم (مآب) ، فجاءت كلمة مآب اختصارا لهذا كله . وتدل عليه دلالة واضحة .

الأعمال والتطلعات

وحول أعمال المجمع وتطلعاته قال الرئيس :

لقد أنجز المجمع الملكي الخطة الأولى لأعماله ، ففصل موضوعاتها وعناصرها ، وقسم أجزاءها ، وأسند الكتابة في كل جزء وعنصر من أجزائها وعناصرها إلى عالم متخصص من كبار العلماء المسلمين الموجودين في أنحاء العالم .

ولقد بدأت تفد إلينا أعمالهم وبحوثهم للمراجعة ، وسيقوم بها أولا فاحص مبدئي . ثم تقدم هذه البحوث إلى لجان خاصة لتمحيصها والحكم عليها ، وهكذا ترى أن جميع هذه البحوث ستمر بمراحل متعددة من التدقيق بحيث يتوجب الاطمئنان إلى أنها تحقق المستوى المطلوب .

موسوعة الحضارة الاسلامية

ان الخطة الأولى للعمل ذات قسمين : قسم طويل المدى ، وقسم متوسط المدى .

أما القسم طويل المدى فيتألف من مشروعين كبيرين : الأول موسوعة الحضارة الاسلامية . ونحن نأمل أن تصدر في نحو عشرين مجلدا ، وقد يستغرق العمل فيها مدة تتراوح بين عشر سنوات واثنتي عشرة سنة . وقد قامت اللجان العلمية المختصة بهذا الموضوع ، ومجلس المجمع ، والمؤتمر السنوي الأول والثاني بوضع اساليب التنفيذ المختلفة . وقد قطعنا في التنفيذ أشواطاً تمهيدية حتى الآن ، منها أننا فرغنا على بطاقات باللغة العربية جميع المواد المشتركة بين الاصدار الأول والاصدار الثاني لـ «انسكلوبيديا أف اسلام» «الموسوعة الاسلامية» وهي بالانجليزية

مشروع علمي كبير وأهداف ثقافية طموحة

قطعنا أشواطاً في تفريغ المواد التي هي باللغة التركية ، وسنبدأ قريباً بإذن الله تعالى بتفريغ مواد دائرة المعارف التي هي باللغة الأردية .

وسنرتب البطاقات التي تفرغ عليها هذه المواد- أو المداخل كما تسمى باللغة الانجليزية- حتى ننفي المتكرر من هذه المواد ، ثم نطبع كل هذا الذي عملناه في كراسات طبعة تجريبية نوزعها في المؤتمر السنوي الرابع الذي سيعقد في شهر ابريل عام ١٩٨٥ ، بإذن الله تعالى على جميع أعضاء المجمع ، حتى يدرسوا هذه الطبعة ويقدموا لنا ملاحظاتهم على المواد وعلى ا سلوب العمل ، فقد يضيفون مواد جديدة ، وقد يحذفون من بعض هذه المواد ، وقد يدمجون مادة في مادة . وبعد هذه المرحلة نطمئن إلى أننا قد حصرنا مواد موسوعة الحضارة الإسلامية . بالإضافة إلى هذا العمل التمهيدي قمنا بعمل مكتبي تمهيدي آخر ، وهو محاولة حصر أسماء العلماء المسلمين في مختلف ميادين الحضارة الاسلامية حتى نستطيع أن نستكتبهم في المستقبل ، حينما نشرع في الاستكتاب عبر مواد هذه الموسوعة .

الفهرس الشامل للتراث

أما المشروع الثاني من مشروعات الخطة الأولى من القسم طويل المدى فهو الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط المبعثر في أنحاء الدنيا . وقد قطعنا ا يضا أشواطاً كبيرة في تحقيق هذا المشروع ، فجمعنا في المجمع الملكي أكبر مكتبة لفهارس المخطوطات العربية في المكتبات العالمية في العالم كله . وانتهينا من تفريغ كتاب «بروكلمان» بمجلديه الأصليين ، وبملاحقه الثلاثة .

وكذلك انتهينا من تفريغ ما صدر حتى الآن من مجلدات كتاب «فؤاد سيزكين» وعددها تسعة مجلدات ، كل ذلك فرغناه باللغة العربية لأن الأصول مكتوبة باللغة الألمانية على نموذج موحد لبطاقة خاصة . ثم فرغنا أكثر من اثنين وعشرين فهرساً لمكتبات عربية في العالم ، ونأمل- ان شاء الله تعالى- أن نقدم أيضاً للمؤتمر السنوي الرابع القادم طبعة تجريبية لعلم من العلوم الاسلامية كالفقه مثلا أو كالحديث الشريف أو كعلوم القرآن مما فرغناه حتى الآن ، لكي يبدي العلماء آراءهم في أسلوب العمل ، وفيما يمكن أن يخطر لهم ببال حول هذا العمل حتى نستفيد من هذه الآراء في الطبعة النهائية .

وبعد ذلك نأمل بعد أن نطبعها في فهارس- قابلة لأن تضم زيادات فنية باستمرار- ان نضعها في خازن للمعلومات «كمبيوتر» وأن نمد من هذا الخازن وصلات (محطات) الى المكتبات والجامعات ومراكز البحث التي تطلب منا مثل هذه المحطات من أجل أن نعمم الفائدة من هذه المخطوطات .

تحديات تواجه المسلمين

أما بالنسبة للمشروعات متوسطة المدى فتجمعها صفة أنها القضايا والمشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين والعالم الإسلامي ، ولابد أن نقدم لها التصور الإسلامي أو الحلول الإسلامية الموحدة ، وبدأنا من النظام الإسلامي السياسي بموضوعين لأننا لانريد أن نأخذ الموضوعات العامة حتى لايكون الكلام فيها إنشائيا وخطابياً ، وإنما نريد أن نجزيء الموضوعات العامة إلى أجزاء صغيرة حتى نتعمق في البحث والدراسة .

فأخذنا من النظام السياسي موضوعين أساسيين هما : الشورى في الإسلام ، ومعاملة غير المسلمين في الإسلام .

وأخذنا من الموضوعات الاقتصادية موضوع الإدارة المالية في الإسلام . ثم أخذنا موضوع الفكر التربوي في الإسلام . ونحن نتعاون في هذا الموضوع الأخير مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومع مكتب التربية لدول الخليج العربية . وهاتان الجهتان استهواهما الموضوع ، وأرادتا أن تتعاونا مع المجمع الملكي ، فرحبنا بذلك أعمق ترحيب . والعمل يسير في هذا الموضوع بالتعاون بين هذه الجهات الثلاث .

حينما قطعنا هذه الأشواط وجدنا من الضروري أن نبدأ بالتفكير في الخطة الثانية ، ولذلك عرضنا على المؤتمر السنوي الثالث الذي عقد في شهر ابريل عام ١٩٨٤ تصورات أولية لأربعة مشروعات جديدة :

المشروع الأول هو إصدار فهرس شامل للمعالم الأثرية من تراثنا العربي الإسلامي . هذه المعالم المبثوثة في أنحاء العالم وقاراته المختلفة خلفها أسلافنا حيثما وصلوا ، وبنوا هناك مبان على النمط الإسلامي من مساجد وتكايا ومدارس وسبل ، بل أحياناً مقابر وأضرحة ومايشبه ذلك . فلابد من جمعها وحصرها وتسجيلها ووصفها وإعطائها أرقاماً تصبح تعرف بها في المستقبل ، وهذه واحدة من مراحل حصر التراث الفني الاسلامي المبعثر في العالم .

أما المشروع الثاني فهو القيام بدراسة ديمغرافية عن المسلمين من حيث دراسة تعدادهم وتوزعهم السكاني . وأحوالهم الثقافية الاجتماعية وما يشبه ذلك .

أحد الاجتماعات للأمير حسن ولى عهد الأردن ، ويبدو في الصورة الأستاذ عبد الرحمن العتيقى ، الدكتور عبد العزيز كامل ، الدكتور عبد الحميد الأنصارى ، الدكتور أحمد صدقى الدجانى

جانب من اجتماع الشئون الاسلامية : الدكتور عبد العزيز الخياط ، الدكتور كمال أبو المجد ، الدكتور عبد الحميد الانصارى ، الدكتور مصطفى الزرقاء ، الشيخ خليل الحامدى ، والشيخ عيسى بن حمد آل خليفة

والمشروع الثالث الذي عرضناه من مشروعات الخطة الثانية هو : التنمية الاقتصادية والإجتماعية في ضوء تعاليم الإسلام . والأمر واضح إذ أن مشروعات التنمية عندنا كلها عليها انتقادات كثيرة جداً ، ويحكم عليها أو على أكثرها بأنها لن تنجح ، ومصدر هذا الحكم ـ في الغالب الأعم ـ لأنها مستوردة بمفاهيمها وبقيمها ، ولأنها كان المقصود منها أن تطبق على بيئات معينة ، فاستوردت للتطبيق على بيئات ومفاهيم وثقافات وحضارات مختلفة ، ولذلك أصبحت كالنبتة التي أريد زرعها في تربة لاتنمو فيها ، وفي ظل مناخ لا يصلح لها ، ولذلك لابد أن نعرف أنه هناك في ضوء تعاليم الإسلام خطوط رئيسية لتنمية اقتصادية واجتماعية .

والموضوع الأخير في هذه الخطة الثانية هو عن ترميم مخطوطات المسجد الأقصى وبيت المقدس عموماً ، وإقامة دورة تدريبية في المسجد الأقصى لتدريب أربعة من أبناء المدينة المقدسة ، أو من أبناء فلسطين المقيمين في المدينة على ترميم المخطوطات لمدة تتراوح بين أربع سنوات وخمس سنوات ليصبحوا خبراء في الترميم ، يدربون بعد ذلك غيرهم لأننا نعاني نقصاً كبيراً في مرممي المخطوطات ، ومحاولة إصدار دورية لترميم المخطوطات لأنه لايوجد في العالم الإسلامي كله أية دورية تعني بهذا الموضوع .

هذه المشروعات عرضناها على المؤتمر السنوي لتؤدي فيما بينها مشروعات خطة العمل الثانية ، وقد عرضناها عرضاً أولياً ، ونحن الآن في سبيلنا إلى تكوين لجان لدراستها دراسة متعمقة كي تسير دراستها جنباً إلى جنب مع تنفيذ مشروعات الخطة الأولى التي ذكرتها لك .

اختيار أعضاء المجمع

وحول أسس اختيار أعضاء المجمع قال الدكتور الأسد : ان المشاركين في مؤتمرات المجمع ليسوا وفوداً ، وليسوا ممثلين رسميين لجهات معينة أو لبلاد ومؤسسات محددة ، وإنما هم أعضاء في المجمع . فالمعروف أن المجامع تتألف من أعضاء عاملين وأعضاء مراسلين . وبالنسبة لمجمعنا حدد العدد بستين عضواً ، أما الأعضاء المراسلون فغالبا مايكون عددهم مطلقا ، والمجمع الملكي بالرغم من وجوده في عمان الا أنه ليس مجمعاً أردنياً ، وإنما هو مجمع اسلامي يختار أعضاؤه العاملون من جلة العلماء المسلمين في مختلف بقاع الأرض مهما تكن جنسياتهم وألوانهم وعروقهم ، كما أنه ليس للشهادة العلمية قيمة في موضوع الاختيار ، ولكن القيمة هي للمنزلة العلمية ولما يقدمه العضو من آثار فكرية تخدم الإسلام .

ولما سألته عما إذا كان هناك تبادل ثقافي بين المجمع وبين الأوساط العلمية الاسلامية بشكل خاص ، أجابني رئيس المجمع بقوله :

نعم .. التعاون راسخ ومتوسع بيننا وبين الأوساط العلمية في العالم العربي والإسلامي بل والأجنبي . وقد ذكرت لك قبل قليل مثلا واحداً من التعاون على تحقيق مشروع التربية العربية الإسلامية ، إذ أننا نتعاون والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس ، ومكتب التربية لدول الخليج العربي ، ومقره الرياض من أجل اصدار هذا العمل العلمي القيم .

كما أن بيننا وبين عدد من الأكاديميات اتفاقيات تعاون مشترك ، كما هو الحال بيننا وبين أكاديمية العلوم في ازبكستان ، وكذلك بيننا وبين بعض أكاديميات العلوم في الإتحاد السوفيتي ، كما أن بيننا وبين جامعة كمبردج تعاون على اصدار (إندكس اسلامك) وهو من أهم المشروعات لأنه عبارة عن دورية تصدر كل ثلاثة أشهر في مجلد يتضمن تعريفاً ببلوغرافيا لجميع مانشر عن العرب والمسلمين باللغات الاوربية كلها في جميع الدوريات في أوربا ، بالإضافة إلى مايسمى بـ (كارنت بوكس) ونحن نقوم الآن بمتابعة هذا العمل وتمويله ، ومكتوب على الغلاف من الداخل ومن الخارج اسم المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، وان العمل يتم بإشرافه ، وبتمويل منه .

عقبات أمام المسيرة

وحول وجود صعوبات أو عقبات معينة تعترض مسيرة المجمع قال الدكتور ناصر الدين :

أريد أن أقتصر في حديثي على صعوبة واحدة فقط دون أن أضيع الوقت في تعداد الصعوبات الأخرى ، فالصعوبة الكبرى والأساسية هي توافر المال الضروري لأن المال هو عصب العمل .. كل عمل عصبه المال وكما ذكرت مراراً وتكراراً ، وسجلت وكتبت ودونت ، وأتحمل مسئولية كل ماذكرت في كتاباتي وأقوالي من أن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية هيئة علمية اسلامية عالمية غير حكومية ، ومستقلة استقلالا كاملا ، فنحن موجودون في الأردن ، وبرعاية كريمة من جلالة الملك الحسين المعظم ، وبتتبع وعناية من سمو ولي عهده الأمير حسن ، لكن لسنا حكوميين ، نحن لا نتقاضى من حكومة

المملكة الأردنية الهاشمية إلا منحة سنوية كالتي تقدمها إلى الأندية الرياضية أو الجمعيات الخيرية فقط.

ومع أننا نشأنا في الأردن، ومقرنا الأصلي في الأردن إلا أن امتدادنا الإسلامي واضح، لقد اجتمع في مؤتمرنا السنوي الثالث قبل بضعة أشهر ثلاثة وتسعون عالماً مسلماً من اثنين وثلاثين قطراً في أنحاء الدنيا، وكلهم كانوا في غاية الحماسة وغاية الغيرة، وفي غاية السرور لوجود مثل هذا المجمع الإسلامي، ومثل هذه المشروعات العلمية الجادة المخلصة، ومن أجل هذا لايمكن أن يسير عمل بغير تمويل، ومن واجبنا أن نضع زعماء الفكر، وأن نضع ذوي المكانة الاجتماعية، وذوي المال أيضاً في العالم الإسلامي.. أن نضعهم جميعاً في صورة هذا العمل الإسلامي العام حتى يشتركوا في تقديره، وفي النهوض به.

اننا من أجل أن نضمن لهذا المجمع استقلاله واستقراره أنشأنا ماسميناه «الوقفية النقدية» وفيها نواة حتى الآن مقدارها مليونان ومئتا ألف دولار أمريكي، تبرع بهما - أي بهذين المبلغين - محسنان كريمان من أصحاب الغيرة الإسلامية والحماسة العلمية، شخصان اثنان، أحدهما تبرع بمليونين والآخر تبرع بمائتي ألف.

- هل من الممكن أن نعرفهما؟

هما يغضبان جداً حينما تذكر أسماءهما، وقد استأذناهما في أن نذكرهما في الوثائق الرسمية، وهما مطبوعان في آخر كتاب «بداية وتأسيس» ولكنني إذا ذكرت الاسمين الآن في الصحافة فإنهما سيغضبان غضباً شديداً لأنهما يريدان أن يحتسبا هذا العمل لوجه الإسلام، ولوجه الله تعالى.

نحن نأمل بإذن الله أن نصل بهذه الوقفية إلى مبلغ ثلاثين مليون دولار حتى نستثمرها فيكون متوسط الاستثمار سنوياً نحو ثلاثة ملايين دولار، وهو مبلغ كاف لجميع مشروعاتنا، ولجميع وجوه الإنفاق عندنا.

وما أظن أن ثلاثين مليون دولار - يعني عشرة ملايين دينار - تعجز أثرياء المسلمين خصوصا إذا فهموا رسالة المجمع، ووصلت اليهم أنباؤها. ولايزال الخير موجوداً بين المسلمين، وربما كنا نحن لانعرف الوسيلة الى هؤلاء الناس أو هم لم يعلموا بعد بمثل هذا العمل. ونسأل الله التوفيق.

وقفة شجاعة

عندما عدت إلى مقر إقامتي المؤقت في عمان، أخذت أتصفح مجموعة الكتب والكتيبات التي قدمها لي رئيس المجمع.. ولا أرى بأساً من أن أذكر بعضها كنموذج لبعض نشاطات المجمع ليس إلا:

- كنوز القدس ٤٩٥ صفحة بالحجم الكبير. بالتعاون مع منظمة المدن العربية، تنسيق المهندس رائف يوسف نجم.
- موسوعة الحضارة الإسلامية (خطة البحث) مشروع أولي.
- فهرس مخطوطات المسجد الأقصى. اعداد خضر ابراهيم سلامه.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي (خطة البحث) مشروع أولي.
- فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم (طبعة تجريبية).
- الإدارة المالية في الإسلام (خطة البحث) مشروع أولي.
- أجدادنا في ثرى بيت المقدس د. كامل جميل العسلي (٣٢٤ صفحة).
- صور من حياة جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين.
- بداية وتأسيس- النظام الأساسي.

هذا.. ويتصدر كتاب «بداية وتأسيس» نص كلمة الملك حسين في حفل افتتاح اللجنة الاستشارية للمجمع الذي أقيم بالعاصمة الأردنية بتاريخ ٣١ من يناير ١٩٨١م، الموافق ٢٦ من ربيع الأول ١٤٠١ هـ، والتي جاء فيها:

«إننا لنأمل أن يكون هذا المجمع - بما يعده من بحوث، وما يقدمه من مشورة ورأي يستنير بهما المسلم المثقف ويستفيد منهما المجتمع المعاصر، وما يعقده من اجتماعات لجلة العلماء على اختلاف أجناسهم، وما يقوم بتنفيذه من برامج مدروسة - أداة فعالة لتحقيق أهدافه، وخاصة: التوصل إلى تصور إسلامي معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه، وتنقية الثقافة الإسلامية مما علق بها من شوائب، وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام والتراث، والتعريف بالشريعة الإسلامية وتجلية جوانبها المضيئة، والنهوض بالدراسات والبحوث الإسلامية في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وإحياء التراث الإسلامي ونشره، متعاوناً في كل ذلك مع غيره من المجامع، ومراكز البحوث والهيئات العلمية والجامعات».

أما بالنسبة لأعضاء اللجنة الاستشارية فنقرأ أسماءهم وهم السادة: الشيخ ابراهيم القطان (توفاه الله) الدكتور احسان عباس، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، الدكتور أحمد الكتاني، القاضي اسماعيل بن علي الأكوع، السيد أكرم زعيتر، السيد الصادق المهدي، الدكتور عباس الجراري، الشيخ عبد الحميد السائح، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، الدكتور عبد العزيز الدوري، الدكتور عبد العزيز عزت الخياط، الدكتور عبد العزيز كامل، الدكتور عبد الكريم خليفة، الدكتور عبد الكريم غرايبة، الدكتور عثمان كنجم، السيد كامل الشريف، الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدكتور محمد يوسف نجم، الدكتور محمود الغول. (توفاه الله مؤخراً)، الدكتور محيي الدين صابر، الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء.

وأخيراً.. فإن هذا المجمع العتيد بحاجة ملحة إلى وقفة شجاعة نقفها جميعاً إلى جانبه.. مؤازرين ومشجعين، ومتعاونين مادياً ومعنوياً.. متضرعين لله عز وجل أن يوفق جميع القائمين عليه لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وليت كل الهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية تعرف كيف تحدد أهدافها وتبلورها وتمضي في طريقها لتحققها في صمت ودون ضجيج كما يفعل المركز الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في اردننا العربي العزيز.

نبيل خالد الأغا

الشاعر والمغني واللص

بقلم: كمال النجمى

عندما سمع كسرى الشاعر العربي يشكو من سهر الليالى قال : « هذا لص ، فإنه لايسهر الليالى إلا اللصوص » ! !

من شارات الظروف والرقة والذوق الجميل عند بعض شعرائنا ، أن يتغنى المطربون والمطربات بشيء من أشعارهم ، ولكن النادر من الشعراء المطبوعين من تضمن اشعاره من الدلائل الفنية الواضحة ما يقطع بأن الغناء والموسيقى متأصلان فى تكوينه الوجدانى ، وفى نسيج شاعريته ، وصميم حياته ..

وقد يبرع أحد الشعراء فى الضرب بالعود ، أو فى التلحين ، أو أداء الألحان ، او تأليف الأغانى بالفصحى والعامية ، ثم لا تجد فى شعره الدال على شعوره ، ما ينم عن شيء حقيقى رسخ فى وجدانه وحياته من تأثير الغناء والموسيقى وهو إليهما رائح غاد ليل نهار ! ..

ولم يكن الشاعر ابن الرومى ضارباً ولا مغنياً ولا مؤلف أغان ، ولا أتاح له زمانه الصعب أن يشهد فى القصور مجالس الغناء الا نادراً ، وكان يتمشى ليلا يسترق السمع الى مغنيات بغداد على ضفتى دجلة ، تنبعث أصواتهن من نوافذ القصور .. ولكن ابن الرومى فى حالته هذه البئيسة ، كان اشعر من تأثر بالغناء والمغنين والمغنيات ، فيما شهد من مجالسهم ، أو فيما ترامى إلى سمعه من أصواتهم ! .. حسبك قصيدته فى التمدح بالمغنية « وحيد » .. فإنها لا نظير لها فى الشعر العربى .. كذلك قصيدته فى رثاء المغنية « بستان » .. فإن شاعراً لم يقل مثلها منذ وفاة « بستان » .. إلى وفاة « أسمهان » ! ..

فالغناء جزء من التكوين الوجدانى لابن الرومى وإن لم يستمتع به فى حياته حق الاستمتاع ..

والغناء « إضافة » طبيعية إلى شاعرية هذا الشاعر لم تنفصل عنها قط ، لأنها من لباب هذه الشاعرية العظيمة ..

وليست هذه الخفقة الموسيقية المضافة بالطبيعة إلى قلب الشاعر ، مما يمكن اكتسابه بالاكثار من غشيان مجالس الغناء وحفلات الموسيقى وتأليف الأغانى للمطربين والمطربات كما نرى فى أيامنا هذه التى أوشك أمر الغناء فيها أن « ينقطع » مصداقاً لقول ابن خلدون فى مقدمته : « أول ماينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه صناعة الغناء » ..

وإنما يقصد ابن خلدون بالعمران ، قوة الأمة ومناعتها وتوافر عوامل البقاء لها بين الأمم التى تتنازع البقاء ! ..

ولا نستطرد فى هذا المعنى ، فإن هدفنا هو الفحص عن أمر ذلك الجزء الهام الغامض الذى يشبه المخ الصنوبرى ، من شاعرية بعض الشعراء ، ونعنى به الطبيعة التى تموسق وتغنى فى وجدانهم ، فيتجلى عملها الفنى فى ثنايا أشعارهم ..

وقد ضربنا المثل بابن الرومى ، ولم يكن وحده فى عصره ولا قبل عصره .. أما فى عصرنا الممتد بين محمود سامى البارودى وبيننا ، فلدينا شعراء من هذا الطراز النفيس ، تتفاوت مواهبهم ، ونجتزئ هنا باثنين كبيرين هما أحمد شوقى وعلي محمود طه ، أشعر الكلاسيكيين ، وأشعر الرومانسيين ..

إن « شوقى » هو الشاعر ذو الطبيعة الموسيقية الذى جرى الغناء على لهاته حتى فى قصائد الرثاء ، فقال من قصيدته الفريدة فى رثاء الصحفى المصرى الوطنى أمين الرافعى :

كم إمام قَربتَ فى الصف منه ... ومغن قَعدتَ منه « رَسيلاً »

تنشد الناس فى القضية « لحناً » ... كالحوارى رَتَّلَ الإنجيلا

هكذا اختار شوقى بموسيقية طبعه التلقائية كلمة « مغن » بدلا من كلمة « زعيم » مع أنه يقصد الزعيم ، ثم جعل للمغنى الذى هو الزعيم .. « رسيلا » .. أى مساعدا يردد اللحن وراءه كما يردده أفراد « البطانة » أو « الكورس » .. ثم رفع هذه الصورة الى درجة أعلى حين شبه نشيدها بنشيد الحواريين ! ..

وفى رثائه للمطرب الشيخ سلامة حجازى ، يرسل الدمع عليه ثم يحدثه ويسائله عمن سبقه من المغنين والملحنين والعازفين الى الدار الباقية :

كَيفَ « إخوانُنا » هناكَ على الكَو ... ثر ، بَينَ الصباَ وبين القَبول

الشاعر والمغني واللحن

كيف فى الخلد ضَرب أحمَدَ بالعو
د ، ونَفخ الأمين فى الأرغول
فَرحٌ كله النعيم وعُرس
كَيف عثمان فيه ، كيف الحَمولى ؟!

فسلامة حجازى ذاهب الى إخوانه وإخوان شوقى من المغنين والملحنين والعازفين الذين جمعتهم وشوقى وسلامة ، أخوة الفن ثم رحلوا ولكنهم ثابتون فى وجدان الشاعر ، فلم يفارقه « أحمد » ضارب العود ، ولا « أمين » نافخ الناى ، ولا « محمد عثمان » اللحن المبدع ، ولا « عبده الحمولى » سلطان الطرب الذى رثاه شوقى قبل سنوات من رثائه لسلامة حجازى ، فقال :

رب ليل أغَارَ فيه القمارى
وأثار الحســـانَ من أقماره
بصَباً يذكر الرياض صِباه
وحُجاز أرق من أســـحاره
يَسمع الليل منه فى الفجر ياليل
فيصغى مستمهلاً فى قراره

هنا تتحول المرثيات إلى ذكريات عن الغناء وأصحابه ، وقد بقى فى مسمع شوقى على تقادم العهد ، غناء الحمولى فى نغمة الصبا ونغمة الحجاز ، وكلتاهما من النغمات ذات الأرباع الصوتية الباعثة للطرب ! ..

فانظر كيف اجتمعت نغمتا الصبا والحجاز ، مع الحزن والدمع ، فى وجدان الشاعر وهو فى مقام الرثاء ، لا فى مجلس الطرب ! ..

وتجرى المائية الموسيقية من طبع شوقى إلى شعره الحماسى والسياسى ، فيقول عند إلغاء الخلافة العثمانية :

عَادت أغانى العرس رَجعَ نواح
ونُعيت بين معالم الأفراح

إن « الأغانى » التى تنقلب نواحاً ، لهى أشد الفواجع الشعرية فى وجدان هذا الشاعر ذى الطبيعة الموسيقية والتكوين النفسى الغنائى ! ..

ويقول فى معرض تمجيده للثوار السوريين سنة ١٩٢٥ :

رواة قصائدى قــد رتلوها
وغنــوهـا الأسنةَ والنصالا

فالمجاهدون ضد الاستعمار الفرنسى ، يغنون لأسلحتهم المتواضعة من الرماح والنصال ، شعرَ شوقى شاعر العروبة والإسلام ، الصارخ فى وجه الاستعماريين من انجليز وفرنسيين وطليان .. لأن شعره غناء الأمة العربية فى فرحها وحزنها :

كان شعرى الغناءَ فى فرح الشرق
وكان العــزاءَ فى أحزانــه

ولو ذهبنا نستقصى ثمرات الطبع الموسيقى فى شعر شوقى لأعيانا الاستقصاء ، لكن الذى لا يعيينا هو الاستمتاع بصياغته الموسيقية الفريدة فى شعره كله ، بما فيه شوقياته الصغيرة التى نظمها للأطفال .. دعك من مسرحياته فإنها خالصة لوجه الموسيقى ، وقد امتلأت مسرحية « مجنون ليلى » ــ وهى مأساة أو تراجيديا فى تقدير النقاد ــ بالغناء ، من ستارها الأول إلى ستارها الأخير ، كأنما نظمها شوقى لتكون « أوبريت » تتغنى المجموعات فيها والأفراد ، ولم يكن ليفعل غير ذلك وهو الشاعر المفعم الوجدان بالغناء ! ..

إن ليلى العامرية فى هذه المسرحية « أغنية » تتردد فى البيد :

ليلى .. انظرى البيد هل مادت بآهلها
وهل ترنم فى المزمــار داود
ليلى .. نداء بليلى رنّ فى أذنى
سحر لعمرى له فى السمع ترديد
ليلى تردد فى سمعى وفى خَلَدى
كما تردد فى الأيك الأغـــاريد

وحاوى الابل يرفع عقيرته وراء القافلة فى الصحراء :

جلاجل فى البيد شجية الترديد
كرنة الغريد فى الفنن الرطيب
أناحَ أم غني أم للحمَى حَنّا
جُلَيْجلٌ رَنا فى شعب القلب

والغريض المغنى المعروف بين الأوائل من مطربى العصر الأموى ، ينبعث حياً فى هذه المسرحية التى يفترض وقوع أحداثها فى زمن معاوية بن أبى سفيان . ولم يكن الغريض عهدئذ قد صار « مغنى الحجاز وشادى العرب » ، كما يصفه شوقى فى المسرحية على لسان بعض الشخوص ، بل كان صبياً صغيراً ، وقد زاده شوقى وصفاً بقوله :

وأذن المغنى تحس النسيمَ
وتسمع فى الكأس جَرْسَ الحبَب

قال لى الموسيقار محمد عبد الوهاب فى بعض حديثه : « أعجبنى جداً هذا البيت ، كأنما قاله شوقى عنى ، فأردت تلحينه مع الأبيات التى تسبقه وتتلوه فإذا هى أبيات مغرقة فى الحزن ، فانتقلت إلى ما بعدها فلحنت قصيدته التى قالها على لسان قيس ، وأولها :

جبل التوباد حياك الحيــا
وسقى الله صبانا ورعى

وقد جاءت هذه الأغنية من بدائع عبد الوهاب ، حتى عاتبته أم كلثوم لأنه لم يعرضها عليها قبل أن يغنيها لتنفرد هى بغنائها ..

وليست أغنية عبد الوهاب وأم كلثوم هنا استطراداً على طريقة أبى الفرج الأصفهانى وأستاذه نفطويه ، وإنما هى من صميم الكلام عن شوقى الذى كان الشاعر المغنى ، والمغنى الشاعر ، وباعث الغناء عند المغنين والمغنيات ..

إن طرب المغنى الذى يتجلى فى شعر شوقى ، ليس من قبيل الظواهر الأسلوبية أو اللغوية ، ولا من الحنكة والمرانة فى استعمال بحور الشعر ، وانما يجيء الطرب من عمق الحركة الموسيقية فى نفس الشاعرة .

والطبيعة الموسيقية عنده لا تتجلى فى كثرة كلامه عن الغناء والمغنين ، وإنما جيشان شاعريته بما انطبع فيها من الغناء والموسيقى .. وإنك لتجد بعض هذا فى أشعار الأمم لا فى شعر الأمة العربية وحدها .. حتى فى الشعر الدرامى ، كمسرحيات شكسبير التى لا لاخفاء بها على أحد من الدارسين أو المتفرجين ! ..

ولغة شوقى فى الشعر ذات دلالة واقعية ينسدل خلفها ستار ميتافيزيقى شفاف .. ولن تجد فى الفن والأدب ــ ولا فى الكثير من العلوم ــ شيئاً كبيراً أو صغيراً ليست له « خلفية » مثالية أو ميتافيزيقية ، فلا يعاب الشاعر حيث لا يعاب الكثيرون من العلماء الماديين .



أحمد شوقى



على محمود طه

وقد تتبع بعض النقاد معجم ألفاظ شوقى ، ولا نجاريهم ، ولكنا نلاحظ أنه كما تتبادر كلمات السيف والرمح والليل والترس والخيل والحرب ، إلى لسان أبى الطيب المتنبى ، تتبادر إلى لسان شوقى — عفوياً — كلمات دالة على الموسيقى الظاهرة او الخفية .. فالموسيقى فى شعره رمز وحقيقة ، وهى فى جوهرها شعر قائم فى وجدانه على نظام خاص ينقاد إليه بطبيعته التى لا ينفصم فيها الشعر عن الموسيقى ، وترتبط عنده بالعالم كله وما يحتويه من حياة وموت وفرح وحزن وسلام وقتال ، وإنسان وحيوان ونبات ، وكل موجود وموعود بالوجود ..

وبهذا كله أسهم شوقى بنصيب كبير فى تحديد معالم « علم الجمال » فى الشعر العربى .. وهو العلم الذى لو أسعده الحظ لسلك طريقاً مستقلا لا يكون فيه طفيلياً على الشعر الأوربى وواضعى نظرياته الجمالية والنقدية .

وقديماً جداً .. فى بكرة الصبا .. كان شيخنا أبو حاتم الرازى يقول لى فى كتابه « الزينة » الذى فرغ من تأليفه قبل ألف سنة :

« الغناء غير الشعر ، وإنما يسمى منه غناءً ما كان فى الرقيق والتشبيب بالنساء ، ويقصد بذلك المعنى فقط .. وللشعر فنون كثيرة غير الغناء ، وإن النبلاء من الناس الصالحين قد أنشدوا الشعر وقالوه ، وهو أدب لهم ورفعة لمنزلتهم ، ولايجوز أن يقال إذا أنشدوا الشعر وقالوه : فلان مغن ، او قد غنى .. والفرق بين الشعر والغناء بين ، وقائل الشعر ومنشده بعيد من صفة المغنى » ! ..

قلت للشيخ أناجيه من وراء مئات السنين :

— لا أحد يزعم أن الشاعر هو المغنى لا فرق بينهما ، ولكن الشاعر الذى يكمن الغناء فى جوهر فطرته وموهبته ، هو الشاعر الذى يجمع حين تنطلق شاعريته ، معانى الشعر من أطرافها وإن لم ينبس بلحن أو يشد الرحال فى طلب مجالس المغنيات والمغنين ..

ومثل هذا الشاعر قادر على التحليق فى كل اتجاه شعرى ، والارتفاع إلى آفاق الشعر الدرامى ، فلم يكن شكسبير — أشهر شعراء الدراما — إلا صاحب وجدان غنائى ، ولو كان صفر اليدين منه لعجز عن نظم الشعر الجيد ، وقصر كل التقصير فى تراجيدياته وكوميدياته .

قال الشيخ الرازى :

— فإنى لم أسمع بشكسبير هذا ، ولكن الشاعر العربى فى الجاهلية كان يساوى المغنى عند العجم فى معناه الذى اقتصر فهمهم عليه .. يقال إن الأعشى وفد على كسرى فسأل حاشيته : ما صناعة هذا العربى ؟! .. قالوا : مغن ! .. فلما وقف الأعشى بين يدى كسرى ينشده ، قال فى مطلع قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سهد وما بى معشـــق

فلما نقل المترجم كلام البيت إلى الفارسية ، صاح كسرى مغضباً : « إذن هذا لص ، فإنه لا يسهر الليالى إلا اللصوص » ! .. وإنما جهل كسرى معنى كلمة « شاعر » ومعنى ما أنشده الشاعر ، لأنه لم يكن يعرف إلا كلمة « المغنى » .. ولم يكن فى أمة العجم شعر ولا شعراء ، وكان الشاعر عندهم هو المغنى ، فإذا سهر الليالى انقلب لصاً فى رأى كسرى » ! ..

قلت للشيخ :

— إن معانى الشاعر والمغنى والعاشق واللص تختلط عند تراجع العمران ، ولو قلت لبعض قومنا الآن : « هذا شاعر » .. لقالوا : « إذن هو مغن » .. أو قالوا : « إذن هو لص » .. وربما قال أمثلهم وأكثرهم حكمة وعلماً ببواطن الأمور : « إذن هو مؤلف للأغانى » ! ..

ثم إن طيف الشيخ غادرنى متحزناً على ما صار إليه الشعر والشعراء ، فقلت فى نفسى :

— لا بأس بالناس من طول ومن قصر فى فهم الشعر وتقدير الشعراء ، فإن الناس معذورون على كل حال ، وقد شفيت نفسى بالحديث عن « شوقى » وكيف كان الشعر ينبع من جوهر الغناء فى وجدانه ، ولكنى لم أستطع القيام بحقه ، ولو حاولت ذلك لوجب أن أخوض فنون الغناء والشعر فى الشرق والغرب .. « وليس عندى وقت » يتسع لهذا العمل الجسيم ، على حد تعبير ساخر قاله الدكتور زكى مبارك قديماً فى جريدة « البلاغ » حين عرض عليه بعض أصحابه مداعبين أن يلقبوه « كاتب الشرق » نكاية فى طه حسين الذى كان لقبه « عميد الأدب العربى » .. فقال زكى مبارك ضاحكاً : « ليس عندى وقت » .. قال أصحابه : لماذا ؟! .. قال : « لأن هذا اللقب يقتضينى منافسة أدباء الصين والهند واليابان والترك والفرس .. وليس عندى وقت » ! ..

أما نحن فنقول — وإن لم يعرض علينا احد لقباً من الألقاب — ان الوقت لذو سعة ، ولكن المجال ضيق .. وقد تحدثنا عن شوقى ، وما تحدثنا بعد عن على محمود طه ، لأنه يستغرق مقالا بحاله ! .. وما ظنك بشاعر سيضطرنى إلى الكلام عن الأوبرا والسوناتا والكونشرتو وموسيقى الصالون والقصيد السيمفونى ورقصات التانجو والفالس والبولكا والمازوركا .. فضلا عن الغناء العربى وأوله مقام الراست الذى تولى تأصيله اسحاق الموصلى وسماه « المطلق فى مجرى الوسطى » وقسمه على عوده ذى الأوتار الأربعة ، ولم يكن لعوده وتر خامس كعود زرياب فى الأندلس ! ..

إن شعر على محمود طه ، كوكب يضج فى مداره بالموسيقى والغناء والايقاعات الراقصة .. موعدنا معه اللقاء القادم إن شاء الله ! ..

كمال النجمى

البائعة الصغيرة

كان عصر النهضة الايطالى أو العصر الذهبى فى الفن الأوروبى ـ كما يطلق عليه المؤرخون ـ بمثابة الشعلة التى أنارت بصائر الفنانين .. وأثارت خيالاتهم ووجدانهم فى كل مكان .. ولاسيما فى بلاد الشمال وأسبانيا وفرنسا وألمانيا وانجلترا . وكانت فى كل هذه الدول نهضات . منها ماكان (نهضة مبكرة) فى القرن الخامس عشر كما حدث فى ايطاليا ودول الشمال (الأراضى المنخفضة وخاصة هولندا) . ثم تحولت عصور النهضة هذه فى أواخر عهدها إلى ما يعرف بطراز النهجية ، أى النسج على منوال الرواد الكبار ، والانغماس فى التقليد بنفس أساليبهم ونهجهم ، ورأينا فى حلقات سابقة كيف ظهر فن (الباروك) فى القرن السابع عشر ثم طراز (الروكوكو) فى فرنسا فى القرن الثامن عشر .

• • وفى أسبانيا ظهر فن الباروك فى آخر القرن السادس عشر واستمر حتى أواخر السابع عشر .. وظهر فنانون عظام من أمثال زورباران وفيلاسكويز (الذى تحدثنا عنه فى العدد الماضى من الدوحة) ، وموريللو .. وهو فناننا فى هذا اللقاء ..

ونلاحظ أن الفن الأسبانى يحظى بمكانة رفيعة فى التاريخ منذ أوائل القرن السابع عشر بالرغم من أن أسبانيا قد وصلت إلى كونها قوة سياسية واقتصادية عظيمة فى القرن السادس عشر .. ولكن انتاجها فى الفن لم يصل إلى هذه الدرجة آنذاك . وجاءتها القوة الدافعة من الخارج كالفن الايطالى والفن الفلمنكى وبذلك تكون الفن الأسبانى مستمداً مناهله من هذه الجذور الأوروبية الأصيلة .

ويعتبر موريللو (واسمه الكامل : بارتولومى استيبان موريللو) من أشهر الفنانين الأسبان الذين عرفوا فى التاريخ . وقد تفوق بصفة خاصة فى رسم الأطفال المشردين وحياة الفلاحين والطبقات الكادحة الفقيرة .. ولا يجب أن نحكم على لوحاته أو أن نقيمها بنظرتنا وحياتنا الحالية ، ولكننا إذا عدنا إلى القرن السابع عشر لوجدنا أن هذه النزعة فى معالجة موضوعاته ،ولجوءه إلى رسم الطبقات الكادحة تمثل اتجاها جديداً وظاهرة فريدة فى عصره .

• • ولــد موريلــلو فى مدينــة سيفيل Seville فى أول يناير ١٦١٨ ومات بها فى الثالث من يناير ١٦٨٢ . ولم يغادر مدينته هذه إلا فيما بين عامى ١٦٤٥ ، ١٦٥٠ حيث أقام بمدريد فى تلك الفترة . وكانت اهتماماته الأساسية هى اللوحات الدينية للكاتدرائيات والكنائس الأسبانية . وقد رسم أولى هذه المجموعات الدينية فى عامى ١٦٤٥ و١٦٤٦ ، وكانت مؤلفة من إحـدى عشرة لوحـة ، صـارت منطلقاً لشهرته كفنان مرموق .. وقد تأثر بكثير من الفنانين الأوروبيين ولاسيما بفنانى بلاد الشمال مثل (فان ديك) و (روبنز) ، ومن الطبيعى أن يتأثر فى بدء حياته بالفنانين الكبار من مواطنيه من أمثال (زورباران وريبيرا) ، كما شغف كذلك بروائع عصر النهضة الذهبى الايطالى فى القرن السادس عشر .. ومن كل هذه المناهل والأساليب .. استطاع أن يخرج على عالم الابداع الراقى بأسلوبه المميز ..

ولذلك رأى معظم مؤرخي الفن أن النهج الفنى لموريللو ذو ملامح أوروبية أكثر منه أسبانى . وظل فناننا يوالى روائعه عاماً بعد عام .. وفى سنة ١٦٦٠ أسس أكاديمية الفنون فى مدينته سيفيل وانتخب مديراً لها . وخرج على يديه المئات من شباب الفن الأسبانى والأوروبى الذين قصدوا تلك المدينة الصغيرة الوادعة ليتتلمذوا على يد موريللو العظيم . ومنها هذه اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة والتى عرفت باسم : بائعة الفاكهة وقد رسمها موريللو فيما بين ١٦٧٠ و ١٦٧٥ . وقد تناولها الباحثون بالشرح والتحليل بما لا يتسع له مجالنا المحدود .. فلنتأمل ابتسامة البائعة الصغيرة وانهماكها فى عد نقودها فى كفها باهتمام وبراءة ومسئولية ..

ولنتأمل نظرة شقيقها الأصغر وبسمته المرحة اللامبالية .. أما الخلفية الداكنة فقد سلطت التركيز على التعبير السيكلوجى فى قسمات الوجه وأظهرت الفاكهة المبعثرة أمامهما بتناغم ضوئى وتوافق لونى معجز .. إنه موريللو .. أحد القمم الشامخة فى تاريخ الابداع !

ج . ق .



البائعة الصغيرة .. إحدى روائع «موريللو» .. رسمها فيما بين ١٦٧٠ و ١٦٧٥م

المسعودي

ينقل التاريخ لمرحلة جديدة

بقلم: أحمد العناني

قبل الدخول في عصر النضج الحضارى في القرن الرابع للهجرة ، وهو القرن الذى تصالح علماء الاستشراق على اعتباره بحق قرن القمة في النضج الحضارى للثقافة العربية الاسلامية ينبغي إبراز بعض المشخصات الأخرى لحركة التأريخ أو التأليف التاريخي لحضارتنا هذه منها مثلا اصرارنا على عبارة التاريخ بدلاً من القصص أو الحكايات أو أخبار الماضى كما كان كثيرون ومنهم الاغريق يشيرون الى التاريخ وعمليات تدوينه . إنه عندنا «تأريخ» لأنه كان مربوطاً بأحداث الأزمنة المعنية . ومن هنا يرد تاريخنا الكلاسيكى على شكل حوليات كما فعل الطبرى مثلا ، فلكل سنة أحداثها ولتلك الأحداث رواة ، وعلى المؤرخ مسئولية الرواية ، وتمحيصها ومعرفة دوافع راويها إن كانت له دوافع .. وظلت تلك طريقتنا التقليدية الى نهاية القرن الثامن عشر ، ومن يشأ فليقرأ على سبيل المثال كتاب ابن بشر أو ابن غنام عن أخبار الجزيرة العربية فإنه سيجد متابعة للسنة بعد السنة والتزاماً برواية الأحداث حسب نسبة وقوعها لسنين معينة ..

وهذا هو المستفاد من كلمة «تأريخ» فيما عبارة «هستورى» History تمت إلى معنى القصة باعتبار التاريخ مجموعة قصص كما فهمه الأوروبيون إلى ما بعد عصر ابن خلدون ، أو عصر النهضة الأوروبية .

تلك واحدة ، فأما الخصيصة الأخرى التى يشير لها كاتب مادة التاريخ في الموسوعة البريطانية فهى أن المؤرخين المسلمين امتازوا عن العالم كله بتقييم الشخصيات على أسس انسانية دون القيم والاعتبارات الاجتماعية ، لقد اشتغلوا بتاريخ الدول وسير الملوك كما اشتغلت الأمم كلها ، لكنهم عنوا أكبر العناية بالشخصيات التقية الزاهدة من أولئك الملوك ، فلم يحدث في تاريخ المسلمين أن نال ملك أو خليفة متنفذ نظير الحظوة التى نالتها سيرة عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز . واذا قارنا مثلا اهتمام المسلمين بعمر بن عبد العزيز الذى حكم سنتين وبضعة أشهر باهتمامهم بتاريخ عبد الملك بن مروان الذى يعتبر المؤسس الثاني لدولة الأمويين والذى حكم حوالى عقدين من الزمان فإننا نلاحظ أموراً مذهلة ، اذ لا يمكن أن يقاس عبد الملك في هذا المضمار بالحظ العظيم الذى ناله عمر ، ذلك بأن للمسلمين طريقتهم التى لا يحيدون عنها في تقييم الرجال فأكثرهم تقوى هو الأحب إليهم وهو واجب تمليه مسئولية المثول أمام الله في اليوم الآخر ، فإن هوى المؤمن هو مع الله والله تعالى هو الحق فمن كان ، على أحسن ما يستطيع الناس الحكم ، أقرب الى الله كان الأحق بالتقدير ..

الموسوعية والتبحر ومؤرخو القرن الرابع

وهنالك خصيصة ثالثة للمؤرخين المسلمين ألا وهى الثبات في المعرفة والمفاداة بالعمر وبكل سعادة في الحياة من أجل السعادة الأكبر ألا وهى الاخلاص في نشدان الحقيقة وخدمتها ، والمسلمون في هذا مدينون جداً لطبيعة دينهم الذى يعتمد الحق والنتائج الحقة التى ينهض على أحقيتها براهين عقلانية محضة وقد وعد الذين يسددون القول ويتقون الله في الكلمة صلاحاً من الله لأعمالهم وأقوالهم وتكفيراً عن سيئاتهم .

ومن هنا جاءت حقيقة كون المسلمين من أكثر شعوب الأرض تبحراً واحتمالا للمسئولية مهما بلغ الجهد ، وهم أساتذة العالم في قواميس الأعلام ، وطبقات الصحابة والصالحين ، وخطط وتواريخ الحواضر والمدن الكبرى والمعاجم بكل انواعها وصنوفها ، على أنه من الواجب التنبيه الى أن القرن الرابع إنما شهد بداية هذه الحركة الموسوعية التى ظلت في تصاعد كما سنرى لاحقاً ، وقد انخرط في عملية البحوث الموسوعية رجال من سائر الأديان في أرض الخلافة . فقد اشتغل سعيد بن البطريق المتوفي في ٣١٧ للهجرة (٩٥٩ م) ــ وكان فعلا أحد بطاركة الاسكندرية ــ بكتابه المعروف بـ «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» ، وقد اتخذ هذا المصنف أهمية خاصة فوضع الكثيرون له شروحاً وتذييلات من أشهرها تذييل ابن سعيد الأنطاكى في القرن الخامس للهجرة وفي عام ٤٥٦ هـ على التحقيق ، وحيث كان ابن البطريق يلقب بأوتيخا فإن تذييل الأنطاكى عرف باسم «سلة كتاب أوتيخا» .

ومن التوصيلات والذيول أيضاً في القرن الرابع «صلة تاريخ الطبرى» التى مد بها عريب بن سعيد القرطبى نهاية تاريخ الطبرى على نفس النسق والمنهج تسعاً وعشرين سنة أخرى لتنتهى أحداثه عام ثلاثمائة وعشرين للهجرة بدلا من مائتين وإحدى وتسعين ، وبذلك دخلت أحداث عصر الخليفة المقتدر في ذلك السجل التاريخى الكبير .

وعلى ذكر الوصلات والتذاييل فإن

الجهشياري المعروف بابن عبدوس والذى كان مبتدع سنة التأريخ للوزراء والكتاب ، قد وجد من يقلده ويواصل الكتابة فى سيرة وزراء الدولة العباسية كالهلال بن المحسن الصابى المتوفى عام ٤٤٨ للهجرة واضع كتاب « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » وقد مد فيه نهاية كتاب الجهشيارى الى عام ٣٩٣ هـ وكان الجهشيارى من جملة من مال عليهم ابن الأثير صاحب الكامل فأخذ منه كما أخذ من الطبرى الشيء الكثير ..

المؤرخون التحليليون

إن جميع من أشرت لهم من مؤرخي القرن الرابع هم مؤرخون تقليديون فتكاد حين تقرأ فى مؤلفاتهم لا تحس بأنك خرجت من جو الطبرى أو البلاذري .. لكن هناك فئة أوجدت فيها التركيبة الحضارية المتقدمة للقرن الرابع للهجرة أشكالا ومضامين مختلفة تماما . إنهم مؤرخون تحليليون يشعرونك بأنهم يقتربون من التاريخ وفى أذهانهم تعميمات وقناعات معينة يتحرون أن يجدوا لها تصديقاً فى ثنايا الأحداث . لذلك فهم يقلبون الحدث ويقارنونه بمثيله ويضاهئونه بعكسه ونقيضه للوصول إلى تعميم أو على الأقل نظرية تحتل الثبوت أو البطلان بعد التمحيص .. وانك لتشعر بحرارة مساعيهم تلك من ثنايا سطورهم .. خذ لك على سبيل المثال « ابن الطقطقى » صاحب كتاب « الفخرى فى الآداب السلطانية » إنك تحس فى إيراد الرجل للحديث وكلامه عنه أنه متلهف للوصول الى إثبات لنظرية محددة حول طباع الملوك وسرعة تشككهم ، وحاجتهم لارضاء الناس أحياناً على حساب مساعديهم . كما أنه يتحدث بما يشعر بفهمه للمعنى الدقيق لرجل الدولة وكونه شيئاً مختلفاً عن صاحب دعوة ينادى بها ولا يسعه أن يجامل فيها . ولقد يحسبه المرء متشيعاً ولكنه فى الحقيقة لا يعطى بمناقشاته الهادئة فرصة لأى اتهام متسرع له .. إنه يحب آل البيت فى حدود المنطق والنقاش الهادىء دون انغلاق فى حواسه أو اصرار على عدم تقليب الأمور بالمواجهة والمشافهة .

وانك لتستشعر عقلانية العصر ، وتركيبة العقل المثقف حين تقرأ فى كتاب «الأوراق» المؤرخ أبى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ للهجرة (٩٤٦ م) وكان فيما يبدو يخفى مجوسيته ان كان لهذه التهمة أساس وقد تتلمذ عليه بعض أبناء الخلفاء كالراضى بن المقتدر . ان هذا الكتاب ليس تأريخاً بقدر ماهو تعليق على التاريخ ومحاولة للتبصر فى روابط الأحداث .

المســـعودي

لقد قصدت تأخير الحديث عن المسعودى لأنه يشكل مدرسة متكاملة نقلت مهمة التاريخ نقلة كاملة من مفهوم « التدوين » الأمين الملتزم إلى مفهوم « الرؤية المستنيرة عبر الأحداث » للتوصل إلى قدرة أفضل فى فهم أحوال الدنيا ومسيرتها ومصائر الأمور فيها . ولابد أن صاحب كتاب « مروج الذهب » المتوفى قبيل منتصف القرن الرابع للهجرة (٣٤٦ هـ) كان يتمتع بعقلية نفاذة وذكاء متقد ، فانت تلمح بين سطوره أحيانا ما يكاد يرقى الى مستوى ابن خلدون أو حتى المقريزى وائل القرن التاسع . إنه رجل يروى الأحداث وهو يعتقد بأنها مترابطة وأنه يسري عبرها سنة لا رد لها ولا رفع .

والواقع إن « مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذى كان أول المتنبهين لقيمته فى عصرنا الحديث مستشرقان فرنسيان قبل حوالى نصف قرن من تاريخ تحقيقه ونشره فى القاهرة عام ١٣٤٢ للهجرة (حوالى ١٩٢٤ م) ، الواقع أن هذا الكتاب لم يعط حقه من الاهتمام لا على مستوى الجامعات العربية ولا على مستوى الأجهزة الثقافية الأكثر شعبية .

إن أهمية هذا الكتاب هى فى العناية المبكرة الفائقة التى يظهرها مؤلفه أبو الحسن علي المسعودى بمختلف الأحوال الاجتماعية . وأحوال الناس العامة باعتبارها مكوناً أساسياً لا فى تدوين التاريخ ولكن كوسيلة لفهمه . صحيح أن هذا الكتاب الذى ينتسب مؤلفه إلى الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لم يخرج فى الشكل الخارجى عن الطريقة التقليدية فى بداية التاريخ بآدم عليه السلام ، لكن المحتوى مختلف تماماً عن الطبرى وسواه . اذ أن فكر المسعودى مسلط دائماً على تحليل الحدث التاريخي ومحاولة الاستئناس بمبررات مسوغة لوقوعه . من النواحى الاجتماعية والاقتصادية ، ولعل من الدلائل الأخرى على عبقرية المسعودى مجرد اختياره الكتابة فى موضوع القرامطة وعلاقتهم بالدولة العباسية فى كتابه الموسوم بـ « التنبيه والإشراف » .

وربما لنا عودة إلى المسعودى ان شاء الله لدى بحثنا فى عمالقة المؤرخين الاجتماعيين كابن خلدون والمقريزى ، وقبل ان أختم هذه المقالة لابد لى ، وأنا فى صدد القرن الرابع للهجرة ، أن أشير الى مؤرخ مرموق آخراًلا وهو ابن مسكويه الذى سمي مؤلفه « تجارب الأمم » ولم يسمه تاريخ الأمم والملوك ، مثلا علماً بأنه أراد به فيما أراده تتمة أحداث الطبرى الى سنة ٣٦٩ للهجرة ، وكان سبب التسمية اهتمامه بالحوادث الاقتصادية والاجتماعية وما يظهره من دلائل على تفهمه العميق للعامل الاقتصادى وخطورته فى تشكيل الحياة الانسانية ومسئوليته الكبرى عن سير أحداثها .. ومن مزايا ابن مسكويه أنه توسع وفصل فى تاريخ البويهيين حيث ان المصادر عنهم بمثل أسلوب ابن مسكويه تكاد لا تكون موجودة .

كذلك يمتاز هذا القرن بمجموعة من الكتاب الذين حصروا أنفسهم فى تاريخ الأحداث المصرية كالحسن بن زولاق الذى ارخ للاخشيديين وامتد به العمر الى ما بعد قيام الدولة الفاطمية بمصر حيث كانت وفاته عام ٣٨٦ هـ ويعرف كتابه باسم « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » . وربما كان أفضل كتاب وصف دخول الفاطميين الى مصر . وهناك مؤرخون آخرون وقفوا عند التاريخ لمصر وأحوالها مثل الشابشتي صاحب كتاب « الديارات » وعز الملك محمد بن أبى القاسم صاحب المطول المعروف بتاريخ مصر وقيل إنه حوى ثلاث عشرة ألف ورقة أو ضعف ذلك بالصفحات .



أصبحت المرأة الحديثة تعاني من وطأة الفراغ الداخلي لوجود تصادم بين جيلين من النساء : الأم والبنت !

ظاهرة جديدة في الحياة الأوربية

الحُبّ المفقود
بين الأمّهات والجيل الجديد من البنات !

نادية يوسف

● العبارة التي زرعت الفوضى في دولاب الاستقرار العائلي !

● نحن نظلم المرأة الحديثة عندما نطالبها أن تكون صورة طبق الأصل من أمّها !

● الأمّهات الصغيرات يعتبرن الأمّهات الكبيرات موضة قديمة ، وبذلك تضيع منهن فرصة الاستفادة من التجارب العظيمة !



مازالت الأمهات الصغيرات في أوربا غير مستعدات لتحمل مسئوليات حياتهن ، لأن الخوف يملأهن ويبعدهن عن الاختيار الخاص !

.. الأم والبنت .. الأصل والصورة .. كيف خلقت الأم جيلا في صمت المعاناة .. وامتلأ فمها بعبارات الحب رغم ذلك ؟ .. ولماذا ازدحمت السبل تحت قدمي البنت وصولا الى حب مستحيل .. ونجاح غير مؤكد .. لتتحول الكلمات على لسانها الى طلقات نارية .. أو الى لحظات بكاء ودوار ؟!..

.. وعلى الرغم من انتشار هذه الظاهرة في معظم أنحاء العالم .. جيل الأمهات .. وجيل البنات .. فإن المتفرجين لازالوا يجلسون على الحياد السلبي .. يؤيدون رفض البنات المطلق لكل ما هو عادى وتقليدى .. في عبارة متمردة .. « نحن لا نقلد .. ولا وصاية لأحد علينا .. ولسنا امهاتنا .. » .

.. لقد زرعت هذه العبارة بذور الفوضى في دولاب الاستقرار العائلي .. ذلك لأن جيل البنات مشبع بالرفض من أجل الرفض والتكرارية والنمطية .. في محاولة لتحقيق حلم مستقبلي ذى مناخ خاص جداً ..

.. إن كثيراً من تحليلات هذه المواقف .. لم تصل بنا الى نتائج ذات قيمة مؤثرة .. ولكن الأمل في تفهم نتائج هذه الدراسة الجادة .. التى قامت بها مؤخراً .. البروفسيرة الخبيرة في علم النفس .. روزلاند ــ س ــ بيرنيت .. الباحثة بمركز ولسلي بالولايات المتحدة الأمريكية .. ولها عدة دراسات سيكلوجية حول الحب والعمل والحياة عند المرأة الحديثة ..

تقول روزلاند : « عندما تأتى الى امرأة في العيادة النفسية لا أسمع سوى عبارة واحدة .. لا أريد أن أكون أمي .. لم لا أكون نفسي .. لماذا يريد لى زوجى وأولادى أن اكون صورة طبق الأصل من أمي ؟ .. » .

عـذاب الاختيار

والحق .. نحن نظلم المرأة الحديثة عندما نطلب منها أن تكون أمها .. لا لشيء الا لأنها تختلف عنها تماماً .. فقد حصلت على قسط كبير أو صغير من التعليم .. تتزوج في سن متأخرة الى حد ما .. وربما لا تتزوج على الاطلاق .. تصمم على الانفصال عن زوجها عندما تستحيل معه الحياة .. على العكس من الأم التى تتحمل كل سيئات الزوج والزواج حتى يكبر الأطفال ..

لقد أصبحت المرأة الحديثة .. تمثل بالفعل ٤٠٪ من قوة العمل في جميع أنحاء العالم .. وهى لذلك تلهث في محاولة التوفيق بين أعبائها المتعددة .. مشغولة دائماً .. ولكنها تئن من وطأة الفراغ الداخلي لأن مشاغلها لا تملأ عليها حياتها .. إنها تريد أن تعيش حياة ذات اطار غير تقليدى .. ترفض من أجله أن تكون أمها .. وهذا الرفض يحدث تصادماً نفسياً بين الأم وابنتها .. وهو في الواقع تصادم بين جيلين من النساء في أمس الحاجة الى أن يعيشا سوياً في سلام في مواجهة كل الصعوبات ..



بين الأمهات والجيل الجديد من البنات!

وتفسر روزلاند : « إن المرأة التي تعمل خارج البيت وداخله .. أوقعت نفسها في حيرة وافترسها الشعور بالضياع .. والرغبة في تأكيد الذات .. وعدم القدرة على الاختيار في مواجهة قوى ظاهرة أو خفية .. دأبت على فرض سطوتها ومفاهيمها التي ترى المرأة أنها تقليدية ومختلفة ..

لقد حققت طموحات متعددة .. ولكن رغبتها في ان تكون انثى رغم كل الانجازات .. لازالت تشغل بالها ..

وهي بين هذا وذاك .. تتعذب في محاولة للاختيار بين حياة تختارها بنفسها .. وحياة عادية مطبقة على الأغلبية .. إنها تعرف ماذا تريد .. ولكنها غير متأكدة تماماً انها تريد ذلك .. والنتيجة هذه الحيرة النفسية التي تعانيها .

وهل يمكن حل هذه المعادلة ؟ ..

تقول روزلاند : « بالطبع نعم .. بان نعيد تشكيل حياتنا من جديد على أساس ان نتحمل نحن النساء المسئولية كاملة من اجل تحقيق سعادتنا .. يملؤنا الشعور بأننا لسنا أمهاتنا .. ولكننا يمكن أن نحيا كنساء كاملات .. بمعنى أن تتخير المرأة النموذج الذي يناسب أنوثتها .. فاذا كان من حق المرأة في العالم .. أن تسير في حياتها على نمط اختارته هي بنفسها .. فإنها لا تملك شيئاً إزاء اصرار أجهزة الاعلام على تأكيد صورة الرجل كنموذج للايجابية والقدرة على التحمل .. وتأكيد صورة المرأة كنموذج للإذعان والسلبية والابتعاد عن المناقشة .. الأمر الذي أدى الى ظهور نموذج المرأة التي تتحدد شخصيتها طبقاً لأبعاد سيكولوجية معينة تحتاج الى تفسير تصرفاتها السلوكية .. ليس فقط في ضوء الأطر الفكرية العامة .. ولكن أيضاً في ضوء التاريخ . كما ظهر نموذج المرأة .. التي ترفض الزواج طلباً للحياة الآمنة .. أو تحت ضغط العرف السائد .. ونموذج الفتاة التي ترفض أن تعامل على أنها صيد يرمى إلى الرجل لانداً له .. ونموذج المرأة المتزوجة التي تريد التخلص من قيود الزواج ..

.. والمؤسف أن كل نموذج يتمسك بموقفه رغم تعرضه للآلام والصورة تبدو هكذا .. إذا لم تقتنع البنت بهذا الاطار « التقليدي » .. فإنها ستواجه موقف تحدى الصورة العامة للمرأة كما يدركها أفراد المجتمع .. وسوف يكون عليها أن تدفع الثمن الاجتماعي الذي يفرضه تحدى ما هو مقبول اجتماعياً .. أما اذا لم يكن في مقدورها تحمل هذا الثمن .. فإننا نأخذ أشكالا أخرى من الرفض .. منها طلب الطلاق أو القسوة على الأولاد .. أو الاستقلال المادي .. الخ .. والغريب .. أن هذه الفئة تجذب اليها أعداداً جديدة يوماً بعد يوم .. في نفس الوقت .. تعتقد أنها تعوض ما فاتها وتستمتع بحياة أسرية مثالية يوماً ما .. وعندما تفشل في تحقيق ذلك .. تلقى بكل اللوم على المجتمع .. وعلى والدتها أيضاً .. « فلولا استكانة والدتي .. وخضوعها التام لأبي .. لما وصلت أنا الى هذه الحالة » .

.. والحق أن الأم ليست متهمة تماماً في ترسب هذه العقدة عند ابنتها .. ولكنها أي الأم « عاشت عصرها » لم تكن تفعل غير ذلك .. ولكنها في مواجهة البنت التي أضربت عن الزواج مثلا تعيش حياة كلها أسى على الأيام الضائعة .. بل إنها تنظر الى ابنتها على أنها من عالم جديد وغريب يختلف تماماً عن عالمها .. لأن هذه الأم الطيبة لم تعرف طابور الاختيارات التي تنتظر ابنتها .. تتعلم أولا .. أو تتزوج .. أو تظل بدون زواج .. وبالتالي فهي لا تقدر على فهم مشاعر البنت مهما حاولت .. وأيضاً لا تستطيع مد يد العون لها .. لأنها لا تفهم مثلا . كيف تؤجل البنت زواجها .. وتضيع أكثر من فرصة من أجل الحصول على درجة علمية متقدمة .. لا تفهم مثلا كيف تؤجر امرأة أخرى — لو تزوجت — للعناية بطفلها وهي خارج المنزل تعتني بأشياء أخرى .. لا تفهم لماذا تصمم على الطلاق مثلاً رغم أن أطفالها مازالوا يحتاجون لرعايتها .. وتحت ضغط هذه الأفكار التي تتصارع داخلها .. تشعر الأم في قرارة نفسها أنها بلا نفع حقيقي .. تراجع نفسها دوماً .. تنقدها بشدة .. تنبش في دفاترها القديمة ربما تستطيع أن تخفف من قلقها على ابنتها .. وتتعجب .. كيف ستقوم البنت بالاختيار بين كل هذه الأشياء وبمفردها . بينما هي لم تكن لتستطيع شراء شيء من الخارج .. بدون إذن الزوج ومصاحبته أيضاً .. وتتذكر الأم .. أيامها الأولى عند الزواج .. مؤكدة أنها لم تكن مهيأة له بالمعارف الكافية .. وظلت على جهلها فترة طويلة بعد الزواج .. وتتباهى بأنها لم تعرف شيئاً عن الرضاعة الصناعية .. بالرغم من أنها أنجبت عدداً كبيراً من الأطفال في حين تستمد ابنتها الشابة كل معلوماتها من المدرسة والتليفزيون والسينما والصديقات أيضاً .. وتنجب في المستشفى وترضع أطفالها لبناً صناعياً .. اعتقاداً منها أن هذا الأسلوب هو الأنسب .. كما أنها تركت عملها لتربية الطفل وتنوى أن تبحث عن عمل آخر .. عندما تسمح الظروف بذلك .. وتريد أن تقتني سيارة خاصة بها ..

نماذج من الحياة

.. ولنأخذ مثلا حالة « أليس » ٣٤ سنة .. كنموذج للمرأة الحديثة العاملة .. متزوجة ولها طفلة واحدة .. كانت « أليس » تعمل حتى اليوم الأخير قبل ولادة طفلها .. عادت الى العمل بعد الولادة مباشرة .. تاركة الطفلة مع مربية تعيش معها بتشجيع من زميلاتها في العمل .. كانت تقول : كيف أستسلم لروتين الحياة المنزلية ؟ .. لابد من العمل حتى لا أشعر بالملل ؟ .. ورغم أنها نفذت ما قالته .. الا أن « أليس » تشعر أنها لم تحقق توافقاً من أي نوع مع والدتها .. وفي عيادتي أوضحت « أليس » مشاعرها : ان والدي لم يتفهما مطلقاً رغبتي في الالتحاق بمدرسة عالية .. نفس الشيء بالنسبة لقراري بتأجيل الزواج وولادة الطفل الأول .. حتى أستقر في وظيفتي .. » .

.. وتعود « أليس » الى الماضي .. فتتذكر : كانت أمي تصر على مشاركتي لها في الأعمال المنزلية .. قائلة : « حتى

تصلحين كزوجة فى المستقبل» .. فى حين لم تكن تسمح لأخي بالمشاركة فى هذه الأعمال .. وكانت احاديثى معها تدور حول العرائس التى أملكها .. أما أخى .. فقد كان فى نظرها أكثر نضجاً .. وكانت تقول دائماً على مسمع منى ومن أخى .. «إن مصلحة البنين فى المستقبل أن يكونوا على دراية بأصول الطهى فى الفترة التى يعتمدون فيها على أنفسهم قبل الزواج» .. أما البنت .. فلا يهمني سوى الحصول على زوج وبيت وتكوين أسرة .. وتولى رعاية الأطفال بصورة كاملة ..

إن الأمر الذى يضايق «أليس» جدا .. هو أن أبويها لم يحاولا مناقشتها فى أى من قرارات حياتها .. كل مافعلاه انهما تركا شعورهما بخيبة الأمل وعدم الاستحسان .. ينمو ليظهر أمام ابنتهما فى صورة مختلفة .. الأمر الذى أدى الى أنها تؤكد دائما .. أن الاختبار الصحيح فى حياتها لم يحدث الآن ..

وهذه بعض ملامح التناقضات التى توضح العلاقة بين الجيلين ..

.. ذهبت «والدة أليس» لزيارتها يوما . كانت الطفلة فى الأسبوع الرابع . حملت «أليس» ابنتها الرضيعة الى أمها لتحملها بين يديها .. فرحت الأم .. أخذت الطفلة بين ذراعيها .. ولكن .. بعد دقائق قليلة استدارت الى ابنتها قائلة : «خذى ابنتك ضعيها فى فراشها .. حتى لا تتعود على أن يحملها أحد ..» «أليس» .. تنظر الى الأم التى تحاول أن تشرح وجهة نظرها .. بحدة ملحوظة .. ملامح معركة أسرية تبدو فى الأفق لا يخفف من آثارها سوى أن كلا من المرأتين تكن حباً للأخرى .. رغم عدم التفاهم الظاهرى .. الابنة تشعر أنها انسانة تفهم وتقدر وتستطيع أن تقوم بواجب التربية مثل أمها تماماً .. والأم شعرت فى هذه اللحظة بالذات أنها من جيل الأمهات التى لم يعد يحوز إعجاب الابنة وبالتالى لا تعمل بنصيحتها ..

.. هذه التناقضات ربما سطحية بالنسبة للأم والبنت فى وقت معا .. ولكن الحقيقة ـ كما تقول روزلاند ـ أن لها جذوراً تاريخية ضاربة فى القدم .. هذه الاعتقادات القديمة التى لازالت ترسخ فى عقل المرأة الحديثة وهى أنها أنثى أقل فى الدرجة .. لذلك فانها تأخذ أثناء معركة الكفاح أشكالا متعددة من التمرد ..

.. نعرف جميعاً أن عدداً كبيراً من النساء فى العالم يضربن عن الزواج .. مستمتعات بهذا النمط من الحياة .. ومن واقع خبرتي أؤكد .. انهن يسألن أنفسهن دوماً .. هل يمكنهن مواصلة الحياة بدون شريك حياة دائم .. أكثر من ذلك أن الخوف الدائم يسيطر عليهن من أن الحياة التى تمر بهن الآن بكل حرية .. بعيداً عن القيود الاجتماعية .. سيدفعن ثمنها إن آجلا أو عاجلا .. وأيضا نموذج المرأة التى تتزوج ثم تصر على عدم الانجاب وتقترب من الأربعين .. انها تعتبر نفسها أنثى غير كاملة .. بل إنها أقل النساء جميعاً .. باصرارها على عدم الإنجاب .. ولكنها رغم ذلك لا تتراجع ..

ومن النادر أن تخرج المرأة من هذه الورطات التى وقعت فيها باختيارها بدون خبرات جديدة .. ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن فى أن تتعرف على هذه الخبرة مؤخراً .. بحيث لاتستطيع الاستفادة منها وتحقيق ذاتها بوعي كامل وبالاختيار ودون اي مؤثرات خارجية .

وهناك بديهية نعرفها جميعاً .. تقول .. أي طريق نختاره بأنفسنا لابد من وجود مكاسب وأيضاً خسائر .. ولنتكلم هنا عن الخسائر وهو القلق الذى نعانيه من خوض طريق غير معروف وغير ممهد ولم تسر عليه امرأة من قبل .. ومع هذا القلق .. تنبع الحاجة دائماً الى تأكيد دور الأم ودعمها وحنانها على أقل تقدير ..

لماذا هي بائسة ؟

«أعتقد أن اصعب الاختيارات وأخطرها كلها تأتي عن طريق تلك المرأة التي تكتشف بعد سنوات طويلة من الزواج .. أنها غير سعيدة .. وهذا النموذج تمثله «سارا» متزوجة ولديها ولد وبنت .. على السطح كل شيء يسير على مايرام .. زوجها يحقق لها مستوى جيداً من المعيشة .. لايشرب الخمر .. لايثير الصراعات .. ولكنها تكتشف فجأة أنها غير سعيدة بسبب انشغال زوجها وهمومه الدائمة .. وتشعر «سارا» أنها لن تستطيع أن تشرح لوالدتها لماذا هي بائسة .. لاسيما أن المعتقدات الاجتماعية الشائعة في العصر القديم أيام زواج الأم .. تحجب الأم عن فهم ابنتها .. ورغبتها في التخلص من حياتها الزوجية .. لذلك فإن «سارا» تتحاشى بكل الطرق الممكنة الحديث مع أمها في هذا الموضوع .. لأنها أساسا لاترغب في سماع نصائح موجودة في عقلها ووجدانها وكيانها .. عبارات من ذلك النوع .. زوجك ليس له مطالب خاصة .. وحياتك مثالية .. لماذا تتعبين نفسك بالتفكير في أشياء بعيدة .. هل ماتودين عمله على درجة من الأهمية بحيث يستحق أن تضحي من أجله بطفليك وزوجك وأسرتك ؟ ..

والمفارقة هنا هي أن «سارا» تعتبر هذه

هذه الفتاة لا تستطيع أن تشرح لأمها كم هي بائسة . رغم أن كل شيء يسير على مايرام فى حياتها الزوجية !



العبارات اتهامات مباشرة لها .. بأنها ليست أنثى عادية ولايعتمد عليها .. لاتتمتع بقوة الاحتمال .. ناكرة للجميل .. وغير مرغوب فيها .. كل هذه الإتهامات تعذبها .. ولذلك فهي تعرف أنها سوف تتخذ قرارها بالانفصال بعيدا عن أمها .. وظلت على هذه الحالة سنوات كاملة لاتعرف ماذا تريد .. تعيش حياتها الزوجية أم تتمرد عليها .. إلى أن جاء يوم زارتها فيه أمها .. أفضت إليها بمتاعبها .. ولكنها لم تسمع من الأم ما كانت تعتقد أنها تعرفه .. الأم الخبيرة حصرت لها الأسباب التي جعلتها أما بمعنى الكلمة .. أما كما تريد هي .. لاكما يريد الآخرون .. وتعلمت من هناك أن مايمكن أن يحدث هو تأكيد احساسها بقيمة أن تكون امرأة مسئولة عمن حولها تملأ عليهم حياتهم .. ويملأون عليها حياتها .. وبإحساسها الجديد الذي أوحت به لها الأم المحنكة .. أبعدت فكرة الانفصال عن ذهنها .. وأكملت في شهور قليلة مالم تكن تقدر عليه في سنين طويلة هي سنوات التمرد ..

الحاجة لقلب الأم

.. ومما يدعو للسخرية .. أن التحول عن نموذج الأم .. يأخذ أشكالا متعددة .. أهمها تلك الابنة التي تحتاج إلى نصائح صغيرة من الأم .. ولكنها لاتود أن تطلبها منها .. ان هذه الحالة قد أكدتها نتائج دراسات عديدة عن النساء من سن ٣٥ إلى ٥٥ في مركز أبحاث المرأة في ولسلي .. والحل أن كل النساء .. سواء اللاتي تزوجن وأنجبن .. أو تزوجن دون أن ينجبن أو اللاتي لم يتزوجن .. أو المطلقات بدون أطفال .. أو المطلقات ولديهن أطفال .. لكل هؤلاء أقول : انكن جميعا في حاجة إلى قلب الأم .. ان العلاقة الطيبة مع الأمهات .. ستفيد حالتكن النفسية كثيرا .. وعلى وجه الخصوص النساء المطلقات اللاتي يعملن ولديهن أطفال .. لابد من العودة في النهاية الى حضن الأمهات .. حتى لو اعتقدت الأم أن الابنة المطلقة هي السبب في الطلاق .. لأنها قد اتت خطأ كبيرا أو شيئا تخجل منه .. وسوف تعتقد في البداية أيضا أنها أخطأت كأم في واجب التربية ولم تقم به كما ينبغي .. ولكن الاتحام بها .. بكل الحب مع شرح الظروف والملابسات يمكن أن يرفع عنها القلق والشعور بالذنب .

أما الكلمة التي أقولها لكل أم لديها ابنة سوف تكون أما في المستقبل .. يجب أن تلقن الأم ابنتها دروسا عملية تتعلم من خلالها كيف تتقبل نفسها كأنثى كاملة .. ومن حقها أن تفخر بذلك .. وأنها برعايتها لأطفالها وتنشئتهم نشأة عصرية إنما تعيش حياة غير تقليدية .. إن هذه الدروس سوف تقلل الى حد كبير من القلق والصراع الذي تشعر به البنت .. عندما تكون زوجة وعاملة .. وعليها تقع أعباء متعددة .. ورغم ذلك فهي أقل من الرجل مكانة .بما يسلمها للتمرد .. وهذا يعني بالضرورة أن تقوم الأم بتلقين ابنتها .. أن تتقبل نفسها في الحياة الخاصة كما هي في الحياة العامة .

وكلمة أخرى للابنة التي تبحث عن رضاء الأم .. انك تفعلين المستحيل لتدخلين السرور على قلب صغيرك .. لماذا لاتقومين بنفس الشيء أو قريبا منه بالنسبة لوالدتك .. وأؤكد أن الفرصة ستكون متاحة تماما للحصول على رضاء الأم .. ثم بعد ذلك سترى الابنة الحياة بشكل مختلف تماما .. وسوف تصبح راضية عن نفسها كل الرضا .. لأن هناك سندا لها في الحياة يدعمها بالنصيحة والخبرة والرأي السديد بلا مقابل .

وأعتقد أن المشاكل تأتي من أن الأمهات الصغيرات لايسمحن للأمهات الكبيرات الخبيرات بالتدخل في حياتهن ، بل إن الواحدة منهن تعتبر أمها موضة قديمة .. والشيء الذي لاتعرفه الفتيات .. أن الأمهات حقا جيل قديم .. ولكنهن يتغيرن مع الزمن .. وأنهن يسمعن ويشاهدن ويعشن عصرهن مثل الأمهات الصغيرات تماما .. إذن لماذا لانجرب أن نشرك أمهاتنا معنا في حياتنا .. وأن نستفيد من تجاربهن وأن تستفيد أيضا بما يحدث من تطور في سلوكهن باستمرار .. بل ونسهم في تطوير هذا السلوك .. بتوضيح مفاهيمنا الجديدة .. وتقريبها إلى أذهان الجميع .. وبذلك يحدث التقارب المطلوب .. وحل المعادلة الصعبة التي تقول .. إن الأم تظل في حالة شوق دائم لكي تستشيرها ابنتها في أمورها الخاصة .. والبنت تتمنى من كل قلبها أن تحوز رضاء أمها عنها .. لأنها بالتأكيد أهم

رغم ما حدث من تطورات في سلوك المرأة ومظهرها في المجتمع العام : إلا أنها ما زالت في حاجة إلى قلب وعقل الأم لانقاذها من مشاكل الحياة !

الأم الكبيرة مع أولادها وبناتها وزوج ابنتها الكبرى وحفيدها ، وكل معلومات الابنة الشابة لا تستمدها من تجربة والدتها : ولكن من المدرسة والتليفزيون والسينما والصديقات !

شخص في حياتها .. ولكن كيف يحدث ذلك ؟ .

والدرس الأساسي الذي يجب أن تعيه كل ابنة للحصول على رضاء أمها .. هو أن تحرر نفسها من الخوف من الفشل . تفحص أهدافها من الحياة جيدا .. قبل أن تجازف بالاختيار .

.. لتكن أهدافك مناسبة لامكانياتك وقدراتك الخاصة .. حاولي إقناع والدتك بالمناقشة الهادئة ..

إذا كنت أما وزوجة .. لاتخجلي من مصارحة أمك بأدق أسرارك حتى أسرار علاقتك بزوجك بدلا من مصارحة الصديقات .. وتأكدي من أنها سوف تعطيك العلاج المؤثر .

تحملي مسئولية إدارة دفة حياتك بنفسك .. فان المرأة ــ رغم ماحدث من تطور في سلوكياتها ــ فإنها لازالت حتى الآن تنفذ ماهو مطلوب منها .. بمعنى آخر .. تنفذ مايقترحه الرجل عليها .. وهي مسئولة عن ذلك تماما .. لأنها في قرارة نفسها لاتريد أن تتحمل مسئولية حياتها .. بل إنها غير مستعدة لتحمل هذه المسئولية .. انها تعاني من الخوف من أن اختيارها قد لايكون صحيحا .. فمثلا الأم الشابة العاملة لاتحاول تغيير حياتها أو عملها .. حتى ولو كان هذا العمل نائبة لرئيس احدى الشركات لأن الخوف يملؤها .. ولأنها تريد أن يأخذ شخص آخر عنها هذا القرار ..

أما المرأة التي تقوم بالاختيار بنفسها .. وتتحمل نتائجه .. فتكون من القوة بحيث لاتريد أن تسمع كلمات المواساة أو التأنيب .

ألم أقل لك ذلك من قبل ؟ .. وطبعا يزداد الأمر سوءا إذا كان هذا التأنيب من امها .

إن التفكير في الفرص التي كانت مثلا . غير مناسبة على الاطلاق يؤرق الفتاة .. وعندما يبدو الزواج في الطريق السليم لمدة ١٥ سنة .. فجأة يتكشف للزوجة أن هناك خطأ ما .. يجب أن تنفصل من أجله .. شيء مثير للاشفاق .. لأن فكرة الخطأ والصواب أساسا تحتاج الى بحث ودراسة .. وما من شيء مؤكد في هذه الحياة .. وقد تكون الفرصة مناسبة لك الآن ولكنها بعد سنوات تفقد صلاحيتها لك وتصبح غير مجدية .. وكلنا نعلم أن اتخاذ القرار الصحيح .. شيء مهم .. ولكن حتى القرارات الصحيحة لانعرف أنها كذلك إلا بعد مرور سنوات .. بالاضافة الى أن كل القرارات التي يأخذها الانسان في حياته بشكل ما .. تخضع لعدة اتجاهات سيكلوجية واعتبارات نفسية .. هي التي تدفعنا للسير في هذا الاتجاه أو ذاك .

صانعة الحلم

إذن .. نحن النساء في حاجة أولا إلى أن نعرف أنفسنا بطريقة كافية .. بحيث نستطيع اختيار الطريق الذي يلائم كلا منا .. ويحقق لنا الراحة النفسية المنشودة .

وهذا يجرنا بالطبع الى الحديث .. عن حالات تضطر لاختيار طريق معين لأن شخصا آخر يريد لها ذلك سواء كان هذا الشخص غريبا أو قريبا .. أو لأنها تخاف كلام الناس .. أو لأنها تخاف من التغيير .

إن كل هذه الاعتبارات تخلق ضغوطا نفسية شديدة على المرأة .. على مشاعرها بالذات وتكلفها كثيرا .. ولنضرب لذلك مثلا .. النساء غير المتزوجات ورضين هذا الوضع بإرادتهن الخاصة .. أفضل كثيرا بل وأكثر استقرارا من النساء اللاتي يردن الزواج ولكن لم يسعدهن الحظ .

وبالمثل .. فان النساء الراغبات في العمل بإرادتهن تحقيقا لخبرات معينة .. أفضل كثيرا وأكثر استقرارا من اللاتي يعملن تحت ظروف اضطرارية .

والخلاصة .. أن اختلاف القيم بين الأجيال هو الذي يؤدي الى الصراع .. ويمكن أن نخفف منه بأن نفهم كرجال ونساء .. أفراد في مجتمع ما .. أن العهد الذي كانت فيه المرأة مسئولة عن جمع شمل الأسرة وتدعيم وجودها في غيبة الرجال في الصيد أو الحرب .. انقضى تماما .. وأصبحت المرأة الحديثة .. هي مؤلفة أغنيتها وصانعة حلم مستقبلها وحياتها .

وتعتبر الأم من أهم الأطراف التي يكون لاستجابتها لتصرفات ابنتها .. تأثير واضح في الموقف .. وفي أسلوبها لاختيار الطريقة الملائمة . لأنه ليس من السهل أن تتجاهل الابنة ردود فعل الأم تجاهها .. وان اظهرت غير ذلك .. فهي أكثر اهتماما من الابن بهذه الناحية .

اعداد : ناديه يوسف

الشاعر عبد الفتاح مصطفى:

مشوار حياته قبل الرحيل!

● كان يعتبر مسلسل «محمد رسول الله» هو أعظم ما كتب في حياته

● أرسل قصيدته إلى الإذاعة بالبريد، ليلتقي بعدها محمد عبد الوهاب، وليعلن مولده كمؤلف أغان!

بقلم: حسين عثمان



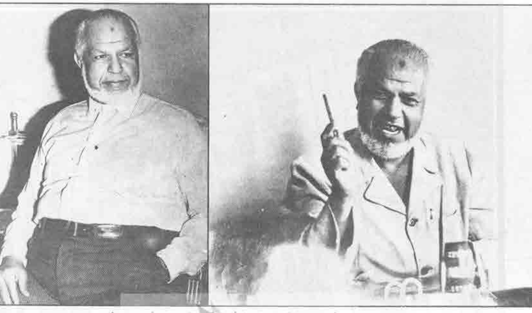
الشاعر الغنائي عبد الفتاح مصطفى أيام الشباب

كانت أم كلثوم تقول عنه «إن الكلمات تطاوعه دائماً وبصورة مذهلة» .. وكان الملحن رياض السنباطي يقول عنه «إن انتاجه من أرقى المستويات في دنيا التأليف الغنائي» .. وقال غيرهما من المطربات والمطربين والملحنين كلاماً كله مديح وإطراء .. وتقدير للمؤلف والشاعر الغنائي عبد الفتاح مصطفى . الأديب والشاعر الذى كان يكتب القصائد وأرقى الأغاني العاطفية . والذى كان مغرماً بمناقشة أم كلثوم في القانون والشعر والتصوف !

والشاعر عبد الفتاح مصطفى من مواليد حى (أم الغلام) بالجمالية أقدم أحياء القاهرة .. نشأ يتيماً : فقد مات أبوه وهو في مطلع عامه الثانى من عمره ، وكان والده أزهرياً ورعاً متديناً ، ولم يترك له غير مكتبة حافلة بكتب الدين ، وبأوراق كثيرة تضم الكثير من أشعاره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولما بلغ عبد الفتاح مصطفى الخامسة من عمره الحقته والدته بمدرسة «البراموني» الأولية ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، ويحفظ الكثير من آيات الذكر الحكيم . فلما بلغ السابعة من عمره الحقته بمدرسة الظاهر الابتدائية ، ثم مدرسة فؤاد الأول الثانوية . فلما حصل على شهادة البكالوريا الحقته بكلية الحقوق بالجامعة المصرية ، حتى تخرج محاميا عام ١٩٤٦ ، فاشتغل بالمحاماة بضع سنوات ، ثم التحق بوظيفة قانونية ، وانتقل منها إلى وظائف عديدة حتى أصبح وكيلا للوزارة قبل أن يبلغ سن المعاش !

وقبل ذلك كان يكتب الشعر في سن مبكرة من عمره ، فعندما أمسك بأوراق أبيه يقلب فيها ويجاهد في قراءة أشعاره . بدأ يتخذ منه مثلا وأصبح يكتب كما كتب ، ويعرض ما كتب على والدته التى كانت على قدر من الثقافة وحب الاطلاع بما يسمح لها ان توجهه ، كما كانت تختار له الكتب الحديثة والمجلات الأدبية التى جعلته يبلغ من المستوى الثقافي مكانة هامة ، وساعده مستواه في اللغة العربية على أن يكتب في مجلة (نور الاسلام) ومجلة الأزهر . وأصبحت مكتبته حافلة بأجزاء من تفسير القرطبى وغيره من أعظم المؤلفات الدينية . وظلت هذه المقتنيات تتزايد عنده بفضل اهتمام والدته بتزويده بالثقافة الدينية ، وهو لم يبلغ من العمر الخامسة عشرة ، إلا انه في هذه السنة اهتم بتيار الحياة العامة ، فأصبح من قراء المجلات العامة التى كانت تصدر وقتئذ في مصر ، وكان يستهويه في هذه المجلات ، أبواب الزجل والأغاني ، فعشق هذا اللون من الأدب الشعبى ؛ وكان ينظم أزجالا في المناسبات المدرسية والحفلات ، لكنه عندما التحق بالمدرسة الثانوية ، اجتذبته «جمعية الشعر» وكانت المدرسة تحفل بعدد كبير من الشعراء بين المدرسين ، فرده هذا المناخ الى الشعر ، وشغف بالشعراء القدامى وكذلك بالشعراء المعاصرين ، وكان يحاكي أشعار أحمد شوقي أمير الشعراء وحافظ ابراهيم ، وكان يحاكي أيضاً المتنبى والبحترى ، وجمع مؤلفاته من القصائد في أول ديوان طبعه واسماه (المزامير) وكان عمره يوم صدور هذا الديوان لا يتجاوز التاسعة عشرة ، وأثار هذا «الديوان» ضجة كبيرة ، واحتفل شعراء العصر بظهوره .. ثم ظهر ديوانه الثانى ، وبعد ذلك لحن له محمد عبد الوهاب قصيدة من تأليفه «موكب النيل» ، وكانت لهذه القصيدة حكاية طريفة ، فقد ارسلها بالبريد الى الاذاعة سنة ١٩٤٠ ، وبعد أسابيع تلقى دعوة لمقابلة محمد سعيد



لقطتان للشاعر الأديب عبد الفتاح مصطفى فى أواخر أيام حياته وقبل أن نودعه بأيام

لطفى (باشا) المستشار الفنى للإذاعة المصرية وقتئذ ، الذى أبلغه أن لجنة الأغانى اختارت قصيدة (موكب النيل) وعهدت بها الى الموسيقار محمد عبد الوهاب لتلحينها ، وطلب منه أن يقابل عبد الوهاب ، ولما ذهب لمقابلته فى منزله ــ وكان عبد الوهاب يسكن وقتئذ بحى العباسية بالقاهرة ــ كاد عبد الوهاب ألا يصدق أنه صاحب القصيدة لصغر سنه ، وكان لقاؤه مع عبد الوهاب بداية لمولده كمؤلف غنائى تضج الاذاعة ببرامجه وأغنياته وهو فى سن السادسة عشرة وفى السنة الثالثة الثانوية .وبذلك طار صيته ، وتهافت على أغانيه المطربات والمطربون ، وكاد أن يهجر الدراسة الثانوية ، وهو يسمع اسمه يتردد على السنة الجماهير والمطربات والمطربين والملحنين ، لولا أن والدته استطاعت أن تقنعه بمواصلة الدراسة وبذلت كل مالديها من جهد ليجتاز محنة الغرور والضياع !

وعلى كثرة ما كتب عبد الفتاح مصطفى من أغان وشعر غنائى ، فقد كان يعتبر مسلسل « محمد رسول الله » هو أعظم ما كتب فى حياته ، وقد رشحته لهذا العمل الدينى الكبير السيدة تماضر توفيق التى كانت مديرة للتليفزيون المصرى ، وقرأت قصة « محمد رسول الله والذين معه » لمؤلفها عبد الحميد جودة السحار ، فعهدت الى الشاعر المعروف بكتابة السيناريو التليفزيونى . وكان عبد الفتاح مصطفى سعيداً بهذه المهمة ، لأن الكتاب ــ كما صرح فيما بعد ــ كان مريحاً له دينياً وعقائدياً ، فإن القصة موسوعة تاريخية تشتمل على القصة ، الدينية ، وطبائع الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، فجاء العمل الفنى طيباً يجسد هذا العمل الكبير خير تجسيد .

لقد استطاع عبد الفتاح مصطفى أن يجمع حول التليفزيون ، الملايين من المشاهدين من ابناء مصر والبلاد العربية ، ليستمعوا الى حواره السلس فى أكبر مسلسل دينى أعده التليفزيون المصرى ، بل كان هذا المسلسل اكبر عمل من أعماله الدينية رغم أنه كتب للسينما عشرات الأفلام الاسلامية . ولقد استعان بكافة المراجع الاسلامية أثناء كتابة هذا المسلسل للتليفزيون ، وقضى قرابة عام كامل يقرأ هذه المراجع من أجل تقديم المسلسل فى صورة رائعة ، اعتبرها الكثير من الأدباء والشعراء ورجال الدين من أبرز الأعمال التليفزيونية التى كتبت عن الاسلام .

والى جانب ما كتب من أشعار دينية ومؤلفات وقصص ، فقد كتب عشرات الأزجال الخفيفة فى (ياميش رمضان) و (مدفع الافطار والامساك) وكان يحلو للمطربة أم كلثوم فى بعض الأيام التى كانت تجمعها مع عبد الفتاح مصطفى فى شهر رمضان أن يروى لها بعض ذكرياته الفنية ، وقد بدأت علاقته بأم كلثوم سنة ١٩٥٨ بمقطوعة زجلية من تأليفه مطلعها (منصورة ياثورة أحرار) فأرسلت تستدعيه لزيارتها ، وتناول حديثهما فى أول لقاء بينهما هذه (القصيدة) وطلبت منه أن يزيد عليها بعض الأبيات ، ومنذ هذا اليوم بدأت بينهما صداقة قوية يدعمها طريقهما الفنى الجاد .

هذا هو ــ فى سطور ــ الأديب والشاعر ومؤلف الأغانى عبد الفتاح مصطفى الذى فقدناه أخيراً ، والذى ترك فقدانه فراغاً ما بعده فراغ فى الحياة الثقافية والفنية .



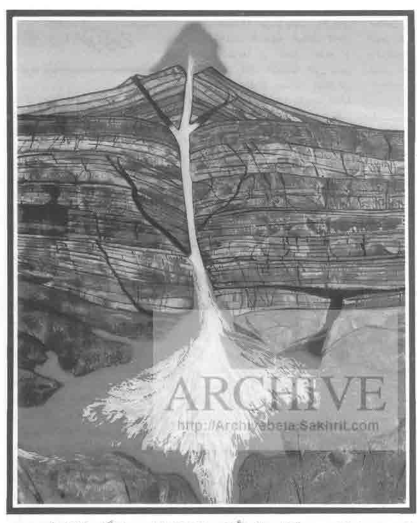
هذا الخطر الذي مازال يهدد البشرية:

الزلازل والبراكين

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

الزلزلة هزات سريعة خاطفة تحدث في بعض أجزاء القشرة الأرضية في فترات متقطعة وقد تكون هذه الهزات ضعيفة فلا تحس بها سوى آلات الرصد الدقيقة. على أن بعض الزلازل قد يبلغ من العنف إلى حد أن يحدث أضراراً كبيرة. فكم من أرواح أزهقت وكم من مدن هدمت. وكم من مدنيات اندثرت من تأثير بعض الزلازل العنيفة. فالزلازل رغم أنها قصيرة المدى هي من ظواهر الطبيعة التي تحدث رعباً وفزعاً في نفس الانسان.

والزلزلة في الواقع مجموعة من الهزات تتلو الواحدة الأخرى. وقد تتوالى مدة طويلة قبل أن تعود القشرة الأرضية الى حالتها الثابتة. وهي تبتدىء عادة بهزات خفيفة قد تكون مصحوبة بأصوات كعصف الرعد منبعثة من باطن الأرض، ثم تتلوها هزات متكررة تتناقص في قوتها تدريجياً.



النموذج المألوف للبركان ، حيث نرى كيف تتكون الحمم لتتصاعد وتتعاظم من خلال فوهة البركان ، ثم تنطلق وتدمر كل شيء في طريقها !

● السهول الواسعة لاينالها أذى الزلازل إلا نادرًا ، فالخطر يكمن في سلاسل الجبال المنحدرة أو المحاذية للبحر !

● البراكين على شرّها لا تخلو من الخير ، فهي مخازن يستغلها الإنسان للحصول على البخار لإدارة الآلات

حتى تقف نهائياً .

وتنقسم الزلازل من حيث العوامل التى تحدثها إلى قسمين : قسم ينتج عن حركات طبقات الأرض الباطنية حركات قد تكون بعيدة جدا عن سطح الأرض ، وقسم بركانى الأصل . أما الزلازل البركانية فلسنا فى حاجة لاطالة الكلام عنها ، لأنها لا تحدث إلا فى المناطق التى توجد فيها البراكين . وأهم ما يميزها هو وقوع مركز الاضطراب على عمق بسيط من سطح الأرض ، مما يجعل أثر الزلازل اللابركانية محدودا فى مساحة ضيقة . وتقاسى بعض أنحاء العالم كاليابان وأجزاء من ايطاليا أضرار النوعين . إلا أن الزلازل اللابركانية الأصل تحدث عادة خراباً أكثر من غيرها من البراكين وعلى مساحة أوسع .

وتحدث الزلازل اللابركانية بسبب انزلاق طبقة من طبقات الأرض الباطنية

الزلازل والبراكين

انزلاقاً تدريجياً تحت ضغط . وبعد مدة تنشق الطبقة الصخرية الواقعة تحت الضغط بقوة عظيمة لا تسبب هبوطاً مؤقتاً في المكان الذى حدث فيه الزلزال فقط ، ولكنها تسبب أيضاً حركات ثانوية في مساحة واسعة من الأرض ، فيمتد لذلك أثر الزلزال ، بحيث يشمل مناطق أخرى غير التى حدث فيها . ويتناسب مدى الاضطراب تناسباً طردياً مع عمق انشقاق الصخر بالنسبة لسطح الأرض ، فمثلا وصل أثر زلزال سنة ١٧٥٥ في لشبونة إلى البحيرات السويسرية والاسكتلندية فهزها .

هذه هى أسباب الزلازل ، أما المساحة التى ينحصر فيها أثرها فتختلف باختلاف قوة الزلازل ، فقد رأينا أن مدى أثر الزلازل اللابركانية يتناسب تناسباً طردياً مع بعض الصخور المنشقة عن سطح الأرض ، أى أنه كلما ابتعد الانشقاق عن سطح الأرض كلما ازداد اتساع المنطقة التى تتأثر بالزلازل . وعلى هذا فلا يمكننا أن نقول إن الزلزال يكون منحصراً في دائرة ضيقة لا تتجاوز العشرة كيلومترات المربعة .

ومن غريب الحقائق أن الأماكن القريبة من بركان ثائر اسلم من الدمار من أمكنة قريبة من بركان خامد . فمدينة جواتمالا دمرت مراراً عديدة عندما كانت مبنية على مقربة من بركان خامد . أما الآن فإنها لم تدمر مرة واحدة منذ أن نقلت قبل مائتى سنة إلى مقربة من بركان ثائر . وسبب ذلك غريباً ، فالبركان الذى يبدو خامداً ، قد يضمر ثورة في أعماق الأرض ، فإذا لم يكن هناك منفذ لهيجانه مثل منفذ البركان الثائر ينفجر بالمرجل فيسبب اضطرابات زلزالية .

ودلت الخرائط التى رسمت لعدة سنوات عديدة على أن الزلازل اللابركانية موزعة على وشاحين يمتدان على وجه الأرض . فالوشاح الأول يشمل منطقة المحيط الهادى تقريباً . ويمتد الوشاح الثانى على جبال الألب والقوقاز وسلسلة جبال هملايا . والمناطق الواقعة في هذين الوشاحين الزلزاليين تمثل المناطق التى معدل انحدارها أعلى ما يمكن . فالأراضى التى تحاذى المحيط الهادى تنحدر انحداراً سريعاً إلى أعماق عظيمة في المحيط ، وكذلك المنطقة التى تشمل جبال الألب والقوقاز وهملايا . ولذلك فإن ضغط كتلة الأرض من هذا الارتفاع العظيم يحدث تلك الأخطاء أو الشقوق في صخور طبقات الأرض الباطنية ، التى بدورها تسبب الزلازل اللابركانية على أعماق بعيدة . ويؤيد هذه النظرية ما يحدث في اليابان ، فإن الزلازل كثيرة الوقوع في تلك المنطقة من اليابان المجاورة للمحيط الهادى حيث ينحدر قاع البحر انحداراً سريعاً إلى أعماق تبلغ الثمانية آلاف متر . أما في تلك المنطقة المجاورة لبحر اليابان ، فإن الزلازل أقل حدوثاً فيها منها في المنطقة الأخرى ، فهنا يتحدر قاع البحر انحداراً أخف ويزيد عمق البحر نفسه عن ثلاثة آلاف متر .

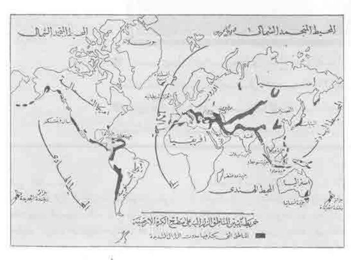
إن الزلازل التى حدثت في آسام سنة ١٨٩٧ وفي ايطاليا قرب نهاية القرن الثامن عشر وفي كاليفورنيا عام ١٩٠٦ ، تقع كلها على أحد هذين الوشاحين الزلزاليين المعروفين . وعلى العكس من ذلك فإن السهول الواسعة كأمثال روسيا والبرازيل لا يحدث فيها الزلازل إلا نادراً . وهذا مما يؤيد صحة النظرية القائلة بأن سبب الزلازل اللابركانية هو ضغط كتل كبيرة من سلاسل الجبال المنحدرة أو المحاذية للبحر المائلة على قاعه ميلا عظيماً . والبراكين تسبب زلازل أقل خطراً ولكنها قد تحمل اخطاراً كبيرة في بعض الأحيان .

جهاز رصد الزلازل

السيزموجراف هو آلة رصد الزلازل . ولا يقتصر عملها في إثبات حدوث الزلازل بل تسجل أيضاً وقت حدوثها وعدد الهزات المكونة منها ولونها ومداها واتجاه مصدرها . والحقيقة العلمية التى بنى عليها اختراع السيزموجراف هى أنه إذا دلينا كتلة ثقيلة في آخر حبل أو عمود طويل ، كما يتدلى بندول الساعة ، فإنها بحكم قصورها الذاتى تبقى ساكنة حتى ولو اهتزت الأرض والقوائم المدلاة منها الكتلة .

فإذا تصورنا أن هذه الكتلة تحمل قلماً ، وأن هناك ورقة مثبتة على الأرض ملامسة لهذا القلم فان الأرض إذا اهتزت تحركت معها الورقة . مع بقاء القلم ثابتاً فيرسم على الورقة خطاً منكسراً يبين مدى تحرك الورقة باهتزاز الأرض .

ولكى يمكن تسجيل وقت حدوث الزلزال فإن هذه الورقة تثبت عادة على سطح أسطوانة تدور دورة آلية كدورة الساعة . والورقة مقسمة أياماً وساعات ودقائق وثوانى .



خريطة تبين مناطق الزلازل على سطح الكرة الأرضية

وعندما تكون القشرة الأرضية فى حالة استقرار يسجل القلم أو شعاع الضوء خطاً مستقيماً ، أما إذا اهتزت الأرض فإن الطبلة تهتز ، ولكن الثقل يظل ثابتاً فى وضعه الأصلى ، وبذلك يسجل على الورقة التى تلف حول الطبلة خطاً متموجاً ويسمى ذلك الخط المتموج بالسزموجراف أو المسجل الزلزالى .

والبراكين عبارة عن شقوق فى قشرة الأرض تتعمق حتى تصل إلى ما تحتها من صخر شديد الحرارة فيه تتصاعد الغازات الحبيسة والمواد المصهورة التى لا تلبث ان تنطلق خلال الشق أو الثقب فتحدث دوياً هائلا . وثورة عارمة تضر بما جاورها .

والبراكين على شرها لاتخلو من الخير . فهى موارد مباركة للزئبق والكبريت والبوريك وأملاح النشادر ، وهى أيضاً « مخازن » يستغلها الانسان فى بعض البلدان كايطاليا : للحصول على البخار الذى يدار به الآلات . وقد يبدو ذلك غريباً ولكن الأغرب منه أن أحد العلماء قال لو قدر لايطاليا أن تستغل الحرارة التى تنشأ من بركان « أتنا » سنة ١٩٢٨ لادارت مصانعها بالكهرباء ثلاث سنوات كاملة .

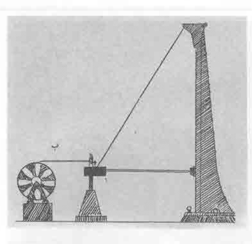
أسباب البراكين

ويمكن أن نلخص أسباب البراكين العامة والأسباب المباشرة فيما يلى :

أولا : توجد البراكين فى جزء متجعد من القشرة الأرضية . وهذا الجزء المجعد يجعل القشرة ضعيفة ، بحيث تتشقق من جراء الضغط الواقع عليها من الداخل ، فحيث يزيد هذا الضغط عما يمكن للقشرة احتماله . فتتشقق هذه القشرة وتتمكن المواد المعدنية المصهورة فى جوف الأرض عن الخروج إلى السطح ومن ثم تنشأ البراكين .

ثانياً : حدوث الفوالق وهى عبارة عن شقوق تنتاب القشرة الأرضية فتحدث اتصالا بين جوفها وسطحها .

وعندما يثور البركان يقذف بالحمم على هيئة تل صغير أو مخروط ، ثم يبدو أنه غير مستريح لوجوده فيثور ثورة جامحة ثانية . يفتت بها جسمه ويحطم نفسه



نوع بسيط من السيزموجراف وعن طريقه يتم تسجيل الهزات بكافة أنواعها

ويلقى بأشلائه الحجرية المهشمة بعيداً تذروها الرياح ، فيصبح بذلك بركاناً منتحراً قتل نفسه بيده . ومن البراكين ماينمو ويكبر على مر الأعوام فهو يثور كل مرة ثورة عاقلة ترفعه فوق سطح الأرض تتلوها ثورات على فترات ، فتتراكم الحمم فوق طبقات . وينمو البركان ويكبر ومن عجيب الظواهر أن البركان كالانسان يولد فتيا ويشب قويا . ثم تخمد أنفاسه وتفنيه الشيخوخة فيموت . ولكن من « موتى » البراكين ما يبعث من جديد . فتكون ثورته عند ذلك كثورة بركان كراكتو الجبار العاتى .

ولقد وصف شاهد عيان ثورة بركان أتنا عام ١٩٤٩ فقال :

منذ بضعة أيام ثار « بركان أتنا » بعد صمت وهدوء استقر عدة سنوات . وأخذ يقذف بما فى جوفه . من حمم ومواد مصهورة وأخذت هذه المواد النارية المصهورة تنزلق على سفوح الجبال المجاورة وتجرف أمامها كل ما فى طريقها من القرى الصغيرة المتناثرة هنا وهناك ، على سفوح هذه الجبال . وأخيراً وصلت هذه المواد إلى الأراضى الزراعية فأبادت كل ما عليها من نبات وحيوان ، وغطتها بطبقة سميكة من الأحجار البنية اللون . التى لا أثر فيها لشىء من مظاهر الحياة .

وفى دائرة قطرها بضعة كيلومترات ، تساقطت الأتربة فى كثرة زائدة . مما اضطر سكان تلك المنطقة لحماية أنفسهم من هذا الرماد ، الى ارتداء قبعات من القش والورق فيخيل إلى المرء أن عابرى الطرق فى هذه المنطقة أشبه بالأشباح ، التى يتردد ذكرها فى القصص الخيالية . أو بالذين ينظفون المداخن ، بعد ما غطت وجوههم طبقة كثيفة من الأتربة والرماد .

وقد خيمت على هذه المنطقة القريبة من البركان سحب كثيفة سوداء من الدخان حجبت أشعة الشمس حتى كان من المتعذر على السكان التمييز بين الليل والنهار .

ويبدو الذعر والقلق فى كل مكان على سكان البلاد القريبة من البركان . وقد اختفت الابتسامة التى كانت تبدو على وجوه الجميع ، وأخذوا يتحدثون عن الخطر المحدق بهم ، والذى يتهددهم بين لحظة وأخرى . ومما زاد الطين بلة أن معظم سكان هذه البلاد من الفقراء المعدمين ، وهم أناس قضوا أعواماً طويلة فى تلك البقاع ، فاستطاعوا بعد عمل مضن متصل انشاء بيوت صغيرة ، وزرعوا قليلا من الأراضى يعيشون عليها . وضياع هذه الأراضى والبيوت فى الوقت الحاضر معناه القضاء على ثمرة جهودهم وأعمالهم التى قاموا بها طول حياتهم وهذا أمر يضطرهم إلى استئناف الكفاح من أجل الحياة بعدما تقدمت بهم السن ، وأصبحوا قاب قوسين او أدنى من الممات .

عز الدين فراج

رؤية فنية في مهرجان أصيلة المغربي

● لو أن كل مدينة عربية فعلت ما فعلته مدينة أصيلة لأصبح لدينا مائة وخمسون مليون متذوق للفن !

بقلم : يوسف أحمد





ثلاث لقطات : الأولى لجدارية الفنان ابراهيم حنين التي أنجزها في مدينة أصيلة .. ثم لقطة لقصر الثقافة في المدينة التي شهدت سبعة مهرجانات حتى الآن .. واللقطة الثالثة للجدارية البديعة التي أنجزها الفنان المغربي « الأعرج »

رغم الظروف التى يعيشها الفنان المثقف فى العالم العربى ، فهو يحاول الوصول برسالته الفنية إلى شاطىء الأمان ، حتى يحقق ما يريد تقديمه من محاولات ابداعية سامية ..

ومن هذا المنطلق تأخذ الجمعيات الأهلية على عاتقها هذا الهدف الكبير . وتحمل نفسها مالا طاقة لها به ، من أجل الالتقاء والتبادل والابداع . محافظة بذلك على أقل قدر من تحقيق ما يتمناه المثقف والفنان !

وتأتى جمعية المحيط بالمملكة المغربية فى مقدمة الجمعيات الأهلية العربية التى توفرت لها القيادة الرشيدة والهدف الكبير والمكان الخلاب الذى



جدارية الفنان عبد الكريم غطاس الذى اهتم فيها بعنصرى الشكل الجامد والحى



فرحة الموسم : جدارية الفنانة الشعبية .. وهى تمثل أفراح المدينة باستقبال موسمها الثقافى

يجذب كافة الناظرين ، ممهدة بذلك لالتقاء أوسع وأكبر بين كافة الشعوب العربية والعالمية وبخاصة شعوب دول العالم الثالث .

وقد جاءت هذه الأمنيات تحت عنوان مهرجان أصيلة السنوى ، الذى أقيم منه حتى اليوم سبعة مهرجانات احتوت نشاطات الفنون والمسرح والشعر والأدب .

وأصيلة ـ فى حد ذاتها ـ مدينة جميلة تقع على الزاوية الشمالية الحادة لأفريقيا ، وتتميز بأناس بسطاء وطبيعة خلابة وجدران بيضاء ، حتى ليبدو لك أنك فى مدينة طاهرة ، أناسها مثقفون وعلى درجة من الوعى .. فهم يسألون ، ويناقشون فى أبسط وأعقد الأمور التى تخص المثقف والفنان .

وببدو أن هذا الاهتمام اتى من خبرة سبعة مواسم ثقافية وفنية ، أثرت في سكان هذه المدينة التي يصل تعداد سكانها إلى عشرين ألف نسمة !

ولو أن كل مدينة عربية فعلت ما فعلته مدينة أصيلة ، لأصبح لدينا مائة وخمسون مليون مثقف ومتذوق في الفن ، فقد صار الفن ملاحقاً للناس في تلك المدينة ، يتنفسون معه ، ويتأثرون به ، فيقدمون أجيالا جديدة من الفنانين .

ومدينة أصيلة من خلال الجداريات التي قام بتنفيذها مجموعة من الفنانين المغاربة الذين استدعوا خصيصاً لهذه الأعمال إنما تحقق هدفها العام وفلسفتها المطروحة من خلال الجداريات التي رأيناها في هذا المهرجان ، والتي تعتمد على مشاركة الناس في تقييم العمل الفني .

ومن هنا كان الحرص على أن تنفذ تلك الجداريات في أحياء يرتادها الناس سيراً على الأقدام ، ولا تدخلها السيارات أو المركبات ، مع توفير الأجواء المحيطة بهذه الجداريات والممثلة للمعمار المغربي القديم في هذه المدينة ، بمميزاتها اللونية المتحضرة في الأزرق والأبيض !

وتعتبر جدارية الفنانة القطرية «الشعيبية» هي أول جدارية نفذت في هذا الموسم ، وتمثل أفراح مدينة أصيلة باستقبال موسمها الثقافي ، فهناك أشخاص تماسكت أيديهم ، وهي تلوح ترحيباً بضيوف المدينة ، وفي خلفية اللوحة مجموعة من الأشكال المعمارية المغربية القديمة التي أعطت الايحاء بالترحيب والكرم العربي الأصيل ، من خلال تركها للمساحات اللونية البيضاء على أبواب ونوافذ الشكل المعماري ، وفي أسفل الجدارية نرى قيما لونية بيضاء تتمشى مع الأشخاص والخلفية ، وفي الجدارية — بصفة عامة — نلاحظ استخدام الفنانة «الشعيبية» للألوان الصارخة أو المباشرة لتعريف المتتبعين لفنها بارتباطها أيضاً بفطرية اللون والشكل !

أما الجدارية الثانية فهي للفنان المغربي الشاب « عبد الكريم غطاس » الذي يعمل بمدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء ، والذي تأتي اهتماماته بعنصري الشكل : الجامد والذي يتمثل في الأنابيب المشدودة أو الملتوية أو التي جاءت من الفضاء وكأنها بقايا أجرام أو أقمار صناعية سقطت على الأرض . أما العنصر الآخر فهو العنصر الحي في جدرانيته ويتمثل في أشكال استوحاها من النباتات والأغصان وبخاصة أوراق الشجر التي تأخذ في الالتفاف والالتواء حول الأغصان مكونة عنصر الحياة في اللوحة !

أما القيمة اللونية في لوحات غطاس فهي ملخصة في لون ودرجات أو ألوان محددة بدرجاتها ، وربما هذه التخصصية في اللون تعطي العناصر الأخرى في اللوحة قيمة الحياة .

أما الجدارية الثالثة التي انجزت ايضاً خصيصاً لهذا الموسم ، فهي للفنان «الأعرج» الذي يصنف في المغرب ضمن الفنانين ذوي الاتجاه الفطري .. ولقد لازم هذا الفنان فنانون آخرون في المغرب لهم باع طويل في الفن التشكيلي مثل محمد المليجي وفريدي لكاهيه ، وأسلوب «الأعرج» التصويري يغلب عليه الحس بالطباعة الحريرية ، فهذا الفنان له خبرة واسعة في مجال السيروغرافي ولذا نظر الى جداريته كأنها عبارة عن لوحة صغيرة عملت بحجم كبير وبحس الألوان الطباعية ، فقد تغلب على تكويناته الحس المعماري الذي يبدو جلياً من تقسيماته اللونية الصريحة التي يثريها معالجة الأشخاص بمعالجة فطرية لتتمشى مع خلفية اللوحة ، ولتؤدي حركات ايقاعية تكسر الحركة المعمارية الخلفية معبرة بذلك عن الموضوع الذي يشغل بال الفنان والمتمثل في الفرحة أو الاستقبال ، كما أنه احياناً يعطي لشخوصه حرية الطيران حول تكويناته المعمارية لتدخل الكتابة هنا كعنصر تكميلي في اللوحة . ولو أنها أحياناً تكون دخيلة على التكوين .

أما الجدارية الرابعة فتمتد بطول سبعة امتار في عرض خمسة أمتار ، وهي للفنانة المغربية «ملكة أوكزناي» وفيها تتضح مساحة التصميم وقوة التعبير وبساطة الفكرة ، ونرى في موضوعها سوراً مشابهاً لسور قصر الريسوني (الثقافة) بمدينة اصيلة ، ولعلها قصدت به تكملة له ، ولقد طلى باللون الأبيض أما السماء فجاءت منقطة وذات ايقاع خطي جميل بحيث تتمشى مع أرضية الحي التي صممت هي الأخرى على شكل أمواج ذات ايقاع واحد ، أما فرحة ابناء أصيلة فتبدو من حول هذا السور بتحليل لوني لطيف يتمشى مع التحليل اللوني للمساء !

وفي جدارية الفنان عبد العليم العمري نلاحظ القوة التعبيرية التي اتضحت بالتقسيم الفني للتصميم العام للوحة ، ففي جداريته نجد أن عنصر التعبير يؤكد وجوده ، فنلاحظ أن الطائر الأبيض وهو مزامن لجميع لوحات العمري يقصد به


جدارية الفنان عبد العليم العمري التي قدمت لنا معالجة درامية في خطوط وألوان متحاورة !

السلام والوئام بين المتحاربين من البشر ، وكل جزء من جداريته يرتبط بالجزء الآخر ، فنجد اليد المستغيثة والقدم المعلقة والأجسام التى ذهبت تفاصيلها والوجوه المتقابلة المتحاورة وعلامات الاستفهام تبدو عليها ، كل هذه الأجزاء وغيرها تتحاور مع بعضها البعض مكونة موضوع درامى كبير ، ولعل المساحة الهائلة التي رسمت بها اللوحة أعطت ايحاء عميقاً بهذه الأشلاء المحطمة ، ولعل العمرى ــ كذلك ــ من خلال موضوعاته استطاع أن يطرق باب عاطفة الجمهور التى تهزه مثل هذه الموضوعات المأساوية !

ثم نأتي إلى أسلوب آخر فى معالجات جداريات أصيلة ، فهذا هو الفنان محمد المليجي ، وهو أحد أركان مهرجان أصيلة يثبت بأسلوبه الفنى على أحد جدران مدينته مدى روعة معالجاته التصميمية فى عمله ، ولعل هذه الايقاعات اللونية استوحاها من إيقاعات أمواج شاطىء أصيلة !

إنه يعالج ــ أحياناً ــ الأمواج بألوان تناقضية ، وأحياناً أخرى بألوان تكميلية توافقية .

أما دور الخط العربى فوضح جلياً فى جدارية الخطاط ابراهيم حنين ، فهو فى عمله يحافظ على الشكل التقليدى للحرف العربى وبخاصة مدرسة خط الثلث ، ويستغل الفراغات التى تحدث بين الحروف فى تلوينها بألوان متناقضة مرة ومتوافقة مرة أخرى ، كما أن المقرنصات الأندلسية تأخذ حيزاً بارزاً فى أعماله ، وهو بهذا يكون قد تمسك بتراثه المغربى الأندلسى مع الأسلوب العربى وبخاصة فى حروف الخط العربى .

هذه هى أبرز الجداريات التى نفذت لهذا الموسم فى مهرجان أصيلة ، ومن هذا المنطلق الصحيح يستطيع أهالى هذه المدينة الثقافية أن يعودوا عيونهم على الألوان ، فبيوتهم ملاصقة مع الجداريات ، وجيلهم القادم ــ قطعاً ــ سيستفيد عند التطبيق ، لأنه عاش مع الفن ، وتشبع بلغة فنية من واقعه ، وأحس بتلك الألوان النابعة من تراثه وفكره واحساسه الخاص .

يوسف أحمد

الولادة المتأخرة

محمود صفر



تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
تأخرت : لماذا ؟
أيحق لمثل ابتداء السؤال ؟

* * *

خطواتك تأتيني كل مساء
تفزع قلبي
تفزعني ...
فلماذا يا وجهي الأول ترعبني الأشياء ؟

* * *

إني محزون
لم يعد الناس هم الناس
لم يعد العصفور هو العصفور
من قاتلنا
الوردة أم رمل الصحراء ؟

* * *

دواة البحر ملقاة
وأوراقي وأشعاري
خطوط تجهل المعنى
تبيح الحرف للغرباء

* * *

إني أسمع صوتاً يدعوني
يوجعني خيط يتدلى في القبر
لك مني كل الأسماء

عذراً فهناك الصوت الأعمق
لا وقت بين ذراعيك
كل الأشجار تناديني
ما أن أولد حتى تأتيني

* * *

تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
(وعمري يغط قليلاً .. قليلا
وكنت قبيل الغسق
أسرح شعر الطفولة
وواعدته بأني سأكتب في كل شعرة
قصيدة)
إني أعطيك حزني
كريات دمي
لوتعرفين معنى المصيبة
دمع الخطيئة
(أيتها الحبيبة الطهورة
افتحي عينيك
لا تتواري خلف رموشي
فهل تشرق الشمس دون ضياء) ؟
إني لديك أعذاق نخل
او طوافة يلهو بها الأطفال
اغفاءة
فكل المدائن عندي سواء

السلام والوئام بين المتحاربين من البشر ، وكل جزء من جداريته يرتبط بالجزء الآخر ، فنجد اليد المستغيثة والقدم المعلقة والأجسام التي ذهبت تفاصيلها والوجوه المتقابلة المتحاورة وعلامات الاستفهام تبدو عليها ، كل هذه الأجزاء وغيرها تتحاور مع بعضها البعض مكونة موضوع درامي كبير ، ولعل المساحة الهائلة التي رسمت بها اللوحة أعطت ايحاء عميقاً بهذه الأشلاء المحطمة ، ولعل العمري ـ كذلك ـ من خلال موضوعاته استطاع أن يطرق باب عاطفة الجمهور التي تهزه مثل هذه الموضوعات المأساوية !

ثم نأتي إلى أسلوب آخر في معالجات جداريات أصيلة ، فهذا هو الفنان محمد المليجي ، وهو أحد أركان مهرجان أصيلة يثبت بأسلوبه الفني على أحد جدران مدينته مدى روعة معالجاته التصميمية في عمله ، ولعل هذه الايقاعات اللونية استوحاها من إيقاعات أمواج شاطىء أصيلة !

إنه يعالج ـ أحياناً ـ الأمواج بألوان تناقضية ، وأحياناً أخرى بألوان تكميلية توافقية .

أما دور الخط العربي فوضح جلياً في جدارية الخطاط ابراهيم حنين ، فهو في عمله يحافظ على الشكل التقليدي للحرف العربي وبخاصة مدرسة خط الثلث ، ويستغل الفراغات التي تحدث بين الحروف في تلوينها بألوان متناقضة مرة ومتوافقة مرة أخرى ، كما أن المقرنصات الأندلسية تأخذ حيزاً بارزاً في أعماله ، وهو بهذا يكون قد تمسك بتراثه المغربي الأندلسي مع الأسلوب العربي وبخاصة في حروف الخط العربي .

هذه هي أبرز الجداريات التي نفذت لهذا الموسم في مهرجان أصيلة ، ومن هذا المنطلق الصحيح يستطيع أهالي هذه المدينة الثقافية أن يعودوا عيونهم على الألوان ، فبيوتهم ملاصقة مع الجداريات ، وجيلهم القادم ـ قطعاً ـ سيستفيد عند التطبيق ، لأنه عاش مع الفن ، وتشبع بلغة فنية من واقعه ، وأحس بتلك الألوان النابعة من تراثه وفكره واحساسه الخاص .

يوسف أحمد

الولادة المتأخرة

محمود صفر



تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
تأخرت : لماذا ؟
أيحق لمثت ابتداء السؤال ؟

* * *

خطواتك تأتيني كل مساء
تقرع قلبي
تفزعني ...
فلماذا يا وجهي الأول ترعبني الأشياء ؟

* * *

إني محزون
لم يعد الناس هم الناس
لم يعد العصفور هو العصفور
من قاتلنا
الوردة أم رمل الصحراء ؟

* * *

دواة البحر ملقاة
وأوراقي وأشعاري
خطوط تجهل المعنى
تبيح الحرف للغرباء

* * *

إني أسمع صوتاً يدعوني
يوجعني خيط يتدلى في القبر
لك مني كل الأسماء

عذراً فهناك الصوت الأعمق
لا وقت بين ذراعيك
كل الأشجار تناديني
ما أن أولد حتى تأتيني

* * *

تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
(وعمري يغط قليلاً .. قليلا
وكنت قبيل الغسق
أسرح شعر الطفولة
وواعدته بأني سأكتب في كل شعرة
قصيدة)
إني أعطيك حزني
كريات دمي
لوتعرفين معنى المصيبة
دمع الخطيئة
(أيتها الحبيبة الطهورة
افتحي عينيك
لا تتواري خلف رموشي
فهل تشرق الشمس دون ضياء) ؟
إني لديك أعذاق نخل
او طوافة يلهو بها الأطفال
اغفاءة
فكل المدائن عندي سواء



هذا المقهى شهد أشهر الأحداث السياسية والثقافية والفنية في برلين .. ومازال يتردد عليه المشاهير .. إنه مقهى «كارنزلر»



رسالة برلين يكتبها : محمد سعيد

مدينة تبكي على الأطلال وتنشد الجمال والكمال

- الانسان العربى فى لوحة تمثل مبعوث هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان لتوطيد العلاقات بين الشعبين .
- رغم سور برلين مازال إنسان المدينة يحاول تجاوز أطلال ماضيه !
- أبرز مشاكل المدينة : قلة المساكن ، واحتلال الشباب للشقق المغلقة !
- من هم الروائيون والشعراء الذين أضافوا الجديد للاتجاهات الأدبية والفنية فى السنوات الأخيرة ؟

يتجاوز إنسان برلين أطلال ماضيه المخرب لينظر إلى الغد من خلال رؤية متفائلة فيها ود الترحيب بالقادم وشعور الصداقة الذى يحاط به الغريب الذى يحضر الى المدينة ذات الملامح المغرقة فى القدم الحضارى والمستغرقة أيضاً فى وضع مساحيق تجميل جراح الزمن الذى ترك بصماته على وجه برلين الجميل .. شوارعها .. معالمها .. حدائقها .. بحيراتها .. متاحفها ، والشعور الدفين الموروث داخل انسانها .

إن لوحة فى متحف برلين كانت النافذة التى أطل منها هذا الشعور نحو إنساننا العربى . اللوحة تمثل الملك شارلمان



لقطة عامة لقلب مدينة برلين الغربية ، وقد ظلت برلين عاصمة للرايخ لمدة سبعين عاما ، وهى الآن تحاول تجاوز أطلال ماضيها !

(الامبراطور كارل الأكبر) يستقبل فى قصره فى مدينة « أخن » مبعوث خليفة المسلمين هارون الرشيد .. اللوحة تذهب بى الى ملامح الحضارة العربية القديمة ، وتذهب بمحدثى الدكتور « هورست هاس » مسئول الاعلام فى مدينة برلين الى تراث قديم من المشاعر الموروثة داخل إنسان هذه المدينة .

يقول الدكتور هورست هاس : « قل أن توجد شعوب يمكن أن توصف العلاقات المتبادلة بينها بأنها علاقات ودية تقليدية مثلما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين الألمان والعرب ، فقد سجل المؤرخون فى عام ٧٧٧ ميلادية أى قبل ١٢ قرنا أن وفداً إسلامياً جاء موفداً من الحاكم العربى فى الأندلس وزار المقر الامبراطورى الألمانى والتقى بالامبراطور كارل الأكبر (شارلمان) واتفق معه على إقامة حلف صداقة بينهما وقد ظلت هذه الصداقة قائمة برغم توترات الحروب الصليبية وصراعات الحروب الامبريالية ثم صراعات الحربين العالميتين الأخيرتين . وقد إتسمت هذه العلاقة بصفتين أولهما تقدير الألمان لما تدين به أوربا من فضل للحضارة العربية الإسلامية بداية من دور مدينة الاسكندرية فى أن تكون همزة الوصل بين الحضارات الشرقية والحضارات الغربية (الحضارة الهلينستيه) ثم دور الحضارة الإسلامية فى إيقاظ أوربا بعد سنوات العصور الوسطى المظلمة ، ثم من ناحية ثانية الإعجاب العربى بتجاوز الانسان الألمانى لمحنته التى انتهت به إلى التقسيم والدمار فى الحرب العالمية الثانية وكيف استطاع الانسان

الألماني أن يحقق المعجزة الإقتصادية ويتجه الى آفاق التحديث والتقدم الذي يلقى احتراماً وتقديراً عربياً واضحاً في تزايد صور علاقات التعاون متعدد الاتجاهات الثقافية والاقتصادية والذى برز خاصة في لقاء هامبورج من أجل تدعيم مبادىء الإتفاق على استمرارية الحوار العربي الأوربي .

برلين .. الجزيرة الأرضية

وبرلين جزيرة من نوع مختلف عن سائر الجزر . إن برلين جزيرة نصفها في الشرق ونصفها في الغرب ، ويقسمها سور رهيب يعبره الملايين من الغرب الى الشرق وبالعكس . والمواطن في كل جانب يحمل مشاعر متناقضة برغم التسهيلات النسبية التي عادت على إنسان المدينة مؤخراً في سهولة الاتصالات ، ولكن التسهيلات المستحدثة ليست الكافية ولا القادرة على أن تخفف جراح الزمن الذى مضى .

ففي عام ١٩٤٨ وبعد تقسيم ألمانيا الى جزئين أحدهما ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) والآخر ألمانيا الاتحادية (الغربية) اتفقت الدول المتحالفة المنتصرة على تحديد التقسيم السياسي والادارى لمدينة برلين ، غير أن الاتحاد السوفيتي لم يوافق على هذا الإتفاق وحيث تقع كل مدينة برلين المقسمة « جغرافياً » داخل أراضي ا لمانيا الديمقراطية ، التي دخلت بعد ذلك في تحالف وارسو مع الاتحاد السوفيتي ، وفرض الشرق حصاراً على إتصال برلين بألمانيا الغربية حتى رفع هذا الحصار في مايو ١٩٤٩ ، ولكنه عاد مع إشتداد الحرب الباردة بين الكتلتين من المطالبة بتحويل برلين الى مدينة موحدة منزوعة السلاح ، الى رفض للغرب الذى لم يوافق على هذه الفكرة التي جددت التوتر بين الجانبين والذى كانت ذروته في رغبة آلاف الألمان المقيمين في الجزء الشرقي من برلين في الرحيل الى الجزء الغربي منها ، وكان الرد الألماني الشرقي بمساعدة الاتحاد السوفيتي هو إنشاء سور ضخم حول الجزء الغربي من برلين هو جدار برلين الذى فصل غرب المدينة عن شرقها الذى أعلنته ألمانيا الديمقراطية عاصمة لها ، مع أن المتفق عليه بين الحلفاء في عام ١٩٤٩ والموثق في دستور مدينة برلين عام ١٩٥٠ ان برلين (الغربية) واحدة من الولايات الألمانية الاتحادية وأن الجزء الشرقي ليس عاصمة لأى من الألمانيتين وهو وضع أعاد الحلفاء النظر فيه واحتفظوا بحقهم في الاشراف على المدينة على أن تدمج في النظام القانوني والاقتصادى والاجتماعي لجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وقد تأكد هذا الوضع عالمياً مع إنضمام الدولتين الألمانيتين الى كل من التحالف الغربي والشرقي وحيث كان هناك تيار شرقي يرى قيام نظام كونفيدرالى بين الدولتين واتجاه غربي يغلب التوحيد وإجراء انتخابات حرة في البلدين .

وقد أمكن مع الانفتاح على الشرق الذى كان السياسى الألماني المستشار السابق فيللى برانت (أشهر عمدة لبرلين) داعياً له وحيث أمكن في مارس ١٩٧٠ التفاوض حول وضع برلين والذى جعل الاتحاد السوفيتي لاينازع في حق الوجود الغربي في برلين الغربية وفي الروابط القائمة مع جمهورية ألمانيا الاتحادية . وقد علمت من الدكتور بيتر لورانس ممثل الحكومة الألمانية الفيدرالية في برلين في لقاء معه في مبنى بلدية برلين أنه قد تلى ذلك الاتفاق تفاهم على تنظيم المواصلات البرية والحديدية والمائية بين برلين الغربية وجمهورية ألمانيا الاتحادية كما أمكن لأهالي برلين الغربية بعد زمن طويل من المنع زيارة ا قاربهم في برلين الشرقية أو في ألمانيا الديمقراطية وعادت الاتصالات التليفونية بين شطرى المدينة بعد انقطاعها لعدة أعوام طويلة .

المرح التقليدى والثقافات والفنون

ورغم معاناة سنوات الانقسام وقسوة الشكليات لايزال البرلينيون يتمتعون بما ا شتهر عنهم من مرح تقليدى بجانب حبهم للفنون والثقافات وهى عوامل تمكنهم من التغلب على مشاكلهم مستقبلا .

إن مدينة برلين تتميز بطقس جميل في الصيف لكنها تشهد أياماً طويلة من الصقيع تمتد حول فصل الشتاء وتصل الى أكثر من ٢٠٠ يوم في كل عام .

ومساحة برلين الغربية ٤٨٠ كيلومترا مربعا يعيش فيها مليونان من السكان بجانب ربع مليون أجنبي يعيشون في ضيافتهم ، غالبيتهم من الاتراك . أما برلين الشرقية فيعيش فيها حوالى مليون ونصف مليون نسمة وفي ألمانيا الديمقراطية ١٧ مليون نسمة . وأصول الشعب الألماني تعود الى سلالات القبائل الألمانية السكسونية والبافارية والشوابية والفرانكونية ، واللغة الألمانية توحدت من لهجات القبائل الألمانية في القرن السابع عشر .

الحياة في الجانب الشرقي من برلين .. بعض سكان عاصمة ألمانيا الديموقراطية في الشارع المؤدى إلى ميدان « الكسندر بلاتز »



المهرجانات الشعبية في الشوارع أثناء الاحتفالات بالمناسبات القومية

وبرلين في قسميها هي واجهة للشرق والغرب (فترينة) وفي كل منها معرض صناعي تجاري دولي وأسبوع سنوي للانتاج الغذائي ومعرض للتقدم في الاعلام التليفزيوني الدولي ومهرجان سينمائي دولي ومهرجان للسياحة العالمية ومهرجانات متعددة للأزياء .

أما أبرز مشكلة في برلين الغربية فهي مشكلة المساكن واحتلال الشباب للشقق المغلقة وهي مشكلة قائمة في برلين منذ عدة سنوات بسبب عجز حركة البناء عن استيعاب الطلب على السكن وحيث المساحة المحددة للمدينة التي تشبه الجزيرة المسورة والمحاطة بالحائط والذي يقف عقبة أمام التوسع الأفقي في البناء دون الاعتداء على المساحات الخضراء والبحيرات المائية .

وفي برلين صحافة يومية وأسبوعية وشهرية وأهم الصحف اليومية التي تصدر في برلين « برلين تسايتونج » وهي أهم صحيفة من بين ١٢ صحيفة يومية وتوزع هذه الصحيفة ٣٣٢ ألف نسخة يومياً أما في برلين الشرقية فتصدر ٩ صحف يومية أشهرها جريدة « نيوز ديتشلاند » أي

جريدة ألمانيا الجديدة وفي برلين الشرقية عاصمة ألمانيا الديمقراطية قناتان للتليفزيون وثلاثة برامج للراديو أما في برلين الغربية فهناك إذاعة برلين الحرة التي تدار بأسلوب ذاتي من خلال مجلس استشاري يتكون من ممثلين لأهم المجموعات السياسية والفلسفية والإجتماعية ثم التليفزيون وتضم برامجه الدراما التليفزيونية ٩٪ والدراما السينمائية ٩٪ والبرامج الموسيقية ٢٪ والمتوعات والتسلية ١٥٪ والرياضة ٧٪ والأطفال والشباب ١٠٪ والبرامج الأخبارية والسياسية ٢٠٪ وهناك البرنامج الثاني ويهتم بالثقافة بنسبة تصل الى ٢٨٪ من حجم زمن الارسال وهناك البرنامج الثالث وهو متخصص بتناسب مع حاجة كل إقليم فما يناسب برلين قد يختلف عما يناسب هامبورج أو شتوتجارت . والتليفزيون الألماني يستخدم نظام (بال) المبتكر من خلال الخبراء الألمان ونفقات تمويل الخدمات الاذاعية المرئية والمسموعة يتم تمويلها من الرسوم التي يدفعها المستمعون والمشاهدون كما تساهم حصيلة الاعلانات في جانب من التمويل .

لا مركزية الثقافة والتأثير الفكري

وقد ظلت برلين عاصمة للرايخ لمدة سبعين سنة ولكنها لم تكن لها الوضع المهيمن على الحياة الإجتماعية والثقافية في ألمانيا على نحو ما نراه في التأثير الباريسي على فرنسا والتأثير اللندني على بريطانيا وبدليل أن هامبورج هي العاصمة الصحفية وفيها تصدر أهم الصحف والمجلات الألمانية مثل « شتيرن » — « دير شبيجل » . وتعتبر فرانكفورت عاصمة النشر والثقافة وميونيخ عاصمة المسرح ودوسلدورف العاصمة العلمية ولكن برلين لازالت تنفرد بأن فيها اهم المتاحف الألمانية وهي عدد من أهم متاحف العالم .

وأهم التيارات الفكرية التي تصارعت في العالم وفي ألمانيا ، وكانت برلين أحد مراكز الإشعاع الفكري فيها ، تلك التيارات التي شملت الغرب مثل الفلسفات والايديولوجيات المختلفة ، ففي حين كانت الوجودية واضحة التأثير في السنوات الاولى التالية للحرب العالمية الثانية والتي ارتبطت بمؤلفات هايدجر وكارل ياسبر بدأ في اتجاه آخر الاعراض عن الايدلوجيات الماركسية بعد تقسيم ألمانيا وحيث أصبحت عقيدة الجزء الشرقي منها يواجهها فكر آخر في الجانب الغربي من خلال فكر الديمقراطيات الغربية الذي يبدو واضحاً في فكر الحزب المسيحي الديمقراطي والحزب المسيحي الاجتماعي والحزب الاشتراكي الديمقراطي والحزب الليبرالي الحر ، بينما يظل الاهتمام بالماركسية إهتمام القلة في الجانب الغربي من برلين .

وقد مر الأدب الألماني الحديث بعدة مراحل متأثراً بالاتجاهات الفلسفية السابقة وبعد سنوات العزلة التي فرضتها السياسة النازية على الأدب الألماني الذي لم يتأثر بالمدارس الأدبية والتيارات الفكرية الخارجية إلا بعد الحرب وكان ذلك من خلال الاقتراب من وجودية جان بول سارتر وواقعية إرنست هيمنجواي وإنسانية



الزحام على المقاهى فى شهور الصيف ، حيث يحلو السمر والمرح وتبادل الأحاديث

وشفافية جون شتاينبك ثم كان الحنين الى كتابات الأدباء الألمان المهاجرين أمثال توماس مان والفريد دوبلين وبرتولد بريخت وغيرهم .

وقد نشأ بعد الحرب تيار أدبى يسميه نقاد الأدب الألمانى « أدب الأطلال » وهو الأدب الذى استغرق فى معالجة تجارب الحرب وما بعدها وما ترتب على تقسيم المانيا وتقسيم العاصمة الموحدة برلين ، ومن هذا الاتجاه كتابات جونتر آيش وولفجانج بورشرت ، ثم فى الخمسينات وبعض الستينات ظهر أدب النقد الاخلاقى للمجتمع ونقد سلوكيات مجتمع الوفرة والرخاء والاباحية وكان هذا واضحاً فى روايات هانيرش بول ومارتن فانسر ثم جاءت بقية الستينات والسبعينات ليعود الأدب السياسى مع بداية الحركة الثورية الشبابية للطلاب وقوة حركات السلام الأوربية وظهور نفوذ جماعات الخضر ومن اهم من يعبر عن ذلك الاتجاه من الكتاب والروائيين إريكا ونجه وجونتر فالراف وغيرهما من الأسماء التى أضافت الجديد الى الاتجاهات الكلاسيكية مثل جابرييلا نومان فى القصة وهيلدا دومين فى الشعر وجونتر جراس فى الرواية الواقعية والنقد الأدبى . على أن اسم هنريش بول يعد أشهر هذه الأسماء لحصوله على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٧٢ بالرغم من أنه الألمانى السادس الذى يحصل على مثل هذه الجائزة .

أما الفن التشكيلى فان اتجاهات الواقعية الاشتراكية التى وضحت على أعمال الجانب الآخر من فنانى برلين لم تؤثر على اهتمامات فنانى برلين الغربية ممن تأثروا باتجاهات الفنانين فى أوربا الغربية خاصة فى فنون التصوير والنحت وحيث يبدو فى برلين أثر المثال كارل هارتونج صاحب التماثيل الضخمة ذات المضمون التأثيرى العميق ومن ناحية ثانية يبدو اتجاه زميله هانز أولمان الى التجريدية من خلال أعمال تتناسب وتتناسق مع قوانين الطبيعة وأشكالها .

وأكبر تجمع للمتاحف فى أوربا يبدو فى مدينة برلين حيث توجد المتاحف العامة والمتخصصة مثل متحف القطع النحتية القديمة ومتحف المصريات وآثار الشرق الأوسط ومتحف الفنان كولبه ومتحف تاريخ الفن الألمانى وقاعة اللوحات الوطنية (متحف الفنون الحديثة) ومتحف الطيران العالمى ومتحف علم الشعوب بجانب عدد اخر من المعارض الموسمية المتنوعة .

وفى مجال الموسيقى نلحظ الدور الخصب لنشاطات أوبرا برلين ومسرح فريق فيلهارمونى فى برلين وفرقة أوركسترا الاذاعة وفريق أماتى الذى يقوده المايسترو رايثر كولبله . وأهم النشاطات الموسيقية فى برلين فرق موسيقى الجاز الألمانية وفرق موسيقى البوب الألمانية وفرق المنوعات



لوحة تمثل الملك شرلمان (الامبراطور كارل الأكبر) يتلقى الهدايا التى أرسلها هارون الرشيد

الغنائية الاستعراضية التى تقدم أعمال ماكس جريجر وجيمس لاست وغيرهما ممن تلقى أعمالهم تجاوباً عالمياً . وفى برلين دراسات اكاديمية للموسيقى وفيها المعهد الدولى للدراسات الموسيقية المقارنة .

أما أشهر مسارح الدراما فى برلين الغربية فهو مسرح « شيللر » والمسرح الشعبى الحر ومسرح النهضة ومسرح أوفر وفى برلين الشرقية مسرح برتولد بريخت والمسرح الحديث . وأهم الأعمال الكلاسيكية التى تقدم على مسارح برلين أعمال شكسبير وشيللر وجوته ثم من الأعمال المعاصرة اعمال برنارد شو وبرتولد بريخت وجان آنوى ومن كتاب المسرح الألمانى رودلف هو فهوت وهاينار كيهارت وبيتر فايس الى جانب تقديم أعمال كبار كتاب المانيا الديمقراطية على مسارح برلين الغربية مثل بيتر هاكس وأولدريش بلنسدروف . ويقام فى برلين من عام الى آخر مهرجان « لقاء المسرح » الذى يقدم مجموعة مختارة من الأعمال المسرحية المتميزة .

أما الفن السابع فان برلين تشتهر بمهرجانها السينمائى الدولى الذى يمنح جائزته الرئيسية « الدب الذهبى » وجائزته الخاصة « الدب الفضى » لأفضل الأعمال وقد حصل على الجائزة الفضية منذ عدة أعوام الفيلم العربى « اسكندريه ليه » اخراج يوسف شاهين ، وللدراسة الأكاديمية السينمائية فى برلين معهدان أولهما مدرسة السينما الجديدة ثم مدرسة صناعة الأفلام وحرفيات السينما . وأشهر نجوم الاخراج فى السينما الألمانية البرلينيه الكسندر كلوج وفلكرشلوندروف والراحل راينر فاسبندر وفيم فيندوس وغيرهم . أما أشهر ما قدمت السينما الألمانية البرلينية من أفلام فكان فيلم (الطبلة) اخراج شلوندروف عن قصة جونتر جراس والتى حصلت على الجائزة الأولى (النخلة الذهبية) فى مهرجان كان عام ١٩٧٩ وفيلم (ليلى مارلين) الذى أخرجه فاسبندر قبيل رحيله المفاجىء .

••• برلين مدينة ألوان قوس قزح متباينة الدرجات ، واضحة الملامح ، تعشق ألوانها فى كل مجالات النشاط الانسانى وفى معظم حالات اختلاف التوقيت والزمان مع بقاء استقرار المكان .. تعشق ألوانها فى صباح ملبد بالغيوم التى تنقشع فجأة عن ضياء أخاذ ، وتعشق معالمها أيضاً إذا مررت من الشارع الكبير المسمى « يودا بستر شتراس » لتتوقف أمام محطة حديقة الحيوانات ومبنى متحف الأحياء المائية ، ولكى تمعن النظر فى تأمل أصالتها ومرارة تجربتها عبر ماضيها القريب وحاضرها الذى ينشد الجمال والكمال فى ظل متغيرات واقع يصعب على التغيير ومستقبل يمكن تصوره أو تتمنى قيامه إذا عبرت أمام الجامعة أو رأيت حركة تلاميذ المدارس فى مراحلها المختلفة وإذا تأملت دورة الحياة مع العمال والموظفين وغيرهم من العناصر المنتجة التى توفر للاسواق وفرتها السلعية ومعظمها من الانتاج البرلينى ، الذى يجعل مستويات البطالة أقل من غيرها من العواصم الكبرى فى أوربا الغربية كما يجعل متوسط دخل الفرد من أعلى مستويات الدخل فى الغرب الرأسمالى ، إن دورة أمام سارى (عمود النصر ووقفة أمام بوابات العبور العديدة عبر السور الكبير الذى يحيط برلين يعيد ذاكرتك الى تلك الأيام القديمة الجميلة ثم تلك السنوات المريرة الجريحة التى تجعلك تهرب من لقاء المجد مع الانكسار فى رموز مشتركة لكى تعبر فوق مجرى النسيان فى واقع المدينة الترفيهى والاستهلاكى والذى يتجسد خاصة فى المركز الأوربى وما يحيط به من علب وملاهى الليل وكذلك فى مبنى « الكونجرس » ذى الطابع الثقافى المتنوع وهى معالم جدت بعد التقسيم على برلين الغربية ومثلها ما جد على ميدان « الكسندر بلاتز » فى برلين الشرقية والذى يبدو فيه برج التليفزيون شاهقاً عالياً وكأن ما يجرى على الجانبين محاولة للتبارى فى نسيان الواقع وتجاوزه وعبور المستقبل عبر البحث عن الرضا عن الأمر الواقع !

محمد سعيد

○ كان فى طفولته يقضى الساعات الطويلة مع أوراقه وأقلامه وألوانه ، بدلا من العبث مع الصبية خارج البيت !

● ... وكانت المفاجأة الكبيرة : لقد أقتنت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية لوحة من لوحاته وهو مازال طالبا !

● أصالته الفنية تتمثل فى التزامه بالمضمون التراثى وألوان البيئة !



الفنان سلمان المالكى

سلمان المالكي

رحلة مع الألوان والتراث وزخارف البيئة

بقلم : جمال قطب

الصياد : لوحة زيتية ، استخدم فيها الفنان الأسلوب التأثيرى مع اختصار العناصر التى تكون عادة فى رحلة الصيد



الغزال : من وحى البيئة الصحراوية .

الحائرة : لوحة زيتية تميزت باستخدام الزخرف الخليجى مع وجه فتاة

الفنان سلمان المالكى هو ثمرة من ثمرات النهضة الفنية التى تشهدها دولة قطر ، والتى أدت إلى انطلاق الطاقات المبدعة وتفتح الملكات المتعددة المواهب ..

إنه إحدى المواهب الفنية التى تفتحت وإزدهرت ــ فى ظل الرعاية والتشجيع ــ حتى صارت مـلء الأسماع والأبصار فى دول الخليج ،بل وفى عالمنا العربى الكبير ، وذلك من خلال التزامه بالمضمون التراثى ، واهتمامه بالأبحاث اللونية الزخرفية ، ذات الإيقاعات المتميزة !



مازالت تحلم : إحدى اللوحات التي استخدم فيها الفنان المساحات اللونية الصريحة ليعبر بها عن عالم الحلم .. بعيدا عن الواقع

إن فناننا هو أحد الموهوبين في مجال الفن التشكيلي .. وقصته مع الفن .. تبدأ منذ نعومة أظافره .. وإن كانت تختلف بعض الشيء عن مثيلاتها لفنانين في دول أخرى كثيرة .. ووجه الاختلاف أن حركة الفن في الدول الخليجية عامةً حديثة العهد ـ نسبيا ـ حيث أنها لم تتعد بضعة عشر عاما فحسب .. وأن التقاليد الموروثة والعادات السائدة .. لم تكن لتشجع على مثل هذه التخصصات الفنية الرفيعة .. ولذلك ، فإن الموهبة التي تشق طريقها وتتفتح متحدية كل هذه الظروف والعوائق .. لهي موهبة حقيقية جديرة بالتقدير والإعجاب !

استرخاء : هذه اللوحة تمثل امتدادا لأسلوب الفنان واستخدامه للزخرف الخليجي في الخلفية لإثراء العمل الفني وإعطائه الطابع المحلي

تفتح الملكات

وهكذا كان فناننا سلمان المالكي .. نشأ كالزهرة البرية .. كل ما يتذكره أن حبه للرسم قد ملك عليه كل حياته واهتماماته .. وكان أفراد أسرته ينظرون إليه في عجب وإعجاب .. شيء غريب لم يألفوه من قبل .. طفل لم تتجاوز سنوات عمره أصابع يده .. ولكنه يقضي الساعات الطويلة مع اوراقه وأقلامه وألوانه .. لايحس بما حوله .. وكأنه يعيش عالما غير عالم الطفولة العابث المشحون باللهو والصخب والجري والصياح ..

ورضي الأهل بالأمر الواقع .. فالعبث بالأقلام والألوان خير من العبث مع الصبية من أقرانه خارج البيت .. وكان على الوالد أن يشجع ولده .. فكان يأتي اليه بمزيد من الأوراق والحبر الشيني من المكتب الهندسي الذي يعمل به في شركة النفط .. وأصبح هذا الرضى والتشجيع من الوالد بمثابة الضوء الأخضر للطفل الفنان بأن يستمر .. وأن يجيد وأن يكون جديرا بإعجاب والده وأفراد أسرته .

وفي مرحلة الدراسة الابتدائية .. تفتحت عيناه على عوالم جديدة .. فهناك مدرس للتربية الفنية .. تخرج من الجامعة



الصياد والبحر : استوحى الفنان هذه اللوحة من مدينة الخور الساحلية

ليكون فناناً . وبذلك رسخت في ذهنه قيمة الفن ورحابته .. وقامت روابط روحية بين التلميذ وأساتذته .. يشجعونه ويغمرونه بالهدايا وبألفاظ الثناء والمديح وإطراء موهبته المبكرة ..! وأصبح الفارس الصغير بطلا في جميع معارض المدرسة الابتدائية في شتى المناسبات .. وما أكثرها على مدار السنة ..

وفي العام الأول من مرحلة الدراسة الثانوية .. كانت المفاجأة !

فقد أقيم في دولة الكويت معرض عام للفنانين التشكيليين العرب .. واشترك سلمان المالكي ضمن من اشتركوا من الفنانانين القطريين في هذا المهرجان الفني الكبير .. وفي نهاية المعرض الذي ضم أعمال العشرات من الفنانين العرب المرموقين ، وقع اختيار اللجنة على لوحة سلمان .. واقتنتها ممثلة لدولة قطر !

وكتب الناقد المعروف كمال الجويلي ـ آنذاك ـ في صحيفته القاهرية يقول : « .. لنضع خطا تحت اسم هذا الفنان الناشيء .. فسيكون له شأن عظيم في الفنون التشكيلية في بلده بعد نحو خمس سنوات » !

ومنذ ذلك الحين .. لم يتخلف سلمان عن المساهمة بلوحاته في شتى المناسبات والمعارض القطرية بجانب زملائه الفنانين الذين سبقوه في هذا المضمار ، وكثير منهم قد تخرج في أكاديميات الفنون من القاهرة وبغداد وغيرهما من العواصم العربية .

ومما هو جدير بالذكر أن المعارض الفنية قبل عام ١٩٧٥ كانت بمثابة اجتهادات شخصية أو تجمعات محدودة يتبناها (نادي الجسرة) أو غيره من المؤسسات الشبابية في الدوحة .. ولكن معرض عام ١٩٧٥ كان إيذانا بعهد جديد من إقامة المعارض الجامعة .. وقد أقيم بالفعل أول هذه المعارض بمبنى المتحف الوطني وافتتحه الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، حيث تتعهد وزارة الاعلام مختلف النشاطات الفنية في البلاد ، بجانب المهام الاعلامية الأخرى .. وكان لابد لفناننا سلمان المالكي أن يشترك في هذا المعرض الرسمي آنذاك .. وليحصل على مبلغ سخي ثمنا للوحتين اقتنتهما الوزارة .. ولأول مرة في حياته يجني ثمار موهبته المبكرة .. ويتسلم شيكا بمبلغ أربعة عشر الف ريال ! (ولنتصور قيمة هذا المبلغ منذ نحو عشر سنوات) .

الحلم القديم

كانت القاهرة تراود خيالاته الخصبة وطموحاته الآملة .. ويتحرق شوقا إلى كلياتها الفنية ومتاحفها ومعارضها التي تصافحه أخبارها كل صباح في وسائل الأعلام المختلفة .. كما كانت الصحف المصرية بما تزخر به من أعمال فنية صحفية تثير وجدانه .. ويقف طويلا أمام الرسوم الكاريكاتيرية بخطوطها المبسطة وإيحاءاتها الهادفة .. وما أن نجح في نهاية المرحلة الثانوية حتى صمم على الذهاب إلى القاهرة .. ورأت إدارة البعثات في وزارة التربية والتعليم .. غير مايرى .. ورشحته للإيفاد في بعثة إلى الولايات المتحدة الأميريكية لدراسة إدارة الأعمال .. ولكنه استطاع أن يقنع المسئولين برغبته في دراسة الفن بالقاهرة .. والتحق بكلية التربية الفنية هناك .. (وهنا يجب أن نوضح معلومة هامة .. وهي أن المكان الطبيعي لدراسة الفنون التشكيلية بشمولية واستيعاب أكثر .. هو كلية الفنون الجميلة .. ولكن وزارة التربية والتعليم القطرية .. تهدف في المقام الأول بحكم اهتماماتها التربوية إلى أن توفد مبعوثيها إلى كلية التربية الفنية .. وبذلك تحقق الهدفين مجتمعين : الفن والتربية)

نعود إلى سلمان وقد حقق حلمه .. وهاهو ذا قد أصبح في القاهرة ، ينهل من



عازف الصرناي (المزمار) : لوحة زيتية استقاها الفنان من وحي الأفراح الخليجية

سلمان المالكي

رحلة مع الألوان والتراث وزخارف البيئة

دراستها ومتاحفها ومعارضها على مدار أيام السنة .. ثم تنشأ بينه وبين كثير من رسامي الصحف صلات وطيدة وجسور فكرية دائمة لتبادل الرأي والمعرفة .. ولم تنقطع صلته بالدوحة ، مشاركا في جميع معارضها .. مساهما برسومه الكاريكاتيرية في مجلة (العروبة) .. وكانت هي المجلة الوحيدة في قطر .. فلم تكن الصحف اليومية قد ظهرت بعد .

.. ويعود سلمان المالكي إلى ذكرياته في كلية التربية الفنية في القاهرة .. إنه يحكي على استحياء في أدب جم (وهو ما عرف عنه من أدب وتواضع وخلال رفيعة) .. كيف استضافت الكلية أحد أساتذة فن الكاريكاتير المعروفين في واحدة من أكبر صحف القاهرة وهو مصطفى حسين ، ليلقي محاضرة ويستعرض أعمال الطلبة ذوي الاهتمامات في هذا المجال .. وعندما وقع بصره على رسوم سلمان .. تأملها طويلا ، ثم نظر إليه قائلا : «لاشك أنك ستكون أحد رسامي الكاريكاتير المعروفين في العالم العربي مستقبلا» !

تعدد الاهتمامات والأساليب

حصل فناننا — بعد مرحلة الدراسة الجامعية — على الامتياز .. وكان مشروع البكالوريوس هو مظاهر الاحتفالات الشعبية في قطر .. وبهذا لم ينسلخ سلمان المالكي عن بيئته وتراثه .. وهذه أهم مميزات الفنان الأصيل ! ولا غرو أن تحتفظ كليته بإحدى لوحاته ذات الطابع الخليجي ضمن معروضاتها الخاصة الدائمة !

وللحق ، فإنني عندما هممت بالكتابة عن سلمان ، كنموذج مشرف للفنان القطري الطموح .. وقفت متأملا في إعجاب لشمولية اهتماماته وتعدد أساليبه .. ولم يزل إعجابي الأكثر .. بشخصيته وأخلاقياته التي تتسم بروح الفن السامية .

إن فناننا مثل للاجتهاد والدأب والبحث عن مناهل المعرفة .. يعيش التجربة الفنية بكل رحابتها وتعدد مجالاتها التصويرية والزخرفية والتوضيحية والصحفية .. وهناك ظاهرة رائعة لا يتحلى بها إلا ذوو المواهب الطموحة المتجددة .. وهي القلق الدائم وعدم الرضا عما قد تحقق والتطلع إلى الأحسن !

وهكذا نجد سلمان .. يشترك في المعارض بلوحاته الزيتية ذات الأسلوب الواقعي والموضوعات التراثية الخليجية .. وإن كنا نلمح توافق الألوان بطابع زخرفي هادىء .. متأثرا بدراسته الأكاديمية .. كما نراه في الوقت ذاته يجنح إلى الموضوعات الرمزية والتكوينات المحورة تحويرا هو أقرب إلى التجريد الخالص كأبحاث لونية زخرفية ذات إيقاعات لونية متميزة ، كما أن (الخط) عنده يحظى باهتمام كبير . وسواء أكانت لوحاته مما تعني بالتجسيد وتهتم بالبعد الثالث أو كانت أبحاثا تجريدية مما يعرف بالبعد الواحد .. إلا أننا نلحظ التزامه بالمضمون التراثي وألوان البيئة .. وهذه هي الأصالة الفنية التي تعطي للفنان هويته القومية والوطنية ..

أي أن سلمان المالكي — وقد تعددت نزعاته في الشكل والموضوع — لا يدعي لنفسه شخصية مستقرة ثابتة .. ولكنه يسير على الطريق الصحيح .. يبحث بإخلاص .. ويتأمل بوعي .. ويدرس باستيعاب .. تزخر مكتبته بالعشرات من أمهات الكتب الفنية في شتى التخصصات .. وطموحه الفني لايقف عند حد .. يخاطب الناس بلغة يفهمونها في غير ترفع ولا استعلاء .. ينتهج المنطق الرومانسي الهادىء في لوحاته أو في الحوار الفني مع الجماهير من خلال رسومه الكاريكاتيرية الاجتماعية أو السياسية التي تصافح عيوننا وعقولنا كل صباح على صفحات جريدة (الراية) القطرية .. ويفاجئنا عاما بعد عام بأسلوب يتشكل ويتطور إلى المزيد من الاحساس والفهم في سعيه وراء الأحسن والأجمل ..

إن ما يلح على خاطره حاليا .. هو أن يضيف إلى اهتماماته المتشعبة .. اهتماما إبداعيا جديدا هو المامه بفنون الحفر (الجرافيك) و (الليثوجراف) وأساليب الطباعة الفنية اليدوية .. وهو ما يعني به معظم الفنانين التشكيليين في عالم اليوم ..

إن سلمان المالكي وهو الفنان الواعي الذي يتقد ذكاء وحيوية وثقة بالنفس .. لهو جدير بأن يكون محل تقديرنا وإعجابنا .. وثقوا بأن خميلة المواهب القطرية .. لن تلبث أن تتفتح براعمها .. لتزدهر وتملأ الأجواء عطرا .. وما أكثر الزهرات اليانعة في خمائل الدوحة على شاطىء الخليج العريق .

جمال قطب

أخطـــاء لغويّـــة معاصـــرة

بقلم : الدكتور عبد الله العبادي

جامعـــة قطـــر

أخلاق :

يقولون « فلان لا أخلاق له » أو « لاخلاق له » ويقصدون بذلك أنه سيىء الأخلاق . أو أخلاقه رديئة . أو عكر المزاج ، وهذا خطأ في التعبير ، ذلك أن كل انسان له أخلاق فإما أن تكون أخلاقه حسنة ، وإما أن تكون أخلاقه سيئة فالصواب أن يقال « فلان حسن الأخلاق » اذا كان متصفاً بالأخلاق الحميدة ، وسيرته حسنة ، وأن يقال « فلان سيىء الأخلاق » اذا كان متصفاً بالأخلاق الذميمة ، فالذي يحدد المعنى المقصود من الأخلاق هو وصفها بالحسن اذا كانت حسنة ، ووصفها بالسوء اذا كانت سيئة .

والأخلاق جمع خُلُق و خُلْق (بضم الخاء واللام في الأول ، وضم الخاء ، وسكون اللام في الثاني) .

والخُلُق والخُلْق ــ كما جاء في لسان العرب ــ الدين والطبع والسجية ؛ وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه ، وأوصافها ، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بصورته الظاهرة ، وأوصافها ، ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة ، وقبيحة ، ولا يجمع الا على أخلاق .

ومما جاء من الأحاديث في حسن الخلق قوله عليه الصلاة والسلام « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقوله « أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً » وقوله « إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وقول عائشة رضي الله عنها ، « وكان خلقه القرآن » أي إنه متأدب بآدابه ، ومتمسك بأوامره ونواهيه .

وقال الشاعر :

خالق الناس بخُلْق حسن
لا تكن كلباً على الناس يهر

ومما جاء في سوء الخلق قول الرسول الكريم « سوء الخلق شؤم وشراركم أسوأكم خلقاً » وقوله « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

أما قول شوقي :

وإنمـــا الأمم الأخــلاق مابقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وذكره للأخلاق مجردة من الوصف ، فإنما يعني الدين والمروءة والسجايا الحسنة ، فإن هنا العهد الذهني ، أي الأخلاق المعهودة وهي الحميدة الحسنة .

أما الخلاق ــ كما جاء في المصباح المنير ، ومختار الصحاح ــ فهو الحظ والنصيب ، ومنه قوله تعالى (ومالهم في الآخرة من خلاق) البقرة . أي ليس لهم حظ ولا نصيب من الخير .

وجاء في التاج الخلاق الحظ والنصيب الوافر من الخير والصلاح يقال : لاخلاق له ، أي لا رغبة له في الخير ، ولاصلاح في الدين أما الخلق (بفتح الحاء وسكون اللام) فهو التقدير ، والابداع وهو أيضاً الكذب ، والاختلاق كذلك ، فكأن الكاذب تخلق قوله ، وأبدع فيه ليؤثر على السامع فيقبله . والخَلَق (بفتح الخاء واللام) البالي من كل شيء ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث تقول « ثوب خَلَق » و « ملحفة خَلَق » ولم يسمع من العرب « خَلَقة » للمؤنث .

والجمع خُلْقان ، وأخلاق ، وقد يقولون ثوب أخلاق ، وملحفة أخلاق بمعنى أنه كله خلق ، وكلها خلق .

كلما .. كلما :

ويقولون « كلما ارتفع سعر البترول ، كلما ازدادت أسعار السلع المستوردة » « كلما دب الخلاف بين صفوف المقاومة الفلسطينية ، كلما فرحت اسرائيل وتمادت في طغيانها » .

والصواب « كلما دب الخلاف بين صفوف المقاومة الفلسطينية ، فرحت اسرائيل وتمادت في طغيانها » .

ذلك أن « كل » مضافة الى « ما » المصدرية الزمانية ، وصلتها ، فهي في معنى الظرف ، فعلى ذلك تحتاج الى متعلق ، والى جواب في المعنى ، ولايوجد في المثال الأول سوى « ازدادت » ، ولا يوجد في المثال الثاني سوى « فرحت » ، لأن جملة ارتفع سعر .. صلتها ، وكذلك في المثال الثاني جملة « فرحت .. » فإنه صلة ، وما بعد « كلما » الثانية صلة لها . فأين جواب الأولى إذن ؟ فيترتب على ذلك نقصان في المعنى .

ومن ذلك قوله تعالى (كلما) نضجت جلودهم بدلناهم ..) .

(كلما أضاء لهم مشوا فيه) (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) .

وقال شوقي :

أمة ينتهي البيان اليها
وتؤول العلوم والعلماء
كلما حثت الركاب لأرض
جاور الرشد أهلها والذكاء

فلم يقل كلما جاور ، من ذلك تدرك أن تكرار « كلما » خطأ في اللفظ ، يؤدي الى نقص في المعنى ، والله أعلم .



- الأسقف « ديزموند توتو » يفوز بجائزة نوبل للسلام .
- هل تمنعه حكومة بريتوريا من تسلمها فى ديسمبر المقبل كما فعلت مع الفائز بالجائزة عام ١٩٦٠ ؟
- الجائزة مقدارها ١٩٢ الف دولار ، ينوى الأسقف الافريقى وقفها على المنح الدراسيه : للطلاب من أبناء جلدته .



الفائز بجائزة السلام هل تمنعه حكومته من استلام الجائزة ؟

الفائز بجائزة نوبل للسلام : ديزموند توتو

الأسقف ديزموند من أكبر المكافحين ضد العنصرية والتعصب العرقي ، وهو صاحب رسالة خلقية يدافع عنها فى عناد ثائر وهو صاحب الكلمة المشهورة « إن عزل الانسان الأسود وحصره فى أماكن معينة .. أماكن مجدبة لا تجود أرضها بما يحقق للفرد حتى قوت يومه أشبه بما كانت تفعله المانيا النازية » وعلى الرغم من أنه كان يعارض العنف الا انه حذر العالم من « حمامات الدم » التى تتعرض وستتعرض لها جمهورية جنوب افريقيا بسبب سياسة التفرقة العنصرية « ابارثيد » والتى تحتم على السود مقاومتها بعنف ، ولا يفل الحديد إلا الحديد ، وان هدفى هو التقليل الى الحد الأدنى من العنف » .

إن ميل الأسقف الأفريقى الموقر الى سياسة عدم العنف قد باعد بينه وبين كبار المكافحين ضد أساليب جنوب افريقيا الذين يؤمنون ايمانا قاطعا وبعد تجارب مريرة ان الحديد لا يفله الا الحديد بل الفولاذ من أمثال « أوليفر تامبو » « ونيلسون مانديلا » ولكن فى نفس الوقت فان سياسة « توتو » أو سياسة اللاعنف التى يدافع عنها جعلت حكومة جنوب افريقيا عاجزة عن إسكاته ، ولكن حملاتة القوية ضد التفرقة العنصرية وفصاحة لسانه وقوة بيانه وأثر مايلقيه من خطب فى تجواله فى أنحاء البلاد وخارجها اضطر حكومة « بريتوريا » الى حجز جواز سفره مرتين فى ١٩٨٠ بعد رحلة الى الدنمارك وعام ١٩٨١ بعد جولات قام بها فى انحاء الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ودعا خلالها الى مقاطعة جنوب افريقيا اقتصاديا بامتناع الشركات الأوربية التى تتعامل معها عن ذلك التعامل .

كذلك منع الأسقف توتو من مغادرة البلاد للحيلولة دون تسلمه جوائز ممنوحة له من هيئات تناهض التمييز العنصرى مما حدا بالسيد « ميشيل سوفرن » رئيس جامعة كولومبيا بنيويورك الى القدوم الى جوهانسبيرج عام ١٩٨٢ لتسليم الأسقف الثائر درجة الدكتوراة الفخرية الممنوحة له من الجامعة .

ولا يتوقع الأسقف توتو أن تمنعه حكومة جنوب افريقيا من السفر الى « أوسلو » فى ديسمبر القادم لتسلم جائزة نوبل (ومقدارها ١٩٢,٠٠٠ دولار) التى قرر أن يوقفها على المنح الدراسية للطلاب من أبناء جلدته .

إن الأسقف توتو كان تواقا لنيل الجائزة لا لشئ سوى أنها ستلفت انظار العالم الى قضية شعب جنوب افريقيا الأسود والذى يمثل الأغلبية الساحقة فى البلاد « نحو ١٧ مليون من المشردين الذين لا يملكون حتى حق التصويت فى الانتخابات أو مغادرة أماكن عزلهم الا الى الذهاب الى المدن حيث العمل فى مصانع ومزارع البيض بثمن بخس

دراهم معدودات وبجوازات مرور تسمح لهم بدخول « أرض البيض » ومغادرتها بعد انتهاء ساعات العمل !

وقال الآن بويساك ، رئيس الكنائس المتصلحة العالمي « لقد سررت لأن الأسقف النبيل توتو قد نال الجائزة ، فهو يستحقها عن جدارة ، لأن ذلك قد يوحد كلمة جميع المناضلين من أجل العدل والسلام والحرية » .

وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التي ينال فيها مواطن أسود من جنوب افريقيا جائزة نوبل للسلام ، فقد منحت من قبل لمناضل عظيم ضد سياسة التفرقة العنصرية التي تدين بها حكومات جنوب افريقيا ، هو زعيم قبائل الزولو البرت .ج . لوتولى رئيس حزب المؤتمر الوطني الافريقي NAC في عام ١٩٦٠ م ، فسارعت الحكومة بايقاف نشاط الحزب ، ومع ذلك استمر نشاط الحزب . بل وزاد عنفاً بالعمل سراً (تحت الأرض كما يقولون) معلناً حرب العصابات على سلطات بريتوريا . أما الزعيم لوتولى فقد كان سجينا محدد الاقامة في منزله بعد أن حجبت عنه جائزة نوبل اي صادرتها حكومة بريتوريا الى أن توفى زعيم الزولو ورئيس المؤتمر الوطني عام ١٩٦٧ .

نعود الى الأسقف الشجاع ديزموند توتو لنقول انه ولد في مدينة « كلير كسرروب » عام ١٩٣١ م ، وكان يبيع الفول السوداني في محطات سكك حديد الضواحي ليصرف على دراسته التي أهلته فيما بعد للتدريس في مدارس الارساليات المسيحية . ولما استولت الحكومة على تلك المدارس دخل سلك الاكليروس (رجال الدين المسيحي) عام ١٩٥٧ ورشح قسا انجليكانيا عام ١٩٦٠ . وبعد ثلاث سنوات من دراسة اللاهوت في لندن عاد الى جنوب افريقيا وتدرج بسرعة في عدة مناصب ، الى أن أصبح أسقفا للكنيسة الانجليكية في جوهانسبورج ، وبعد ثلاث سنوات أخرى عين أمينا عاما للمجلس الكنسي لجنوب افريقيا الذي يمثل ١٢ مليونا — معظمهم من السود — من مسيحيي جنوب افريقيا ، وكان وجوده في هذا المنصب فرصة سانحة ليشن حربا لا هوادة فيها ضد التمييز العنصري « ابارتايد » .

قبلي أحمد عمر

رومّية لأبي فراس

شعر : محمد القيسي



عَلى خَطَأ رَأيتُكِ أو صَوابِ
أُغنّي مَا اعتَراكِ مِنَ الخَرابِ
فَلا رُوحي بمنجاةٍ ولكنْ
سُقيتُ السُمَّ مِنْ أَدنى القِرابِ
وَلستُ ألومُ مَنْ أَعطيتُ نَفْسي
وَكانَ يَسنُّ لِي أمضى الحِرابِ
سَأَسأَل أَيُّ وَاشٍ كانَ يَسعى
لِيهدمَ مَا بَنيتُ مِنَ القِبابِ
أعوذ بمَا وَهبتُكِ مِنْ نَشيدٍ
وَمَا خَطَّتْ يَداكِ عَلى التُرابِ
لَئِنْ بَعُدتْ قَوارِبُ أرتجيها
ونَهْرٌ كُنتُ أُسكِنُهُ كِتَابي
يَظلُّ صَدى رنينِكِ في انتشارٍ
كَمَا امتدَّ السَحابُ إلى السَحَابِ
وَيبقَى أَنَّ ضَوءاً في الحَنايا
يُشيعُ الدفءَ في هَذا الغِيَابِ
وَأَنكِ في الضُلوعِ لَظىً وَوشمٌ
وَأَنيَ لا أَميلُ إلى العِتَابِ

عمان ١٩٨٤

دراهم معدودات وبجوازات مرور تسمح لهم بدخول « أرض البيض » ومغادرتها بعد انتهاء ساعات العمل !

وقال الآن بويساك ، رئيس الكنائس المتصلحة العالمي « لقد سررت لأن الأسقف النبيل توتو قد نال الجائزة ، فهو يستحقها عن جدارة ، لأن ذلك قد يوحد كلمة جميع المناضلين من أجل العدل والسلام والحرية » .

وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التي ينال فيها مواطن أسود من جنوب افريقيا جائزة نوبل للسلام ، فقد منحت من قبل لمناضل عظيم ضد سياسة التفرقة العنصرية التي تدين بها حكومات جنوب افريقيا ، هو زعيم قبائل الزولو البرت .ج . لوتولى رئيس حزب المؤتمر الوطني الافريقي NAC في عام ١٩٦٠ م ، فسارعت الحكومة بايقاف نشاط الحزب ، ومع ذلك استمر نشاط الحزب . بل وزاد عنفاً بالعمل سراً (تحت الأرض كما يقولون) معلناً حرب العصابات على سلطات بريتوريا . أما الزعيم لوتولى فقد كان سجينا محدد الاقامة في منزله بعد أن حجبت عنه جائزة نوبل اي صادرتها حكومة بريتوريا الى أن توفى زعيم الزولو ورئيس المؤتمر الوطني عام ١٩٦٧ .

نعود الى الأسقف الشجاع ديزموند توتو لنقول انه ولد في مدينة « كلير كسرروب » عام ١٩٣١ م ، وكان يبيع الفول السوداني في محطات سكك حديد الضواحي ليصرف على دراسته التي أهلته فيما بعد للتدريس في مدارس الارساليات المسيحية . ولما استولت الحكومة على تلك المدارس دخل سلك الاكليروس (رجال الدين المسيحي) عام ١٩٥٧ ورشح قسا انجليكانيا عام ١٩٦٠ . وبعد ثلاث سنوات من دراسة اللاهوت في لندن عاد الى جنوب افريقيا وتدرج بسرعة في عدة مناصب ، الى أن أصبح أسقفا للكنيسة الانجليكية في جوهانسبورج ، وبعد ثلاث سنوات أخرى عين أمينا عاما للمجلس الكنسي لجنوب افريقيا الذي يمثل ١٢ مليونا ــ معظمهم من السود ــ من مسيحيي جنوب افريقيا ، وكان وجوده في هذا المنصب فرصة سانحة ليشن حربا لا هوادة فيها ضد التمييز العنصري « ابارثيد » .

قبلي أحمد عمر

رومّيّة لأبي فراس

شعر : محمد القيسي



عَلى خطأ رَأيتُكِ أو صَوابِ
أُغنّي مَا اعتراكِ مِنَ الخَرابِ
فَلا رُوحي بمنجاةٍ ولكنْ
سُقيتُ السُمَّ مِنْ أَدنى القِرَابِ
ولستُ ألومُ مَنْ أَعطيتُ نَفْسي
وَكانَ يَسنُّ لي أَمضى الحِرَابِ
سَأَسأَل أَيُّ وَاشٍ كانَ يَسعى
لِيهدمَ مَا بَنيتُ مِنَ القِبابِ
أعوذ بمَا وَهبتُكِ منْ نَشيدٍ
وَمَا خطَّتْ يَداكِ عَلى التُرابِ
لَئِنْ بَعُدتْ قَوارِبُ أَرنجيها
ونَهْرٌ كُنتُ أُسكِنُهُ كِتَابي
يَظلُّ صَدى رنينِكِ في انتشارٍ
كَمَا امتدَّ السَحابُ إلى السَحَابِ
وَيبقى أَنَّ ضَوءاً في الحَنايا
يُشيعُ الدِفءَ في هَذا الغِيَابِ
وَأنَّكِ في الضُلوعِ لَظىً وَوشمٌ
وَأنّيَ لا أَميلُ إلى العِتَابِ

عمان ١٩٨٤

أضواء

ندوة التراث الشعبي الخليجي في الدوحة

توصيات جادة.. ولكن ماذا عن تنفيذها ؟!

● وزير الإعلام القطري يلخص القضية:
الاهتمام بالتراث واجب وطني وقومي

لم تكن الندوة التى شهدتها دولة قطر أخيراً عن الأدب الشعبى الخليجى ، والتى نظمها مركز التراث لدول المنطقة ، وافتتحها الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ، الا خطوة هامة فى طريق طويل ، تقطعه الجهود المخلصة ، محققة الهدف من أجل احياء تراث المنطقة ، وتأكيد أصالة الشخصية الخليجية العربية .

فالحرص على حماية تراث منطقة الخليج العربية والمحافظة عليه عمل ثقافى وحضارى كبير لا يستهان به . وقد بدأ الاهتمام بهذه القضية الكبيرة منذ وقت قصير ، لكن الخطوات التى اتخذت فى هذا المجال تبشر بالوصول الى الهدف . ويقف وراء الجهد المبذول مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ، والذى أقام ندوته الأولى أيضاً لبحث التخطيط وجمع ودراسة الأدب الشعبى .

ولقد حظيت هذه الندوة باهتمام كثير من الباحثين والخبراء والاستشاريين ، وحضرها عدد كبير منهم ، وطرحت من خلالها عدة توجهات ووجهات نظر ودراسات وضعت النقط على كثير من الحروف ، وأضاءت الطريق أمام المهتمين بتراث المنطقة . وقد قام برعاية الندوة وافتتحها الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر ، ورئيس مجلس ادارة مركز التراث الشعبى ..

حقائق وآمال

والحقيقة أن كلمة وزير الاعلام فى افتتاح الندوة حملت الكثير من الحقائق والآمال فى قضية حماية تراث المنطقة ، فقد أشار الى أن الحرص على رعاية التراث الشعبى لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكلور العربى ، ومن رغبة أكيدة فى البحث عن منابع أصالتنا ، والتعرف الى جوانب ابداعات أجدادنا لدراستها وتحليلها وحفظها ذخيرة لأجيالنا المقبلة .

وقال ان هذا هو واجب وطنى وقومى تضطلع به النخبة المثقفة من أبنائنا الذين يعايشون التطور الاجتماعى والاقتصادى لعالمنا العربى ، ويحدوهم شعور أصيل فى التشبث بالجذور الثقافية لأمتهم .وقال الأستاذ عيسى غانم الكوارى أيضاً ان دول الخليج العربية قد بذلت جهوداً كبيرة لتأسيس هذا المركز ، وهى تعطى اهتماماً خاصاً لأن ترسى دعائم العمل فيه على أسس سليمة وثابتة ، وبالأخص فى مرحلة التخطيط الراهنة ، التى من خلالها ستحدد المفاهيم وتستنبط المناهج على هدى من التجارب العربية والعالمية فى هذا المجال . وما أحوجنا اليوم الى الجهود المخلصة للخبراء والمختصين من أبناء الخليج والوطن العربى لكونهم الأقرب من مادة هذا التراث وروحه .

وأضاف وزير الاعلام ان العمل فى مجال التراث الشعبى عمل شاق ويحتاج من العاملين فيه الى جهد ونفس طويل ، ونحن على ثقة من أن هذا الدور سيتولاه المختصون من أبناء هذا الجيل بالمنطقة ، وستوفر له الكوادر وتجند الطاقات والامكانات فى ظل التعاون المثمر بين الدول الخليجية . وقال ان دولة قطر وهى تحتضن المقر الرئيسى لمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية لتدرك البعد الحضارى الذى يعنيه انشاء مثل هذه المؤسسة العلمية ، وما يتطلبه وجودها من شروط أساسية للنجاح والتفوق . والعبرة هنا ليست فى أن يحقق المركز أهدافه العلمية المحددة فقط ، وانما أن ينطلق ليؤثر فى حركة الثقافة والفكر بالمنطقة ، وأن يضيف الى الثقافة العربية شيئاً مما كان مطوراً من تراث هذه الأمة .

واختتم الاستاذ عيسى الكوارى حديثه فى افتتاح ندوة التراث الشعبى بالاشارة الى أن هذه التجربة الجديدة التى تنمو على ارض الجزيرة العربية لابد لها أن تنجح ،

وأن اللقاء من خلال الندوة دلالة على أننا نسير على الطريق السليم ..

بحوث ودراسات

كانت هذه هى الكلمات التى عبر بها الوزير عن أهمية بحث تراث المنطقة بحثاً علمياً : لتأكيد الشخصية العربية ، والكشف عن أصالتها وملامحها الذاتية المميزة . وهو ما حرصت على تأكيده بحوث الندوة ودراساتها ، ودارت حوله المناقشات والحوارات . فقد تلخصت أهداف الندوة فى التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى ، ولجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبى : وجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية ، بحيث ينتج عن ذلك تصور واضح عن المفاهيم والمصطلحات والمناهج والأسس وأولويات العمل الميدانى .

كما تطرق المشتركون فى الندوة الى تحديد مفهوم الأدب الشعبى العربى وخصائصه ، وتحديد أجناس الأدب الشعبى فى الخليج والجزيرة العربية . وكان هناك اهتمام بالجانب التطبيقي أيضاً . وهو يتركز فى أساليب جمع طرز وأنماط وعناصر الأدب الشعبى ، وطرق التصنيف والأرشفة : وتجنيد الجامعين الميدانيين وتأهيلهم ومتابعة أعمالهم . وعلى مدى أربعة أيام من المناقشات الجادة توصل الخبراء الى الاستعاضة عن كلمة فولكلور بكلمة أخرى عربية هى التراث الشعبى أو المأثورات ، وضرورة البدء بالعمل الميدانى . والاتفاق على المقومات الاساسية المحددة لمفهوم الأدب الشعبى .

وجاءت التوصيات شاملة جامعة ترسم الطريق أمام الاهتمام بهذا العمل الكبير ، لحماية تراث المنطقة واحيائه وتسليط الضوء عليه . وتوكد القراءة المتأنية لهذه التوصيات ان المطلوب كثير وهام وضرورى ، ولكن المتابعة والتنفيذ والتطبيق أكثر أهمية . وهو ما نأمل فيه ونتمناه جميعاً ، حتى نصل الى ما نبغيه جميعاً للتراث الشعبى الخليجى . ولقد طالبت التوصيات مثلا بضرورة الاستمرار والتواصل بين البحث فى الدراسات الشعبية فى الوطن العربى بمفهومه المعاصر وبين ما قام به علماء العرب من جهود لا تنكر فى هذا المجال فيما يتعلق بالجمع والتدوين والتوثيق .

الأستاذ عيسى غانم الكوارى يلقى كلمته أثناء ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى التى تنظمها مركز التراث الشعبى بفندق شيراتون الدوحة .. وعلى يمينه الدكتور سعد العبدالله الصويان المستشار الفنى لوحدة الأدب الشعبى بمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية وعن يساره السيد شاهين الكوارى الوكيل المساعد لوزارة الاعلام والسيد على عبدالله خليفة المشرف على مركز التراث الشعبى

ببيليوجرافيا مشروحة

وأشارت احدى التوصيات الى اعداد ببيليوجرافيا مشروحة فى موضوع الأدب الشعبى لكل دولة من دول الخليج العربية ، وأشارت توصية أخرى الى الحصول على أهم المراجع والمصادر عن الأدب الشعبي فى مكتبات العالم مع التركيز على أدب الرحلات والمخطوطات العربية القديمة ، بينما ألحت توصية ثالثة الى دعوة الجامعات العربية ومراكز البحث العلمى الى الاهتمام بالدراسات والأبحاث فى مجال الأدب الشعبى ، وألحت توصية رابعة الى المشكلات التى تواجه الجامع أو الباحث ، وخامسة الى ضرورة اعداد فرق عمل ميدانية كاملة ومجهزة وسادسة الى ضرورة الاستعانة بوسائل الاعلام للتوعية بجمع المأثورات الشعبية .

وتوالت التوصيات بعد ذلك داعية الى تشكيل لجنة من المختصين لدراسة صيغة علمية لكتابة وتدوين أنماط الأدب الشعبى المختلفة ، وأن يتم ذلك باللغة الفصيحة قدر الامكان ، والاتفاق على نظام معين للتدوين . وفهرسة وتصنيف وحفظ مواد الأدب الشعبى ، وتكريم الرواد الاوائل من أبناء الخليج والجزيرة العربية الذين أسهموا بجهود طيبة فى هذا المجال .

وأوصت الندوة أيضاً بالموافقة على اتفاقية التعاون بين المركز ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ووضع اتفاقية خليجية مشتركة لحماية أشكال التعبير الشعبى على ضوء أعمال لجنة الخبراء الاقليمية المختصة بذلك ، والاسراع فى اصدار المطبوعة الدورية المتخصصة فى التراث الشعبى ، وتنفيذ المخطط الموضوع من قبل المركز لدراسة أوضاع الفنانين الشعبيين فى دول الخليج العربية ، وتنظيم الدورات التدريبية فى مجال تأهيل الجامعين الميدانيين من أبناء الدول الأعضاء ، والمزيد من بحث ومناقشة مشروع لائحة الأجور والمكافآت المعروض على جدول الدورة ..

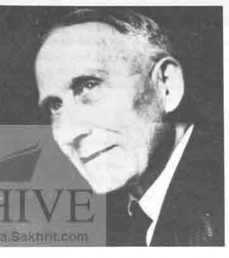
وهكذا جاءت التوصيات فعلا راسمة لخطة كبيرة وطموحة من أجل احياء التراث الشعبى الخليجى ، ولاشك أن وضعها موضع التنفيذ بالجهد المخلص الدءوب والشاق هو الذى سيوصل الى تحقيق الهدف الذى نسعى اليه جميعاً من أجل تراث المنطقة . وليس هذا بكثير على الباحثين والدارسين فى هذا المجال حتى وان كانت الجهود شاقة ، وحتى وان طال الزمن ..

يوسف الحرمى



◄ المستشرق الفرنسي عندما دخل الأزهر فى مصر وارتدى زى طلابه

المستشرق لويس ماسينيون الذى احتفلوا بالذكرى المئوية لمولده



هـذا المستشرق
الذي لبس العمامة ودرس الثقافة العربية
هل كان جاسوسا ضد العرب ؟!

شارك كل من كلية الآداب جامعة القاهرة ومجمع اللغة العربية بمصر ، كلا من المركز الثقافى الفرنسي والمعهد العلمي للدراسات الشرقية بفرنسا ، الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد المستشرق لويس ماسينيون (١٨٨٣ ــ ١٩٦٢) .

وفى هذه المناسبة أود أن أعرض لبعض الحقائق عن حياة الرجل ومغزى كتاباته واهتماماته التى لم تذكر فى هذا اللقاء ، أو ذكرت تلميحاً لا تصريحاً . وهى تلميحات رسمت لنا صورة مختلفة عن (ماسينيون العرب) تقربه من (لورانس العرب) .

والربط بين ماسينيون ولورانس ليس الهدف من هذه المقالة ، رغم أن كلا منهما كان متعدد الأوجه والنشاطات ، دائم الترحال فى معظم البلدان العربية ، يظهر دائماً وفجأة فى فترات ماقبل الحروب . ولكن الهدف من هذه الدراسة هو جمع الخيوط المتفرقة المتعددة الألوان لعلها تهدينا الى حقيقة ماسينيون ، تلك الحقيقة التى تجعلنا نضعه مع كراوس الذى اشترك معه فى تأليف كتاب (أخبار الحلاج) ١٩٣٩ ، كما أشترك معه فى أشياء عديدة ! !

وقد كانت لمجلة الدوحة بادرة فى إلقاء

الكثير من الأضواء على شخصية كراوس ، ونحاول هنا أن نلقى ضوءاً آخر على الجوانب المجهولة فى شخصية (ماسينيون) .

لقد ارتبط ماسينيون بالعالم العربى دراسة وبحثاً وتنقيبا ، دارساً ومدرساً ، والعلاقة قوية بينه وبين عالمنا العربى : تاريخه وآثاره ، أفكاره ورجاله .

فماسينيون اهتم بالفكر واللغة والحياة العقلية العربية وتعمق فيها حتى أختير عضواً بالمجمع اللغوى بالقاهرة وغيره من المجامع العلمية فى دمشق وبغداد . ودرس الشمال الافريقى ومصر والعراق وشبه الجزيرة ، اكتشف آثارها وكتب عنها وكانت تربطه علاقات ود وصداقة شخصية بالعلماء والكتاب العرب فى كافة الأقطار .

نريد أن نتوقف عند هذه العلاقة بالعرب والاهتمام الزائد بهم والكتابة عن حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية التى تظهر فى أخطر أعماله وأهمها من وجهه نظرنا وهو (حوليات العالم الاسلامى) الذى يثير الشكوك حول حقيقة الرجل ، ففيه يأتى على ذكر كل بقاع الوطن العربى دراسة وتحليلاً مع الافاضة فى ذكر معلومات دقيقة مفصلة واحصائية عن بلدانه وأقاليمه ومدنه وقراه وسكانه : عددهم وتجمعاتهم ورؤسائهم ومكانتهم وعائلاتهم بشكل مفصل مزود بالخرائط والأرقام . ودراسته للاجتماع الاسلامى ، ومشاكله ، والحركات الفكرية : السرية والعلنية ، والفرق والجماعات المتطرفة قديماً وحديثاً فى كل منطقة . كذلك اتصاله الوثيق بالمفكرين والسياسيين الذين أمدوه وساعدوه فى كشوفه الأثرية ، وأبحاثه العلمية بالكتب والمخطوطات وغيرها . وأعطوه حباً وتكريماً واعظاماً ، مما يجعلنا نتساءل عن مدى جهده فيما أعلنه من كشوف . وقد يدرك هولاء العرب قيمة مساعدتهم لماسينيون فى ابحاثه العلمية . لكن يبدو أن هناك أشياء أخرى غير العلم كانت وراء ماسينيون .

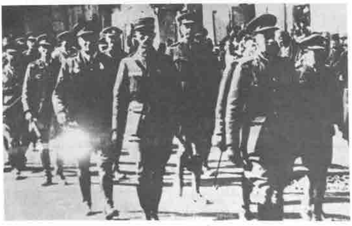
ومن هنا فإن الدراسة الجادة للاستشراق والمستشرقين من جانب الباحثين الوطنيين قد تفيد فى توضيح الصورة .

درس ماسينيون بالجامعة الأهلية ١٩١٢ /١٩١٣ لطه حسين ومنصور فهمى وحضر دروسه مفكرون مثل : رشيد رضا ، وحفنى ناصف وجورجى زيدان ، واستمع اليه فى الجامعة الحكومية : د . كامل حسين ، يحيى الخشاب ، عبد الرحمن بدوى ، ابو الوفاء التفتازانى ، وهناك من العرب الذين درسوا عليه : محمد الفاسى من المغرب وصبحى الصالح من لبنان ، كتبوا عنه وافاضوا فى بيان مآثره باحثاً متعمقاً وانساناً متسامحاً مدافعاً عن قضايا وحقوق العرب . حضر الى مصر طالبا ودخل الازهر وارتدى زى طلابه . والتحق بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، بحث ونقب عن الآثار ، وعن كل شىء !! ثم انتدب للتدريس بالجامعة الأهلية ، وحفظت لنا محاضراته التى ألقاها باللغة العربية والتى تظهر لنا دراستها العميقة كيف كان يقرن كل فليسوف ببلده وديانته حيث يؤكد على الجنس والعرق والدين والقومية ، رغم ماقيل عن تجرده للحقيقة ومناداته بوحدة الأديان . ويشيد الباحثون بتأكيده على أصالة التصوف الاسلامى وأنه نشأ اسلامياً خالصاً بعيداً عن التأثرات الأجنبية . والقراءة الفاحصة للمواد التى كتبها فى دائرة المعارف الاسلامية تبين تطرفه كما يظهر فى اختياره لمواد مثل : شطح ، زندقة ، حلول ، وشخصيات مثل الحلاج ، ابن روح ، الترمذى ، السرى السقطى ، التى يفسرها تفسيرا غريبا .

وما يفوق ذلك خطراً هو محاضرته عن (الاسلام والصهيونية) — التى ألقاها ١٩٤٨ بباريس — والتى حاول فيها أن يجعل الصراع بينهما صراعاً دينياً ، يقتضى طرفاً ثالثاً فى الحوار ، طرف مسيحى (يكون ماسينيون المثل له) . ورغم وجود بطاقة دليل باسم هذا الكتاب فى مكتبة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ورقم له ، الا أننا لم نستطع أن نصل الى الكتاب الذى يكشف الكثير من مواقفه ، كما بين لنا أحد أساتذتنا ، كذلك هناك تقرير غريب لماسينيون فيما يحتويه من معلومات عن طبيعة عمله فى الجامعة الأهلية ورأيه فيها وفى طلابه وفى عقلية وتفكير العرب ، وهو تقرير مرسل الى جهة رسمية ، عثر عليه فى أحد كتبه ، وهذا التقرير يجعلنا نضع علامة استفهام كبيرة !

ومما يلقى الضوء على كل هذه الخيوط حقيقة كونه ضابطاً فرنسياً أرسلته فرنسا الى القاهرة للكشف والبحث ، ولم يقتصر الأمر على مصر بل كل الوطن العربى الذى عاش بين بدوه وسكانه وارتدى زيهم ثم دخل القدس مع (اللنبى) وشارك فى حملة الدردنيل .. مما يجعلنا نضع صورته العسكرية مع صورته باللباس الأزهرى او صورته فى القدس مع اللنبى او صورته بين العرب فى الصحراء ونتساءل ماهى صورة ماسينيون الحقيقية ؟ مجرد أستفهام ! !

احمد عبد الحليم عطية



صورة نادرة للمستشرق فى القدس مع الجنرال اللنبى

ندوة الصحافة الدولية ١٩٨٤ "باريس"

نحو حضور إعلامي عربي على الساحة الغربية

● خطوة متقدمة أمامها طريق طويل
● لماذا ينحاز الإعلام الغربي .. وكيف يتم التعامل معه بفاعلية؟

عقدت فى باريس فى أواخر اكتوبر الماضى ندوة « الصحافة الدولية ١٩٨٤ » تحت عنوان « تضارب الآراء » باشراف لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية التى يرأسها وكيل وزارة الاعلام بدولة قطر ــ محمد عبد الرحمن الخليفى ــ والتى تأسست عام ١٩٨٠ بقرار مؤتمر وزراء الاعلام لدول الخليج العربية المنعقد فى مسقط آنذاك .

تحدث فى الندوة قرابة أربعين شخصية عالمية واعلامية ، منهم الدكتور « برونو كرايسكى » مستشار النمسا « والهر هيلموت شميدت » مستشار المانيا الغربية السابق،والأمير حسن بن طلال ولى عهد الأردن ، والسيد « دينيس هيلى » وزير الخزانة البريطانية سابقاً وعضو البرلمان الناطق بلسان المعارضة حول الشئون الخارجية ، وغيرهم من رؤساء تحرير كبريات الصحف الأوربية والعربية والمتخصصة فى شئون الشرق الأوسط ومراسلى الصحافة والتليفزيون والاذاعة فى فرنسا والشرق الأوسط والولايات المتحدة وبريطانيا ..

افتتح الندوة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر ، وقد تناول المتحدثون بالتحليل العوامل التى تسهم فى بروز عقبات على طريق التفاهم

العربى ــ الأوروبى ، وركزوا على أهمية اتاحة المعلومات الصحيحة للرأى العام الأجنبى حتى يستطيع استجلاء الأمور على حقيقتها ، وطالب المتحدثون ــ كذلك ــ بضرورة تحقيق أشكال أخرى للاتصال تساعد الجانبين على أن يتعرفا على مشاكل بعضهما البعض .

أهداف الندوة

تلخصت أهداف الندوة فى اتاحة الفرصة للصحفيين والمفكرين العرب والغربيين المشاركين فى الندوة لاجراء حوار مفتوح حول أفضل السبل والوسائل لتحسين التفاهم وقيام تفاهم أفضل بين اوروبا والعالم العربى ، والدور الذى يمكن ان تقوم به وسائل الاعلام فى هذا الصدد ، والصعوبات والعوائق التى تحول دون ذلك ، وكيفية التغلب عليها ، وذلك من

والسياسية والثقافية في بناء علاقات ايجابية ومستقرة بين العالم الغربي والعرب .

المتحدثون العرب والأجانب

والواقع أن الأمر الذى أجمع عليه المتحدثون العرب والأجانب ، هو وجود خلل كبير في الفهم المتبادل بين العرب والغرب ، وأن علاج هذا الخلل يتطلب جهوداً مشتركة من الطرفين ، وقد اتاحت كلمات المتحدثين في الندوة التعرف على مظاهر ذلك الخلل بنسبة كبيرة ، وهى مظاهر ذات أهمية بالغة نادراً ما اتيح المجال للتحدث عنها بصراحة ووضوح وابرازها في ندوة منظمة ضمن خطة تقوم بها جهة من الجهات .

وقد عرض السياسيون المسألة بطريقتهم ، فالمستشار النمساوى السابق « برونو كرايسكى » الذى نعتبره صديقاً متفهما لقضايانا ، لم تغب عنه الحقائق في تلك الندوة ، وهو الذى صار خبيراً متعمقاً في مشاكلنا وبالذات صراعنا مع العدو الاسرائيلي ، ولهذا كانت كلمته عبارة عن اقتراح لحل هذه المشكلة كموضوع أساسى في الشرق الأوسط ، ودعا إلى تشكيل لجنة دولية واسعة القاعدة ، لمحاولة التوصل إلى اساس مشترك في سلسلة مقترحات السلام في الشرق الأوسط .

أما المستشار الألماني السابق « هلموت شميدت » والذى يتمتع برصيد دولى وافر من الاحترام ، فقد نظر إلى مشكلة العلاقة بين العرب والغرب من منظار الاقتصاد العالمى ، وركز على اعتبار الأزمة الاقتصادية العالمية محركاً لمشاكل كثيرة يعانى منها الغرب والشرق باستثناء الصين الشعبية ، التى كما قال لا ترتبط مباشرة بالأحداث الاقتصادية العالمية ، غير أنه فيما يتعلق بقضية الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية التزم بالموقف الأوروبى النظرى ، وكرر هذا الموقف بالقول بأن بيان البندقية عام ١٩٨٠ يشكل الاطار السليم نحو الاستقرار في الشرق الأوسط .

واستعرض « دينيس هيلى » وزير الخزانة البريطانية السابق المشاكل التى خلفتها السياسة الاستعمارية في الشرق الأوسط ، مشيراً إلى أن بعض هذه المشاكل



الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، يلقى كلمة افتتاح ندوة الصحافة الدولية ١٩٨٤ (باريس)



المستشار النمساوى السابق برونو كرايسكى وإلى جانبه وكيل وزارة الاعلام في دولة قطر محمد عبد الرحمن الخليفى ، ثم عبد الرحمن حمد العطية السفير القطرى في باريس

خلال القنوات التالية :

• ايجاد مناخ مناسب لتبادل الآراء والحوار والتفاعل لتحسين العلاقة الانسانية بين العرب والأوروبيين عبر وسائل الاعلام ، انطلاقاً من المصالح المتبادلة بين الطرفين وضرورة الاهتمام بها بحيث لا تكون في اتجاه واحد وعلى صعيد واحد فقط .

• ابراز الأهمية المتنامية للعالم العربي وتأثيره على العالم الغربي .

• العمل على ازالة التصورات الخاطئة عن الاسلام والعالم العربي ، وتصحيح الصورة المشوهة التى تعرضها بعض وسائل الاعلام الغربية .

• ابراز أهمية العوامل الاقتصادية

نحو حضور إعلامي عربي على الساحة الغربية

يرجع إلى تضارب السياسة البريطانية حول الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الثانية .. وأشار هيلي إلى أن بروز البترول كقوة مؤثرة في الاقتصاد العالمي يجعل من دول المنطقة عاملا هاماً في استقرار النظام النقدي العالمي .

أما المتحدثون العرب في الندوة فقد كانوا اكثر تركيزاً وتحديداً لمظاهر سوء الفهم المتبادل ، لأن العرب هم الطرف المغبون من جراء استمرار نمط العلاقة مع الغرب بالأسلوب الحاصل والممتد إلى حقب طويلة من الماضي والذي ساهمت الصهيونية العالمية باذكائه .

قال الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري في كلمة الافتتاح إن تأسيس اللجنة « لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية » جاء كرد فعل مباشر للشعور المتعاظم بضرورة سد الفجوة التي تعوق مسار العلاقات الاعلامية بين العالم العربي والغرب ، حيث كان استمرار تلك الفجوة عاملا مباشراً في أن تظل صورة العرب مشوهة في وسائل الاعلام الغربية ، وتظل الأفكار الخاطئة والأنماط الزائفة هي التعبير السائد عن كل ما هو عربي .

وأشار الأمير حسن بن طلال في كلمته التي ألقيت عنه بالنيابة إلى أن حركة معاداة العرب بدأت بتناغم بين الحركة الصهيونية والاستعمار الغربي لتقيم حلفاً دعائياً ضد الأمة العربية .

الصحفيون ومشاكلهم

واستمعت الندوة إلى آراء ممثلين لعدد من الصحف الأوروبية مثل لوموند والجارديان والصاندي تايمز والفاينانشيال تايمز ، وركز الصحفيون الأوروبيون على المشاكل التي تواجه الصحفيين الأجانب في تغطية أحداث العالم العربي ، وطالبوا بضرورة اتاحة المعلومات وحرية الحركة للصحفيين الأجانب في المنطقة العربية ، ممثل الفاينانشيال تايمز قال إنه مع الأسف الشديد ليس هناك اتصال إعلامي كبير بين العالم العربي والعالم الغربي ، ومتى توفرت مثل هذه المعلومات فإنها تكون أحياناً من جانب واحد ، أو متحيزة أو أن فريقاً يستخدمها للنكاية بفريق آخر .

أما مندوب الجارديان فقد قال إن طبيعة العمل الصحفي في الشرق الأوسط تجعل من العنف موضوعاً رئيسياً .

وقال محرر الصنداي تايمز اللندنية أنه قادم من مجتمع ديمقراطي تعود على تقاليد الصحافة الحرة وأن صحيفته تغطي أحداثاً في منطقة لا تشاطر حكوماتها ومجتمعاتها القيم الغربية . ولهذا يوجد التوتر !

وفي الوقت الذي يشكو فيه الصحفيون الأجانب صعوبة ممارسة عملهم الصحفي في منطقة الشرق الأوسط نرى من الصحفيين العرب من يتهم زملاءهم الأجانب بالتقصير اما المتعمد أو الاهمال في متابعة تفاصيل ما يدور في المنطقة العربية والاكتفاء من وراء المكاتب المكيفة بكتابة التقارير وبروح من التحيز والأفكار المسبقة .

رياح جديدة

إن ندوة باريس هي ثمرة لجهود لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية ، وهي ثالث انجاز إعلامي بارز على الساحة الأوروبية تقوم به دول الخليج العربية بعد ندوة الصحافة في لندن عام ١٩٧٩ والأسبوع الثقافي الخليجي في باريس عام ١٩٨٠ .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا .. ترى ما هو حجم المردود الاعلامي لهذا التحرك النشط الدؤوب للاعلام الخليجي العربي على الساحة الأوروبية والأمريكية .. هل سيغير الصورة المشوهة ، وبالتالي يقنع الرأي العام العالمي بعدالة قضايانا ؟

من المسلم به أن الاعلام مهما بلغ من القوة والنشاط لا يمكن أن يخلق واقعاً جديداً اذا اقتصر دوره على إسماع الصوت للآخرين ، وهو لدى المتعمقين لا تزيد مهمته على التعبير عن حقائق موجودة ، وهذه الرؤية ربما لا تكون دقيقة اذا نظرنا بها إلى ما قامت به ندوة الصحافة الدولية في باريس ، فهي لم تعقد لعرض قضايا سياسية واجتماعية ، ولم تهدف إلى عمل اعلامي تقليدي كابراز الانجازات الحضارية للعرب مثلا ، وإنما نفذت من هذا الاطار إلى الدخول في تفاصيل الواقع كما هو ، وكان للحوارات والمداخلات التي دارت خصوصاً بين المتخصصين في الاعلام والصحافة دور هام في وضع النقاط على الحروف وتوضيح أسباب سوء الفهم ومظاهره ومعرفة الامكانات التي تسهل الاتصال وتقرب وجهات النظر .

ولقد تقدمت الندوة أيضاً لتتجاوز الاكتفاء بالشكوى من ظلم الاعلام الغربي وادانة الصحافة الغربية بالتحيز والاهمال الى درجة من الوصول إلى الاستعداد للفهم المتبادل دونما أفكار مسبقة تحكم مجريات الحوار ، لقد قررت الندوة مشكلة العرب في تحيز الصحافة والاعلام الغربي ، مثلما قررت أيضاً مشكلة الصحافة الغربية بصعوبة الاتصال والحصول على المعلومات الدقيقة ومصداقية المصادر كمظهر من طريقة الممارسة الديمقراطية في الشرق الأوسط والعالم الثالث عموماً .

وإذا كانوا يقولون إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة .. فإن من المأثور أيضاً أن « الفكرة المجدية هي التي تنفذ على الفور » ومن المفيد ولا شك أن تبادر لجنة العلاقات الاعلامية لدول الخليج العربية إلى الاقدام على هذه الخطوة .

وضاح طهبوب

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● أنا وزوجتي والكتب ●● في السعادة ●●● أدب المعاش

عن الأدب وتحصيله :

أنا وزوجتي والكتب



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

● كانت زوجتي تقول : ليس لى ضرة سوى هذه الكتب

● كنت أقول لأمي : لك مؤونتك من السمن والعسل والأرز والبصل والفلفل والتوم ولى مؤونتى من المتنبى والشريف الرضي والأغاني وهازليت وثاكرى وديكنز وماكولى ، ولاغنى بك عن سمنك وبصلك ولابى عن هؤلاء .

● .. وأنا مع ذلك أقل الثلاثة ــ العقاد وشكرى ــ اطلاعا وصبرا على التحصيل ، فأنا أجتر كالخروف ولكنهما يقضمان قضم الأسود ، ويهضمان كالنعامة ، فليتنى مثلهما .

نعي صديقي الأستاذ الزيات ــ صاحب الرسالة ــ على أدباء هذا الجيل الجديد . جهلهم بلغتهم وتقصيرهم فى تحصيل آدابها . وقال : « ان الواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل . فاذا استثنيت هؤلاء الستة أو السبعة وهم من الكهول الراحلين ، وجدت طبقة الأدباء كطبقة الصناع والزراع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة ، لا بالدرس والمعاناة » وقال أيضاً : « ولا تجد فى تاريخ العربية قبل هذا العصر ، ولا فى تاريخ اللغات فى جميع العصور ، من يحسب نفسه أديباً فى لغة وهو لا يعرف منها الا ما يعرف العامى الألف » .

وهذا صحيح . وأحسبنى من الستة أو السبعة الذين أشار اليهم الأستاذ ، وإنى لمن الكهول فقد جاوزت الأربعين وقاربت الخمسين ، ولكنى إن شاء الله من الباقين

أنا وزوجتي والكتب

لا من الراحلين . فاني أحس من العزم والقوة والنشاط مالو فرق بعضه على الأدباء النابتين أو الناجمين في زماننا هذا ، لكفاهم وزيادة . ولست أكتب لأقول هذا ، وإنما أريد أن أرسم للقراء صورة لأيام التحصيل الأولى . وأقول « الأولى » لأنا ما زلنا دائبين على التحصيل لا نعرف له نهاية إلا نهاية الحياة نفسها .

عرفنا القراءة والاطلاع ونحن تلاميذ في المدارس الثانوية ، وأدع غيري وأتحدث عن نفسي فأقول إن مواردي كانت محدودة جداً ، وكان حسبي أن أؤدي نفقات التعليم ، وكنت أحمد الله إذا وجدت بعد ذلك قرشاً في اليوم . وكان من زملائي في مرحلة التعليم الثانوي الأستاذ حسن فهمي رفعت بك — وكيل الداخلية الآن — ولا أعرف كيف كان حاله ، ولكني أعرف أنه كان يعيرني ما يشترى من الكتب بعد أن يفرغ منها ، وقلما كان يسترد ما يقرضني من كتبه . وكان فريق منا يعنى بأن يحضر دروس الامام الشيخ محمد عبده ، والشيخ سيد المرصفي .

وانتقلنا إلى التعليم العالي ، وكتب الله لي — على خلاف ما كنت أريد — أن أدخل مدرسة المعلمين العليا ، فكان مرشدي فيها وأستاذي ، زميلي وصديقي الأستاذ عبد الرحمن شكري ، فقد كان شاعراً ناضجاً ذا مذهب في الأدب يدعو إليه ، وكنت أنا مبتدئاً ، فصرفني عن البهاء زهير وابن الفارض وابن نباتة ومن إلى هؤلاء ، ووجهني إلى الأدب الجاهلي والأموي والعباسي ، ودلني على ما ينبغي أن أقرأ من الأدب الغربي . وكانوا ينقدوننا في هذه المدرسة بضعة جنيهات في الشهر : ثلاثة في السنة الأولى ، وأربعة في الثالثة ، فكنت أقسم هذه الجنيهات قسمة عادلة ، فأدفع للبيت نصفها وأستأثر بالنصف ، وأذهب الى مكتبة فأنتقي منها « مؤونة الشهر » . وكنت أعود إلى البيت بهذا الحمل فتسألني امي : « أنفقت فلوسك كلها ! وتظل طول الشهر تقول لي : هاتي ! . هاتي ! . أي تدبير هذا ؟ » .

فأقول : « يا أمي .. لك مؤونتك من السمن والعسل والأرز والبصل والفلفل والثوم ، ولي مؤونتي من المتنبي والشريف الرضي والأغاني وهازليت وتاكري وديكنز وماكولي ، ولا غنى بك عن سمنك وبصلك ، ولا بي عن هؤلاء ؟ » .

فتبتسم وتقول : « طيب .. » وتدعو لي بالتوفيق .

وكنت أشترى ديوان الشاعر ورقاً ، أعني بغير غلاف أو تجليد ، ليتسنى لي حين أخرج من البيت أن أحمل معي ملزمة أو ملزمتين ، أقرأ وأنا جالس في مقهى ، أو اذ أتمشى على شاطئ النيل . وكان حديثنا إذ نجتمع في الأدب والكتب . وكانت رسائلنا التي نتبادلها في الصيف حين نتفرق لا تدور إلا على ما نقرأ ، وكان أحدنا يلقى صاحبه في الطريق اتفاقاً فيقول له : « لقد عثرت على كتاب نفيس بغلاف فتعال نقرأه » ، لا يدعوه إلى طعام ، أو شراب ، أو سينما ، أو لهو ، بل إلى قراءة كتاب . وكان كل من يقع على كتاب قيم يخف به إلى صاحبه فينبئه به ويلخصه له ويحضه على اقتنائه . وكان أساتذتنا في مدرسة المعلمين يحثوننا على التحصيل وييسرون لنا أسبابه ، ما وسعهم ذلك . فلما تركنا المدرسة وفرغنا من الطلب « الرسمي » كنا قد عرفنا أمهات الكتب في الأدبين العربي والانجليزي ، وغيرهما أيضاً من الآداب ، ودرسنا أكثر شعراء العرب والغرب . وكان لكل منا مكتبته الخاصة المتخيرة .

وتزوجت . وفي صباح ليلة الجلوة ، دخلت مكتبتي ورددت الباب ، وأدرت عيني في رفوف المكتب ، فراقني منها ديوان « شيلي » فتناولته وانحططت على كرسي وشرعت أقرأ ، ونسيت الزوجة التي ما مضى عليها في بيتي إلا سواد ليلة واحدة ، وكانوا يبحثون عني في حيث يظنون أن يجدوني - في الحمام ، وفي غرفة الاستقبال ، وفي « المنظرة » — حتى تحت السرير بحثوا ، ولم يخطر لهم قط أني في المكتبة ، لأني « عريس » جديد لا يعقل في رأيهم أن يهجر عروسه هذا الهجر القبيح الفاضح ! وكانت أمي في « الكرار » أو المخزن تعد مالا أدري لهذا الصباح السعيد ، فأنبأوها أني اختفيت كأنما انشقت الأرض فابتلعتني ، وأنهم بحثوا ونقبوا في كل مكان فلم يعثروا لي على أثر ، فما العمل ؟

فضحكت أمي وقالت : « ليس في كل مكان .. اذهبوا إلى المكتبة فانه لاشك فيها » .

فقالت حماتي وضربت صدرها بكفها : « في المكتبة . يا نهار أسود ! وهل هذا وقت كتب وكلام فارغ ؟ » .

فقالت أمي بجزع : « اسمعي .. كل ساعة من ساعات الليل والنهار وقت كتب .. افهمي هذا وأريحي نفسك ، فان كل محاولة لصرفه عن الكتب ، عبث » .

فقالت حماتي : « لو كنت أعرف هذا .. مسكينة يابنتي .. وقعت وكان ما كان » .

فقالت أمي : « هل تكون مسكينة إذا وطدت نفسها على هذه المعرفة ؟ ويحسن أن تكبحي لسانك ، وأن تدعي الأمر لبنتك فانه من شأنها » .

فلم تكبح لسانها بل قالت : « لو كانت ضرة .. لكان أهون ! » .

فقالت أمي : « إنك حمقاء .. وليس في الأمر ما يحوج إلى هذا الهراء .. اذهبي إليه وناديه .. » .

فارتدت إلي ، وفتحت الباب علي ، وكنت ذاهلا ، فلما شعرت بالباب يفتح ازعجني ذلك ، فأشرت إلى الداخل أن يرجع من غير أن أنظر إليه ، وكنت مقطباً ، وكان لساني يخرج أصواتاً كهذه : شش ! شش ! » .

فخرجت المسكينة وأغلقت الباب ،

وذهبت تقول لأمي والدموع تنحدر من عينيها إني طردتها وصحت بها : هشش ! ، كما يصاح بالدجاج ؟ .

وقد عرفت هذا كله فيما بعد ، فطردتها ، لأني خفت أن تخرب لي البيت ، ثم إني تزوجت بنتها ، ولم أتزوجها هي ، فما مقامها عندي ولها بيت طويل عريض وزوج كريم ؟ وكان رأي بنتها فيها مثل رأيي ، فلم يسؤها مني ما فعلت . وأراحنا الله من دوشتها . ولكن زوجتي كانت تقول إلى آخر أيام حياتها رحمها الله : « ليس لي ضرة سوى هذه الكتب » ـ كانت تقولها مازحة ، فقد راضت نفسها على احتمال هذا الجنون مني ، واستطاعت أن تدرك أنه ليس لها ولا لسواها حيلة ، وأن في الوسع صرفي عن أي شيء إلا عن الكتب والدرس . ويا ما أذكى المرأة ! ! تكون لها حاجة تريد مني قضاءها ، وتخشى رفضي وعنادي ، فتكتمها ولا تكاشفني بها . وتنتظر حتى تراني غارقاً في كتاب ، وذاهلاً به عن الدنيا . وآية الذهول أن تدخل مرات فلا أشعر بها ، كما كانت تتوقع ، فتقول : « كلمة واحدة .. لن أعطلك .. » .

فأقول متململا متأففاً : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! قوليها يا ستي ولا تعطليني » فتطيل عامدة لتضجرني : « كلمة واحدة بس .. لماذا تغضب هكذا ؟ .. ألا يتسع صدرك لكلمة ليس إلا ؟ » .

فأكاد أجن وأقول : « يا ستي قوليها ، وأريحيني ! » .

فتقول : « المسألة الفلانية » .

وأنهض ، وأمضي بها إلى الباب وأنا أقول : اصنعي ما تشائين . كل ما بدا لك اصنعيه ، ولكن لا تعطليني .. أنا محتاج لعقلي كله الآن .. ألا تفهمين ؟ هذه نسخة مخطوطة ، منسوخة .. من ديوان ابن الرومي .. نسخها حمار كلها غلط وتحريف وتصحيف » .. ليس فيها بيت واحد له معنى .. فكيف يمكن أن أصلح غلطة واحدة إذا كنت تطيرين لي عقلي بالفساتين والخياطة والركامة .. ؟؟ » .

فتبتسم ، فقد بلغت سؤلها ، وتعدني أن تحرس هذا الباب فلا تترك أحداً يدخل منه أو يقربه .

ومن العناء الذي تكلفته أني اشتريت الأغاني الذي طبعه « الساسي » ـ اشتريته ورقاً على عادتي ، فكنت أراجع الأبيات التي ترد فيه ، في دواوين الشعراء أو كتب الأدب الأخرى ، فأصلحها أو أتمم القصيدة ـ أنسخ ذلك في ورقة وألصقها في الكتاب ، وكلما فرغت من جزء جلدته . وقد أصبح ضعف ما كان ، وهذا هو الكتاب الوحيد الذي بعته بأضعاف ثمنه ، فقد اشتريته بمائة قرش وخمسة قروش ، فلما بعت مكتبتي في سنة ١٩١٧ أو ١٩١٨ ـ لا أذكر ـ ابتاعه مني وراق بخمسين وسبعمائة قرش . وقد ندمت على بيعه ، فما أستطيع أن أصنع الآن ما صنعته قديماً ، ولكن العناء الذي تكبدته نفعني ، فقد أحوجني إلى مراجعات لا آخر لها ، وأطلعني على ما كنت خليقاً أن أخطئه فيفوتني العلم به .

وأنا مع ذلك أقل الثلاثة ـ العقاد وشكري ـ اطلاعاً وصبراً على التحصيل . وأدع للقارئ أن يتصور مبلغ شرههما العقلي ، ولا خوف من المبالغة هنا ، فإن كل ظني دون الحقيقة التي أعرفها عنهما . وأنا أجتر كالخروف ، ولكنهما يقضمان قضم الأسود ، ويهضمان كالنعامة ، فليتني مثلهما !

ابراهيم عبد القادر المازني

١٩٣٧



عباس العقاد — عبد الرحمن شكري — أحمد حسن الزيات

في السعادة

ان أضيع يوم في حياتنا هو اليوم الذي لانضحك فيه

لا تسير الرفاهية مع السعادة دائماً ، وإن كثيراً من الناس بؤساء وإن كانوا يملكون في الظاهر كل ما من شأنه أن يجعلهم سعداء .

يمكن أن تقدم الطبيعة إلى أحب عشاقها الغنى والقوة والشهرة والحياة الطويلة ، ولكنها لا تستطيع أن تجعله سعيداً ، إذ يجب أن يعتمد في ذلك على نفسه .

إذا لم تكن عناصر السعادة موجودة في نفس الرجل فان كل ما في العالم من جمال ومشاهد وملذات ومبهجات لن تستطيع أن تهبها له .

أكثر ما تتوقف عليه السعادة انما هو ضبط الرجل لأفكاره وقياده لها متجنبا ما هو مؤلم ، مستعيداً أجمل الذكريات .

يقول « شوبنهور » ــ يرى أحدهم العالم قاحلاً مظلماً حقيراً ، ويراه الآخر غنياً مبهجاً مملوءاً بالمعاني .

السعادة شيء يحتاج إلى المران كالعزف بالناى .

إذا سرنا على الصراط المستقيم وصلنا إلى ما تصبو إليه نفوسنا ولكن حذار أن نبحث عن هذا الصراط باهتمام شديد .

يقول « فرانكلن » ــ اتبع السرور يتبعك .

لا تفكر كثيراً في نفسك ، إنك لست الوحيد في هذا العالم .

يقول « راسين » ــ لا تفتش عن اللهو ، ولكن كن مستعداً دائماً أن تلهو .

إنه من الصعب أن تجعل الحياة تعاقب لذائذ .

يقول « تشفورت » ــ إن أضيع يوم في حياتنا هو اليوم الذي لا نضحك فيه .

إذا كان اليوم مظلماً فأضئه .

ويقول أحد الحكماء :

يحتاج النزاع إلى شخصين فلا تكن أنت أحدهما .

لا تدع الشمس تغرب على غضبك .

إن أنت فكرت في نفسك كنت تعساً ، وان أنت فكرت في غيرك كنت سعيداً .

يتذمر بعض الناس دائماً ، ولكنهم مساكين لم يدركوا أنه لو قدر لهم فولدوا في اسعد الأيام والبلاد لوجدوا هنالك أشياء كثيرة يتشكون منها ويتذمرون .

الغبطة مقو أخلاقي عظيم ، وكما أن الشمس تفتح الأزهار وتنضج الأثمار ، كذلك الغبطة

الشعور بالحرية والحياة يبعث فينا كل بذور الوجود .

مادام الانسان محافظا على بشاشته فهو محافظ على قوته وشبابه .

يظن بعض الناس أن السرور دليل عدم التفكير وهذا خطأ ، إذ ليس من علاقة ضرورية بينهما .

لا نستطيع أن نمنع آلام هذه الحياة عنا ، ولكننا ــ إذا أردنا ــ نستطيع أن نسمو فوقها ، ولذلك يجب أن نعلق على جدران غرفة ذكرياتنا صوراً جميلة ضاحكة . وكما يلأم الزمن الجراح يشفى الزمن الأحزان .

يقول « كوكريتوس » يخاف بعض الرجال في النور بقدر ما يخاف الأطفال في الظلام .

إن العقل المثقف ، ولا أعنى بالمثقف عقل الفيلسوف ، بل كل عقل فتحت له منابع المعرفة كيف يمرن قواه ، سيجد في كل ما يحيط به منابع للسرور والتسلية لا ينضب معينها ، سيجد في بدائع الفن غبطة ، وفي جمال المرأة راحة ، وفي خيال الشعراء وحوادث التاريخ سلوة ، وفي عقائد الناس « نزهة روحية » .

الطبيعة نعمة لمن لا يكفر بالنعمة .

لا الغنى ولا الجاه يضامنين لك السعادة .

قد تكون غنياً وعظيماً وقوياً من غير الحب والاحسان والاطمئنان ، ولكنك لن تكون سعيداً .

لقد اتفق أحكم الحكماء على أن السعادة لا يمكن أن تشترى بالمال ولا أن تنال بالقوة .

يقول « هريو » لسيمونيدس : لقد أغرت مفاخر الأمارة وعظمة الملوك ورفاهيتهم السواد الأعظم من الناس ، أنا لا أعجب من ذلك ، لأن الناس كما يظهر لي يحكمون على بعضهم بمجرد الظواهر فقط ، إنني أؤكد لك ياسيمونيدس ان الملوك يملكون أقل نصيب من « المسرات العظيمة » ، وأعظم سهم من « البلايا العظيمة » .

لا ينبغي أن تخاف الموت ، فالموت كما يقول « باسكال » هو المصيبة الوحيدة التي لا نشعر بها .

مادمنا كائنين فما ثمة موت . واذا جاء الأجل فما ثمة وجود .

يجب ألا ننشد السعادة في الخارج بل في نفوسنا ، في عقولنا .

يقول « سقراط » : خير الرجال من يسعى لضبط نفسه ، وأسعدهم من يشعر بأنه ضابط لها » .

خذ الغبطة إلى بيتك .

واسمح لها أن تنمو ودارها .

إنها ستخفف من آلامك وأحمالك .

وتغنى لك وأنت تجاهد في حراثة أرضك .

لورد افيرى من كتابة « فائدة الحياة »

ترجمة : بشير الشريقي

١٩٣٤

أدب المعاش

ان أدباءنا يتباهون بالتبديد لما يملكون ، وهذا خطر يجب التحذير من عواقبه السود

لا جدال في أن الأدب العربي الحديث قد سما سمواً عظيماً في كثير من الفنون ، ولكني مع ذلك أراه تخلف أقبح التخلف في دعوة الناس الى تدبير المعاش ، وأنا أقترح أن يكون عندنا أدب يسمى « أدب المعاش » وهو الأدب الذي يعلم الناس كيف يقتصدون ، وكيف يدخرون ، وكيف يواجهون مطالب الحياة في الشباب والمشيب ، بجيوب سليمة من مرض الإفلاس ، فما يذل الرجال غير الفقر ، أعاذنا الله وأعاذ جميع الأحرار من رؤية وجهه البغيض .

ولتوضيح هذا النقص في اتجاهاتنا الأدبية أسوق الفكاهتين الآتيتين : لقيني الشاعر حافظ ابراهيم يوماً فقال :

ـ هل رأيت ما صنع شوقي ؟

ـ وماذا صنع شوقي ؟

ـ نظم قصيدة في « بنك مصر » مع أنه لواختلف مع هذا البنك على مليم واحد لساقه إلى ساحة القضاء !

ـ ومعنى هذا أنك لا ترى أن تقال في « البنوك » قصائد ؟

ـ القصائد لا تقال إلا في الأزهار والرياحين .

ولقيني الشاعر عباس العقاد يوماً فقال :

ـ قد نفيناك عن فردوس الأدب

ـ وما سبب هذا النفي ، ياحضرة الأستاذ ؟

ـ لأنك بنيت بيتاً في مصر الجديدة ، والأدب لايعرف مثل هذا الثراء .

وقد اعتذرت للأستاذ العقاد بعبارة لطيفة ، عبارة تقول بأن شهرتي بالأدب هددت سمعتي المالية ، فكان من واجبي أن أبني بيتاً ولو بالتقسيط ، لتحسن سمعتي في سنتريس .

والحق أن أدباءنا قد انصرفوا عن تعليم انفسهم وتعليم قرائهم فكرة المعاش ، ولو شئت لقلت إنهم يتباهون بالتبديد لما يملكون . وهذا خطر يجب التحذير من عواقبه السود ، وأنا أنبه نفسي وأنبه تلاميذي وقرائي ، فلأسمع وليسمعوا ، ولعل فيهم من يعى كلامي بأكثر مما أعي كلامي .

لا يعاب على الأديب أن يقص بعض وقائعه الغرامية ، فمنذ عهد امرئ القيس إلى اليوم والشعراء يتباهون بحوادث الضم والعناق والوصال ، والأمر كذلك عند شعراء الأمم الأجنبية ، ولكن يعاب على الأدب أن يقص بعض مسالكه في تدبير المعاش وما وقع من ذلك لم يقابل بغير السخرية والاستهزاء .

وأخرج على هذا التقليد فأقول : إني جريت منذ أعوام على الادخار في حدود الاعتدال ، فلا أحرم نفسي ولا أحرم أبنائي نعمة العيش المقبول ، ولكني لا أسمح لنفسي ولا لأبنائي بتبديد ما يسوق الله من الرزق الحلال .

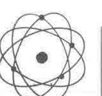
وعند اشتغالي بالتدريس كنت أسأل تلاميذي عما يدخرون ولم يفتني أن ألقي درساً في الادخار على تلاميذي في بغداد ، راجياً أن يلقوه على تلاميذهم في جميع ارجاء العراق .

ومهنتي اليوم لا تتسع لأمثال هذه الدروس ، ومع ذلك يغلبني حب الخير فأسأل المدرسين الذين أتشرف بتوجيههم الى المناهج الصحيحة في التدريس ، أسألهم عما يدخرون ، لأطمئن إلى صلاحيتهم لمهنة التعليم . فالمعلم الحق في نظري هو الذي يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش . ولا يمكن لمدرس يبدد مرتبه في الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله في الباقي من الأسابيع ، وتدبير المال في الحدود المعقولة يشهد بالقدرة على ضبط النفس ، وضبط النفس هو أوثق صور الأخلاق ، وما يجوز لمبذر أن يتوهم أنه يصلح لشيء من جلائل الأعمال .

أكتب هذا وأنا أعرف أن في بني آدم من يطيب له أن يتهمني بالشح والبخل ، لأنهم ألفوا وصف المدخرين بالشح والبخل ، ولأن الشعر القديم صور لهم التبذير بصورة السخاء مع أن أكثر المدائح كانت تمائم أريد بها انتهاب ما يملك الخلفاء والملوك . ومهما نهيتكم عن الإسراف فلن أنهاكم عن البر بالفقراء والمساكين . ولي هنا غاية تجارية : فقد عرفت بالتجربة أن الله يعوض ماننفقه على المعوزين أضعافاً مضاعفة ، ومن الواجب أن نستغل كرم الله أجمل استغلال في حدود ما نطيق . وأنا بعد هذا أرجو من يؤلفون كتب المطالعة لتلاميذ المدارس أن يكثروا من الحث على الادخار ، ليساعدوا على إنشاء جيل جديد ، جيل متماسك لا يتباهى أبناؤه بالسرف والتبديد ، وإنما يتباهون بالبر والإفضال .

زكي مبارك

١٩٤١



تقديم : لبنى الريدي

علاج جديد لمرض السكرى

توصل الباحثون في مجال البيوتكنولوجى في كل من استراليا والولايات المتحدة الى علاج فعال لمرض السكرى يعتمد على زرع خلايا بنكرياسية قادرة على افراز الأنسولين .

فبعد نجاح التجارب التى أجريت على الحيوانات من فئران وكلاب قرر الأطباء تجربة العلاج الجديد على الانسان ، وستظهر نتائج هذه التجربة الجريئة خلال الشهور القادمة .

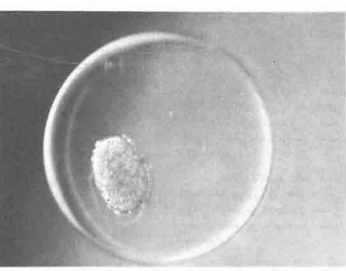
ويكتسب هذا العلاج أهمية كبرى اذا علمنا أن عدد المرضى بالسكرى في العالم يبلغ ٦٠ مليون شخص ، وهو يعتبر من أهم أسباب الوفاة والعجز بعد أمراض القلب والسرطان .

وكانت المشكلة التى واجهت الأطباء دائماً هى رفض الجسم للخلايا البنكرياسية المزروعة ، الى أن تمكن الباحثون من اثبات أن خلايا البنكرياس المسئولة عن افراز الأنسولين تحتوى على نسبة ضئيلة من كريات الدم البيضاء التى تقوم بحفز جهاز المناعة في الجسم ، بحيث يمكن تخليصها منها قبل اجراء عملية الزرع ، وتقبل الجسم بالفعل الخلايا البنكرياسية التى تمت معالجتها قبل زرعها ، وبدأت هذه الخلايا في تكوين شبكة من الشعيرات الدموية الدقيقة . وفى غضون أسابيع قليلة بدأت في افراز الأنسولين .

وتتكون الخلايا البنكرياسية المزروعة من أربعة أنواع من الخلايا : خلايا تفرز الأنسولين الذى يقوم بتنظيم مستوى السكر الذى يحتاجه الجسم وخلايا تفرز هرموناً يقوم بتنظيم نسبة الأنسولين في الدم ونوعين من الخلايا تتولى كل منهما التحكم في نشاط النوع الأول والنوع الثانى من الخلايا . وتستغرق الجراحة ربع ساعة ولا يحتاج المريض للبقاء في المستشفى لأكثر من يوم واحد .



معالجة الخلايا البنكرياسية قبل زرعها



الخلايا البنكرياسية التى تم زرعها للفئران محفوظة فى كرة قطرها نصف ملليمتر تقوم بتزويد الجسم بالانسولين

ساعة للمسلمين

يستطيع المسلم فى أية بقعة من العالم معرفة مواعيد الصلاة وتحديد القبلة وذلك بمساعدة ساعة الكترونية ابتكرها مهندس مصرى تضم ميكروكمبيوتر يحتفظ فى ذاكرته بخطوط الطول وخطوط العرض لمائتى مدينة.

فعندما يضرب صاحب الساعة على زر رقم رمز المدينة التى يقيم فيها والتوقيت المحلى لها وتاريخ اليوم تتولى الساعة تنبيه صاحبها بالأوقات المحددة للصلوات الخمس بواسطة جرس لطيف، كما تضم هذه الساعة بوصلة يمكن ضبطها بحيث تشير إلى جهة القبلة فى أى مكان فى العالم.

أما إذا كان المسلم يقيم فى مدينة لم تسجل فى ذاكرة الساعة فيجب عليه إدخال خطي الطول والعرض الواقعة عليهما المدينة الى الميكروكمبيوتر بدلا من رقم رمز المدينة (الكود).

وسوف تصدر الشركة الأمريكية التى اشترت حق الابتكار من العالم المصرى مائة الف ساعة من هذا النوع إلى السعودية خلال الشهور الة القادمة.

المركب الطائر



أجريت فى ألمانيا الغربية تجربة لمركب من نوع جديد، فهو يطير فوق سطح الماء على ارتفاع أربعين سنتمترا. على وسادة من الهواء وتبلغ سرعة هذا المركب الطائر ١٦٠ كيلومتراً فى الساعة.

ولا يستخدم هذا المركب مروحة لتكوين الوسادة الهوائية مثل الحوامات لأنها تستهلك قدراً كبيراً من الطاقة، وانما يعتمد فى تكوين وسادة الهواء على الشكل الخاص لأجنحته الأربعة التى تتميز بقصرها وعرضها. ويبلغ وزن المركب طنا ونصف فقط وطوله ٢١ مترا وعرضه — وهى أقصى مسافة بين جناحيه — ٤٫٩ مترات ولا يستهلك محركه سوى ١٤ لتراً من الوقود لكل مائة كيلو متر.

ونظراً لما يتميز به هذا المركب الطائر من سرعة واستهلاك منخفض للوقود، فكر المهندسون الألمان فى تصنيع نماذج كبيرة منه لاستخدامها فى نقل الركاب، ويجرى حالياً اعداد مثل هذا المركب، وهو يتسع لأربعمائة مقعد، ويبلغ وزنه ١٤٠ طناً، ويستطيع الابحار بسرعة ١٧٥ كيلومترا فى الساعة على ارتفاع متر فوق سطح البحر.

وعندما يكون البحر هائجاً والأمواج عالية يمكنه الطيران على ارتفاع أربعة أمتار.

اليد الاصطناعية وحاسة اللمس

سيستمتع المعوق الذى يستخدم يداً اصطناعية بحاسة اللمس، فلقد نجح فريق من الباحثين الايطاليين فى تصميم طبقات من الجلد الاصطناعى المكون من صفوف من اغشية بلاستيكية رقيقة ومرنة تتميز مادتها بخواص كهربية غير تقليدية.

فعند تعريض غشاء من هذه المادة لمجال كهربى قوى فانها تكتسب صفات كهربية خاصة بحيث اذا ما تعرضت بعد ذلك لضغط أو حرارة تتولد على الفور إشارة كهربية تسرى خلال الغشاء، وبالتالى يمكن رصد أى تغيرات فى الضغط أو الحرارة لأنها ستتحول الى اشارات كهربية.

وقام الباحثون الايطاليون بتركيب هذه المجسات على أصابع يد اصطناعية بهدف التمييز بين درجات حرارة الأجسام ومدى صلابتها أو مرونتها، ولكن المشكلة التى واجهت فريق البحث أن رد الفعل الكهربى يحدث نتيجة تغير فى الحرارة أو الضغط، وبالتالى لا يستطيع المعوق التمييز بين نوعى الاحساس. ومن ثم فكر الباحثون فى تكوين عدة طبقات من مجسات صممت لتستجيب لمؤثر واحد فقط. بحيث يمكن صنع جلد اصطناعى يضم مجسات للضغط وأخرى لدرجات الحرارة، وبالتالى يتمكن المعوق من التفرقة بين المؤثر تبعاً للاشارة الكهربية المتولدة.



« ياسمين خلاط » التي فازت بجائزة أحسن ممثلة في مهرجان قرطاج السينمائي

الجد العجوز البخيل في فيلم « أحلام مدينة »





أفلام ومهرجانات

السينما العربية تتقدم .. فمن يفتح الباب ؟!



فاتن حمامة وشكرى سرحان فى لقطة من فيلم «ليلة القبض على فاطمة» الذى فاز بجائزة تقديرية للسيناريو فى مهرجان فالنسيا باسبانيا.

ربما كانت المرة الأولى من نوعها .. أن يفوز فيلم بالجائزة الكبرى فى مهرجانين سينمائيين دوليين .. وفى خلال أسبوعين فقط ! !

ولكن هذا ما حدث مع الفيلم السورى «أحلام مدينة» للمخرج محمد ملص .. فقد فاز الفيلم بالجائزة الأولى فى مهرجان «فالنسيا» السينمائى الدولى (أسبانيا) والذى أعلنت نتيجته يوم ٧ أكتوبر ٨٤ .. وبعدها بأقل من أسبوعين .. وفى يوم ٢٠ اكتوبر ٨٤ فاز نفس الفيلم «أحلام مدينة» بالجائزة الأولى لمهرجان «قرطاج السينمائى الدولى (تونس)».

وفاز الفيلم أيضاً ــ فى مهرجان قرطاج ــ بجائزة أحسن سيناريو «سمير ذكرى» و «محمد ملص».

وفازت ممثلته «ياسمين خلاط» بجائزة أحسن ممثلة.

وحصل الطفل «باسل الأبيض» على شهادة تقدير عن دوره فى هذا الفيلم.

وكل هذه الجوائز يستحقها الفيلم عن جدارة .. ماعدا جائزة السيناريو، حيث ان الثلث الأخير من الفيلم تشتت فيه خيوط السيناريو وتفرعت الى تفصيلات جانبية، افقدته بعضاً من جمال الفيلم وقوته.

السياسة والحياة اليومية

وقد شاهدت «أحلام مدينة» ثلاث مرات .. وفى كل مرة كان الفيلم يجذبنى بشاعريته واحساسه المتدفق بالحب والانتماء .. وفى كل مرة كنت أكتشف فى الفيلم صوراً جديدة ومعان نبيلة.

ولا أكون مبالغاً اذا قلت إن هذا الفيلم يعتبر مفاجأة السينما العربية عام ٨٤.

والمدهش تماماً أن يكون «أحلام مدينة» هو أول فيلم روائى طويل لمخرجه الشاب «محمد ملص» بعد رحلة فى اخراج الأفلام التسجيلية والقصيرة .. ثم جاءت فرصة اخراج أول فيلم طويل، مسنوداً بتدعيم مؤسسة السينما السورية .. فكأنه الميلاد الذى كشف لنا عن موهبة فنية متميزة .. لها أسلوبها الخاص .. ولها مذاقها الساحر.

فنحن أمام فيلم عن السياسة .. ولكن بلا ملل أو إزعاج .. أو تطرف ..

فالسياسة هنا هى الاطار الذى تتحرك داخله تلك الشخصيات الشعبية البسطية



التى تعيش فى هذا الشارع الجانبى بالعاصمة دمشق ..

السياسة هنا .. هى الخبز اليومى .. والحوار العادى .. والالتقاءات الحميمة .. وخيبة الأمل المريرة ..!

السياسة عندما تعكس ظلالها .. على علاقة الأخ بأخيه .. والجار بزميله .. والحلم بالشفاء .. والأمل فى الاستقرار ..

ورغم أن أحداث الفيلم تغطى الفترة السياسية التى مر بها الشارع السورى منذ عام ٥٣ وحتى اعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ٥٨ .. مروراً بتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر عام ٥٦ .. إلا أن تلك الأحداث تتحول فى الفيلم الى انعكاسات مباشرة على الحياة اليومية ، فى نسيج فنى يشع باللمسات الانسانية .

ولا يتورط الفيلم فى الدخول فى تفصيلات تلك الأحداث السياسية أو أن يجسدها على الشاشة .. بل يستخدم المخرج مفردات فنية وغاية فى الذكاء والجمال .. من خلال مذياع قديم فى دكان كواء ومؤشر المذياع ينتقل بين اذاعة دمشق واذاعة صوت العرب .. ما بين الفرح والحذر والخوف ..

ومن خلال ملصقات ولافتات على الجدران .. ومن خلال أغنية ارتبطت بتلك الفترة .. أو من خلال صور الزعماء السياسيين التى يعلوها التراب وتخرج من المخابىء الخاصة لتنظف وتلمع .. أو تلك الصور المعلقة على الجدران خوفاً وامتثالا للأوامر ! !

اكتشافات بعيون طفل

يبدأ الفيلم بذلك الاتوبيس الذى يدخل الشارع .. وقد أسدل الليل أستاره .. ونفد صبر السائق فيما يبدو بحثا عن العنوان .. فقد انفض عن الأتوبيس ركابه .. ولم يعد هناك غير هذه الأم « ياسمين خلاط » وطفلاها الصغيران .. أحدهما يقترب من العاشرة من عمره والآخر مازال يحبو نحو السادسة .. وهذا الصغير يتطلع من نافذة الأتوبيس ، مشيراً الى الشارع المزين بعناقيد اللمبات الكهربائية الملونة ، ويصيح فى فرح ودهشة : « هى الشام يا أمى .. تعال أتطلعى .. يا الله .. ما أحلى الشام يا أمى » .

كانت دمشق يومها تحتفل بعيد الجلاء ..

وكانت تلك الأم قادمة من القنيطرة ، بعد أن فقدت زوجها الذى أسلم الروح على سرير المرض والفقر .. وها هى تحمل أحزانها وطفليها ، تدق باب والدها العجوز البخيل السليط اللسان .. الذى يصمم على عدم فتح الباب لها .. الا بعد أن تدخل أحد الجيران مستعطفاً موبخاً ، كيف يترك ابنته وأحفاده فى الطريق والدنيا ليل .

ويضطر العجوز أن يفتح الباب .. ويفتح أيضاً سيل الشتائم واللعنات على ابنته وصغيريها ..

وينجو المخرج من سقوط فيلمه فى قاع الميلودراما الباكية .. وينطلق بالطفلين ليخلق من خلالها عالماً يفيض بالبراءة والبسمة الصافية .. وليصبح ذلك الطفل الذى لم يتجاوز العشرة من عمره هو بطل الفيلم الحقيقى الذى نكتشف من خلال عينه اللينة بالدهشة والفضول ما يفعله الكبار .. وما تفعله السياسة فى الجميع ! !

وينتقل الفيلم فى عذوبة .. بين سقوط الدكتاتورية العسكرية عام ٥٤ .. ومواكب الانتخابات .. وليالى رمضان .. وألعاب الأطفال .. ومناقشات الكبار .. والكراهية الغريزية عند المواطن البسيط ضد المخبرين وكاتبى التقارير .. والتفتح الأول لاكتشاف الجنس الآخر من خلال نظرة عين .. أو طرفة ثوب .. أو نداء متغم ..

نسيج مطرز بالجمال والصدق والعفوية .

ومن خلال عين هذا الطفل .. نكتشف ايضاً عالم الخديعة والغش .. والعنف .

فقد فوجىء هذا الطفل بأن أحد رجال الشارع يضرب آخراً بشدة ، ويمنعه من دخول الشارع .. وأن هذا التاجر يمسك المقص ليغرزه فى بطن أخيه ليتفجر الدم ويسقط الأخ صريعاً ..

كان الطفل يعذبه منظر الدم .. ويتساءل بمرارة لماذا يفعل الأخ بشقيقه هكذا .. ولكنه ذات يوم لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يمسك سكيناً ليجرى وراء الرجل الذى خدع أمه .. كان يريد أن يقتله .. ولكنه لم يستطع .. ومن شدة احساسه بالعجز والألم .. دق رأسه فى الباب الخشبى حتى انفتحت جبهته ..

فما دام ما حوله لا يخضع لمنطق مفهوم .. ومادامت خيبة الأمل أسرع .. ومادامت أمه تواجه الصدمات وتنسحب ابتسامتها لتكشف عن مدى العذاب الذى تواجهه .. فما الذى يبقى له إذن لكى يستمد منه القوة ؟!

حلم لم يتحقق

وينتهى الفيلم باحتفالات الوحدة بين مصر وسوريا .. وزيارة عبد الناصر الى دمشق .. والفرح يعم الجميع من خلال اغنيات المذياع .

وطفلنا هذا .. يربت على كتفه أحد رجال الشارع ، ويدعوه لأن ينظر للقمر المكتمل فى السماء .. ويقول له الرجل بحب وحنان : « انظر .. حتى القمر يحتفل



الطعام .. هو بهجة الحياة فى هذه العائلة الريفية التى يمثلها « فريد شوقى » .. وأمامه « يحيى الفخرانى » الذى اعتاد التهام الطعام بكميات وفيرة .. اللقطة من فيلم « خرج ولم يعد »

بالوحدة » .

وتكون هذه هي آخر عبارة في الفيلم .. اشارة الى حلم لم يتحقق .. أو حلم جديد منشود ..

ولعل من أجمل مشاهد الفيلم .. تلك المشاهد التي جمعت بين الأم وطفليها .. وخصوصاً المشهد الذى تحمم فيه الأم أصغر طفليها ثم تجلس على عتبة الغرفة تغمض عينيها مع أشعة الشمس وكأنها تستحم هى الأخرى بدفء الشمس .. ثم وهى تغنى لطفلها بصوتها .. ثم هذه المواجهة القاسية بينها وبين أكبر طفليها ، وهو يسألها عما فعله بها ذلك الرجل الذى تزوجته لبضعة أيام .. فقد وصل هذا المشهد الى ذروة التصاعد بالضرب والبكاء الهستيرى .. ثم يذوب تدريجياً في أحضان الأم والأحساس بالانتماء كل للآخر ..

ومن المشاهد التي لا تنسى في الفيلم .. اكتشاف الطفل للجنس الآخر في التركيبة الفنية البارعة داخل مصبغة الملابس .. ثم بداية إحساسه بالحب لطفلة في مثل سنه ..

والمداعبات البريئة بينهما ، الملفوفة بالفرح والحذر والرغبة .. والتى تبدأ من لعبة الاستغماية .. الى كي شريط فستانها المدرسى .. الى نشوة الفرح والقفز في حوارى الحي عندما تخصه بالابتسامة والخجل ..

لقد لعب هذا الطفل « باسل الأبيض » دوراً بارعاً وكان يفيض بالحيوية والانفعالات التلقائية .. لم يكن يمثل بل كان يعيش واقعاً ..

وقدم المخرج بطلته « ياسمين خلاط » في صورة تشع بالجمال سواء في لحظات الحزن .. أو الشجن .. أو في لحظات الفرح القليلة .. واستغل صوتها المؤثر ليتسلل عبر الصورة ، ليستقر في الوجدان ، مفجراً كل المشاعر النبيلة .

ان كل الاختيارات الفنية في هذا الفيلم .. تدل على مدى حساسية المخرج « محمد ملص » وفهمه التام للموضوع الذى يتناوله .. ولهذا وصل الفيلم الى القلوب .. واستطاع ان ينتزع الجائزة الأولى في مهرجانين مختلفين .. وفي زمن قياسى !

ياسمين الخلاط وبجوارها المرآة التى تغريها بالزواج من التاجر الثرى .. اللقطة من فيلم « أحلام مدينة » .

« خرج ولم يعد » من مصر

يعود « محمد خان » المخرج المصرى الموهوب .. الى عالمه الأثير في البحث عن المكان .. وعلاقة الشخصيات بهذا المكان ..

وهو هنا يتجه الى الريف المصرى .. في محاولة لاستنشاق الهواء النقي .. والبعد عن ضجيج المدينة وزيفها

وفي خلال ساعة ونصف ــ هى مدة عرض الفيلم ــ نكتشف أننا ضحكنا من الأعماق .. وأن عيوننا قد استراحت .. وتنفسنا أصبح منتظما .. فقد استطاع الفيلم ان ينتزعنا من واقعنا اليومى في المدينة الى حلم الحياة وسط الطبيعة .. ومع الناس البسطاء الذين يعيشون يومهم بأقل الهموم .. وبكثير من الطعام .. وبصدق كامل ليس فيه لوع أو شر ..

وبهذا الحب صنع « محمد خان » فيلمه « خرج ولم يعد » .. ووصلت رسالته الى الجمهور .. واستحق الفيلم أن يفوز بالجائزة الثانية في مهرجان قرطاج السينمائى .. واستحق الفنان يحيى الفخرانى أن يفوز بجائزة أحسن ممثل عن دوره في الفيلم ، ليستقر في المكانة التى تليق به كفنان واع ، مدقق .

و « خرج ولم يعد » صياغة راقية لفكرة العودة الى الريف .. كتبها ببراعة ، وبأسلوب ضاحك .. الفنان « عاصم توفيق » صاحب الرصيد المتميز من المسلسلات التليفزيونية التى تناقش مشكلات واقعنا اليومى .

وبطل فيلم « خرج ولم يعد » نموذج لآلاف الموظفين التى تزدحم بهم المصالح الحكومية في مصر .. ينزوى على مكتبه تحاصره تلال الدوسيهات والأوراق والمشاكل التقليدية للموظفين ..

يسكن في منزل متشقق آيل للسقوط .. مرتبط بخطبة فتاة تطارده دوماً هى وأمها بالاسراع بالبحث عن شقة لاتمام الزواج .. ولكن من أين له تلك النقود الطائلة لكي يحصل على شقة ..

وباشارات سريعة وموحية .. يضعنا الفيلم داخل حياة هذا الموظف بكل بساطته وعفويته .. وكل أحلامه المحبطة مع الزحام وتلوث المدينة ومطاردة فتاته الغبية .. حتى يدق بابه ذات صباح هذا المزارع « توفيق الدقن » صديق والده المتوفى حاملا معه حصيلة ايجار ثلاثة قراريط من الأرض .. هى كل ما يملكه .. والمبلغ تافه .. ولكن المزارع يغريه ببيع هذه القراريط ليستفيد من ثمنها إنقاذاً لحالته المتدهورة .

وتصدمه الفكرة في البداية .. ولكنه يستطعمها بعد قليل .. ويشد رحاله الى القرية ذات صباح ليبيع الأرض ويحصل على ثمنها ويعود في المساء .



ولكنه لا يعود فى ذلك المساء .. أو مساء اليوم التالى .. ولا يعود أبداً الى المدينة ..

اكتشاف البساطة والجمال

فهناك فى القرية .. تدخل عالماً شديد البساطة والجمال تمثله عائلة صاحب الأرض « فريد شوقى » وزوجته « عايدة عبد العزيز » ومجموعة بناته ، احداهن « ليلى علوى » .

هذه العائلة تحصر لذتها فى الحياة من خلال الطعام .. فليس هناك شىء ألذ من مائدة عامرة بالأطباق الممتلئة عن آخرها .. والتى يجب أن « تمسح » عن آخرها .. فهذا دليل الرضا والاستمتاع ..

ويبدأ صاحبنا فى التفاوض لبيع أرضه .. ولكن كيف يتم الاتفاق بدون اكرام الضيف .. واكرامه بوجبة طعام محتشدة بمختلف الأصناف .. وبعد الطعام يحلو النوم .. ليبدأ اليوم التالى بمائدة الافطار .. يليها الغذاء .. ثم العشاء ..

ومعدة صاحبنا لم تتعود على هذه الكميات من الطعام .. ولهذا تئن بالألم والتخمة .. وينقل الى المستشفى لتجرى له عملية غسيل معدة .. ويتعطل الاتفاق على بيع الأرض .. فكيف يتم الاتفاق على سرير المرض ؟

وهكذا تمضى الأيام .. الوقت لا قيمة له .. والطعام هو بهجة الحياة ..

ويكتشف صاحبنا تدريجياً وببطء شديد .. أنه وقع فى مصيدة تلك العائلة ورغبة الأم فى تزويج ابنتها منه ..

ويرفض بينه وبين نفسه أن يخضع لهذه المصيدة .. ويحاول الهرب منها .. ولكنه يفاجأ بأنه مشدود الى هذه الحياة .. والى مدى الصدق والعفوية التى يمثلها رب العائلة .. إنه يشعر أن هذا الرجل يحتاج لوجوده بجواره ، والاشراف على زراعته .. وهو يعرض عليه هذا الطلب مقابل دخل مادى أكبر بكثير مما يتقاضاه فى عمله الحكومى بالقاهرة ..

وهو لا يقبل العرض طمعاً فى النقود .. ولكن لاحساسه بالزهو والرضا لأنه يحقق ذاته لأول مرة .. ويجد نتيجة عمله ملموسة واضحة بين أشجار الفواكه التى تضمها مزرعة هذا الرجل .

وينتقل إحساسه بالرضا الى علاقته بالابنة .. ليكتشف فيها حناناً وفهماً .. لم يكتشفه فى خطيبته بالقاهرة ..

تعود أن يتنفس الهواء الطبيعى .. وأن يسمع أقل الأصوات .. وأن يستعيد توازنه .

حتى عندما غضب من فتاته الريفية .. وقرر الرحيل .. فوجىء بأول جريدة يصافحها فى السيارة التى استقلها الى القاهرة .. كانت الجريدة حافلة بمشاكل العاصمة : المنازل الآيلة للسقوط .. والمواسير المنفجرة .. ثم كانت دهشته بالغة عندما وجد صورته منشورة تحت عنوان « خرج ولم يعد » ..

ألقى الجريدة .. وطلب من السائق التوقف ..

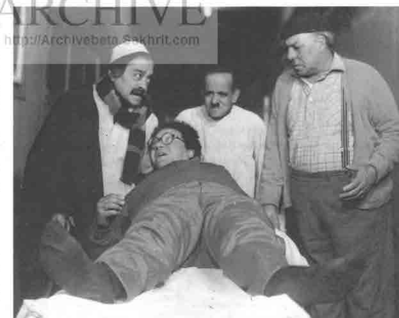
وعاد الى حيث ارتاحت نفسه .. ليجد فتاته الريفية فى انتظاره وابتسامة الثقة على وجهها ..

وهكذا خرج ولم يعد بالفعل ..

وهو خروج جميل ومفيد ..

والفيلم يقول هذا المعنى .. فى قالب من المواقف والمفارقات المضحكة .. وبلغة حوار منتقاة .. وبكاميرا المصور الشاب « طارق التلمسانى » الذى يخوض تجربة تصوير أول فيلم روائى باقتدار وفهم واضح ..

وقاد المخرج « محمد خان » مجموعة ممثليه باحساس مرهف .. فجاء الفيلم وكأنه لمسة نشوة .. منعشة .. ومؤثرة .



يحيى الفخرانى على سرير المستشفى ، يصرخ من آلام التخمة ، وبجواره فريد شوقى وتوفيق الدقن ..



الهدوء .. والجمال .. والسكينة .. تمثلها هذه اللقطة من فيلم «خرج ولم يعد» .. وهي تجمع بين ليلى علوى والفخرانى.

اسبانيا تحتفل بالسينما العربية

وهذا الانتصار الذى أكدته السينما العربية ، بتواجدها القوى فى مهرجان «قرطاج» السينمائى الأخير .. كان أيضاً احد المظاهر الهامة فى مهرجان «فالنسيا» الاسبانى والذى أقيم فى الفترة من ٢٩ سبتمبر الى ٧ أكتوبر الماضى .. حيث ارتفعت فى سماء المدينة الأسبانية الساحرة ، ستة أعلام عربية تمثل الجزائر ، وتونس ، والمغرب ، ولبنان ، وسوريا ، ومصر.

وكان المهرجان أشبه بمظاهرة حب للعرب ، حتى أن نتيجة مسابقة المهرجان ، أعلنت فى الحفل الختامى باللغة العربية ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى تعلن فيها نتيجة مهرجان دولى باللغة العربية ..

ومهرجان «فالنسيا» يقام سنوياً ـ هذه هى السنة الخامسة ـ ويخصص لسينما دول البحر الأبيض المتوسط.

وبجوار أفلام الدول العربية الست ، كانت هناك أفلام من فرنسا ، وايطاليا ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، واليونان ، وأسبانيا.

وتجاهل المهرجان متعمداً دعوة اسرائيل .. لا فى هذا العام فحسب .. ولكن فى دوراته السابقة .. واستقبل بكل الترحيب أفلام الدول العربية ومخرجيها وضيوفها .. واختار المخرج السينمائى المصرى «صلاح أبو سيف» رئيساً للجنة تحكيم المسابقة الرسمية .. واختار كاتب هذه السطور ، رئيساً للجنة تحكيم النقاد.

وكل هذه الاختيارات تدل على رغبة مهرجان «فالنسيا» فى إعلان هويته ، وكأنه يقول بصريح العبارة : «نحن مع العرب» .

متى نسمح بعرض هذه الأفلام ؟

معنى هذا .. أن هناك من يرحب بالسينما العربية .. ويحب أن يشاهدها ..

وبقى علينا أن نحب بعضنا ـ نحن العرب ـ ونسمح لأفلامنا بالعرض فى دولنا العربية .. فهذه المحاولات السينمائية الجادة يجب أن نشجعها ، ونفتح لها أسواقنا العربية ..

ويلح بداخلى سؤال .. كم منا شاهد الفيلم الجزائرى «شاى بالنعناع» للمخرج بهلول بهلول ؟ وكم منا شاهد الفيلم التونسى «السبت فات» للمخرج لطفى السيد ؟ وكم منا شاهد الفيلم المغربى «الزفت» للمخرج الطيب الصديقى .. والفيلم التونسى «الهائمون» للمخرج ناصر خمير ؟

وهى كلها أفلام جديرة بالاحترام .

إنه سؤال لضميرنا الفنى !

رءوف توفيق

أنا وحدي أحاول الابتسام

قصة من الأرض المحتلة

بقلم: حمدي الكحلوت

همست :

ــ يا فتاح يا عليم ..

وتوقفت عن جمع قرون البامية ، اعتدلت بقامتها الفارعة . سوت شالها الأبيض . ظللت عينيها بكفها وصوبت بصرها في اتجاه التلال المجاورة ، تستطلع مصدر الصوت المعربد في هدوء المنطقة . إنه أقل من صوت الطائرة وأكثر من صوت سيارة « أبو سالم » التي يحملها كل يوم بالخضار . أخذت تفرك كفيها في قلق فتتساقط ذرات الطين والأهداب الشوكية التي التصقت بهما . نفضت ثوبها بقوة ، فزهت ألوان الخيوط الحريرية التي تطرز ذيله . تقدمت بضع خطوات متمتمة في توجس وذهول يتصاعدان مع تزايد زمجرة الآليات المقتربة :

ــ رجل غريبة .. أستر يا رب .. عيني من الصبح وهي ترف ..

أغلقت صندوق الخضار وجلست على حافته ، ما زالت تحدق في الأفق القريب .. ظهرت سيارة مكشوفة مليئة بالجنود .. تقافزوا منها قبل أن تتوقف تماماً .. انتشروا في أعلى التلة وهم يتصايحون ويتضاحكون .. وعند السفح كانت جرافة صفراء تزحف في بطء وتتبعها شاحنات ضخمة تحمل بيوتاً أنيقة مثل التي تشاهدها في التليفزيون .. ضربت على صدرها وهي تهتف :

ــ الله يهدكم .. هذه أرض « أبو اسماعيل » الرجل مريض .. وجذور القمح ما زالت في الأرض بعد أن حصدها بيده قبل شهرين .

باشرت الجرافة في تسوية الأرض بمجرد وصولها .. وتجمع عدد من القادمين الملتحين حول عامود يثبتونه في الأرض .. ويشدون عليه حبلاً وقطعة قماش بيضاء عليها خطوط زرقاء وهم يغنون ويدقون أرجلهم في الأرض ويدورون حول العامود في نشوة غامرة وطقوس غريبة .

تلفتت أم سالم حولها وهي تمسح دمعة أفلتت من عينيها . شاهدت ابنها الصغير عدنان وهو ينزل عن شجرة الزيتون ويهرول نحوها مشيراً بيده صوب المشهد المرعب ويهمس في أذنها

ــ سأنادي أبي .. الحكاية خطيرة ..

ابتسمت أم سالم .. كلماته أكبر من سنواته العشر .. ربتت على ظهره موافقة وأضافت :

ــ ولا تنس أن تمر على بيت « أبو اسماعيل » وقل له الغربان عششت في أرضك .. وابعد عن طريقهم الله يرضى عليك يا ابني .. تكفي الغرامة الأخيرة وتوقيفك عن دراستك في الحبس ..

ــ ولكنهم لن يتركونا في حالنا . وأشار إليهم .

ــ الكف لا يقارع المخرز يا ولدي .

ــ إلا اذا كان في الكف حجر يا أمي .

ماتت الابتسامة على شفتيه عندما أسكتت أمه بمنطقه .. كان يرنو الى الأفق القريب .. تكاثفت غيوم سوداء .. ونبح كلب من بعيد ونعق غراب في الجو فتمتمت ام سالم وحوقلت في حين ابتسم صغيرها عدنان وانطلق منحدراً مع الطريق المؤدي الى قلب المدينة الكبيرة متجنباً الطريق الرئيسي المحاذي لأرض « أبو اسماعيل » حتى لا يراها وهي تشق وتداس بآلياتهم ورطانتهم .. أخرج « النبلة » من جيبه .. التقط حصاة عن الأرض وضغطها داخل الجلدة بين الابهام والسبابة .. صوب تجاه سرب من الغربان في أعلى شجرة خروب قديمة .. وأطلق قذيفته الصغيرة طار السرب الا واحداً .. وقع على بعد خطوات .. يتخبط في دمه .. جرى عدنان نحوه فرحاً .. ليس الغراب صيداً .. لكن الفرحة في دقة الاصابة .. يندر أن تطيش له رمية .. ولكز الغراب الميت بمقدمة حذائه .. ثم واصل السير مع الطريق الذي يدور الآن حول الجبل وعيناه تلاحقان الطيور ويداه تشدان على العصا ذات الشعبتين والجلدة المطاطية المحشوة دائما بالحصى الأملس الثقيل .

تستوي الأرض عند مشارف المدينة .. تترامى بعض بيوتها على أكتاف التلال المجاورة .. وفي المواجهة يلوح سوق المدينة .. بعد الزيتونة الكبيرة ، يوجد بائع تمر هندي وخروب .. سأشتري منه .. والتقط أنفاسي عنده وأمتع النظر بالشوارع الفسيحة المكتظة بالناس والسيارات والفلاحات يحملن سلال الخضر والفاكهة .. الغريب أنه لم تقابلني أية واحدة منهن !! كنت فقط أريد أن أسأل عن أبي .. لو أنه انتهى من بيع الخضار لمر بي الآن وأراحني من بقية المشوار .. ولأجلسني في المقعد الأمامي بجانبه في سيارته « البيجو تندر » لكن لابد أن يكون في

الأمر شيئاً .. مدخل المدينة لم يكن في أي وقت بهذا الهدوء ..وبائع الخروب ليس في مكانه وراء عربته .. آه .. صدقت أمي في رقة عينيها .. عربة اسعاف تقف وسط الميدان .. وفي الناحية الأخرى طوابير من الناس تواجه الحائط وكل الأيدي مرفوعة .. الجنود ، وسيارات الجيش ، وأعلام مرفوعة .. وأخرى ممزقة على الأرض .. وبقايا دخان واطارات محروقة .. وحجارة ومتاريس بدائية .. واذن .. هو الطوق .. الاقتراب أكثر من ذلك ، معناه الانضمام للطوابير المصلوبة على الحائط .. والابتعاد عن هروب لا أرضاه .

وضع القرفصاء وراء تلك الصخرة يتيح لك أن تشاهد كل ما يجري على مسافة قريبة ، دون أن يتنبه إليك أحد .. بدأوا في تعبئة الناس المصلوبين داخل سياراتهم الكبيرة .. شيوخ .. أطفال .. فتيات .. لطمة هنا وصرخة هناك .. وشتائم قذرة تنهال على الرؤوس .. تتعلق العينان بكوفية بيضاء ومعطف بني أعرفهما .. تتحسس يداي النبلة .. أتأكد من الحصى الثقيلة الملساء ، داخل المطاط المشدود .. يداه ترتفعان وفي احدهما سبحة .. أعرفها .. تشد يدي على المقبض ذي الشعبتين .. وأحكم النيشان بين عيني .. الحذاء الأسود الملون بطين الحقل يصعد الشاحنةالفاتحة فاها .. يلوح الجندي برشاشه .. ويعقبه يدك رقبة الرجل .. آه .. انه أبي .. وتنطلق صرختي .. قبل حصاتي .. يلتفت الجندي ناحيتي .. في عينه تستقر الحصاة .. ثقيلة ملساء ودامية .. يصرخ .. يرمي سلاحه .. يدور حول نفسه ضاغطاً عينه بيده .. يتجمع حوله زملاؤه .. الكل يحاول أن يسعفه .. ينتهز الناس الفرصة .. يفرون من الشاحنات .. يعود كل واحد الى بيته .. أجلس في المقعد الأول بجانب أبي وأبتسم .

كان عدنان ما يزال يسير في الطريق المنحدر الى المدينة .. تتدلى من يده اليمنى قطعة خشبية بشعبتين ورباط من المطاط .. يشدها بين الحين والآخر .. ويرنو الى الأفق .. فتلوح بيوت المدينة زاهية وشامخة يلفها ضباب شفيف .. تحيط بها جبال جرداء كأنها مردة للحراسة وفي الجو ينعق غراب ويهدر صوت مجنزرة ما ان تطل على الصغير حتى يصرخ من فيها طالباً من عدنان التوقف .. يقفز اليه جنديان يصوبان اليه السلاح .. يفتشانه .. يطلبان منه الصعود الى قلب المجنزرة .. اليدان خلف الرأس .. والشتائم فوقه .. وضربات بأعقاب البنادق وألف سؤال وسؤال تهدر مع المحرك الذي عاد يبدد السكون .. ما هذه الآلة التي تحملها ؟ ! هل لديك أسلحة أخرى ؟ ! .. أين تخبيء كل ذلك ؟! .. الى أين تتجه الآن ؟ من شاهدت من المخربين ؟ كيف تتعامل معهم ؟ لماذا تقذف الداورية بالحجارة ؟ من يحرضكم على المظاهرات ؟! هل تذهب الى المدرسة ؟! .. ماذا يقول لكم المعلمون ؟ . و .. و .. و ...

والاجابة دوار وغثيان .. وقيئ وعرق .. يشكل طبقة عازلة وحامية من الجحيم ولو الى حين .. وفي جهاز اللاسلكي يرسلون اشارة .. أعرف بعض كلماتها مما تعلمته في المدرسة .. قبضنا على مخرب .. يحمل سلاحاً ممنوعاً .. ويهاجم الداورية .. يبدو ا نه قد أغمي عليه .. سنواصل التحقيق معه فيما بعد .

الانبطاح على أرضية المجنزرة أتاح لي استراق النظر جانبياً الى الحقول التي نمر بها .. أقدامهم ثقيلة فوق ظهري .. يضحكون ويغنون وبين الحين والآخر يسقط عقب بندقية على جسدي أو رفسة جندي مخمور .. أتظاهر بالاغماء وأصوب العين مغمضة على الطريق .. افتحها عند الاحساس بالاقتراب من حقلنا .. رائحة الأرض .. برودة هواء الجبل .. صوت الجرافات .. ونباح الكلاب .. ونعيق الغربان .. كل ذلك يعني اننا نقترب من حقلنا .. غامرت ونظرت الى عمق الجانب الأيسر .. كانت هناك .. تقف في شموخ بثوبها المطرز وقد جدلت شالها الأبيض خلف ظهرها .. ممسكة بفأس بيديها .. تحدق في الأفق تارة وكأنها تنتظر .. ثم تعود لتصوب نظراتها تجاه أرض « أبو اسماعيل » في حرقة وألم .

كانت الوحوش المعدنية قد كفت عن الهدير وجثمت على الأرض بضعة أكواخ ومن السيارات نزلت عائلات غريبة تتلمس الأرض في خوف وحذر .. نظروا في كل اتجاه .. رفعوا رؤوسهم الى قمة السارية .. لم يرفرف العلم .. مرت طائرتان نفاثتان على ارتفاع منخفض .. ولم تسكن الطمأنينة في القلوب .. أشاروا في اتجاه أم سالم متهكمين صائحين فلم تبتسم أم سالم .. كنت أنا وحدي أحاول الابتسام ، رغم الأحذية فوق ظهري .. رغم دغدغة حديد المجنزرة لعظام وجهي .. كنت أعرف انني سأعود اليها وأقف الى جانبها .. بضعة شهور وغرامة .. وأشد على اليدين المعروقتين وأعود لشد النبلة ، في اتجاه المستوطنة .. والغربان .





دوحة القراء

إشراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد.

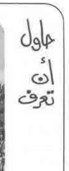
(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك في أكثر من مسابقة في العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب.

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالي: مجلة الدوحة - ص. ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر.

● لا تقبل الحلول التي لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣.

حاول أن تعرف





الصورة الأولى: ساحة الشهداء باحدى العواصم العربية العريقة، فتحها المسلمون في معركة اليرموك عام ٦٣٥م، ما اسم هذه المدينة، واسم القائد العربي الذي على يديه تم الفتح؟

● ● ●



الصورة الثانية: أحد أعلام الأدب العالمي، ولد عام ١٨٢٨، وكان انساناً ذا مثل عليا، ومن أشهر رواياته التي حققت رواجاً في كل انحاء العالم «الحرب والسلام» و«أنا كارنينا».. وقد مات في محطة للسكك الحديدية وهو في صحبة ابنته وذلك في عام ١٩١٠.. من هو؟

حل مسابقة حاول أن تعرف للعدد ١٠٦



الصورة الأولى: مدينة أسوان - وبحيرة ناصر

الفائز: أحمد مروان الموسى - الامارات العربية المتحدة

الفائز: بلال عبد الرحمن الشجاع - الجمهورية العربية اليمنية



الصورة الثانية: لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وقد توفي سنة ١٧١٥ م.

الفائز: سلامة عوده سلامة - مصر

الفائزة: جمانة أحمد رامي - الكويت

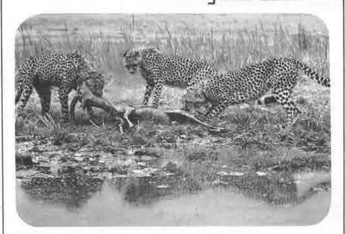
قـــــرأت

العقل والمودة بين الأشرار والأخيار !

جاء في الأدب الصغير لعبد الله بن المقفع :
المودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ، ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذى هو بطيء الانكسار ، هين الاصلاح .
والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبداً .
وقال في العقل : سمعت العلماء قالوا : لا عقل كالتدبير ولاورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كالرضى وأحق ما صبر عليه مالا سبيل إلى تغييره . وأفضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقل المعرفة بما يكون ومالا يكون ، وطيب النفس حسن الانصراف عما لا سبيل إليه . وليس من الدنيا سرور يعدل صحبة الاخوان ، ولا فيها غم يعدل غم فقدهم .

فريد ابراهيم إسماعيل
كلية دار العلوم ـ القاهرة

لقطة الشهر



فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء طارق عبد الوهاب أنور ـ حلفا الجديدة ـ السودان .



كلمات ومعان

ـ كوستاريكا : معناها بالأسبانية الساحل الغنى .
ـ بيت لحم : أصلها سرياني وتعنى بيت الخبز ، لأن لحم بالسريانية تعنى الخبز .
ـ الرايخ : كلمة ألمانية تعنى الامبراطورية .
ـ بيروت : ينسبها البعض إلى الكلمة الآرامية (بروتا) والتى تعنى الصنوبر .
ـ تلمسان : كلمة بربرية معناها الينابيع .
ـ ليبيريا : كلمة لاتينية معناها مكان الحرية .
ـ فرعون : كلمة مكونة من لفظين باللغة المصرية القديمة (بر ـ جو) وتعنى : البيت الأعظم .

وليد سليمان السلوم
دمشق ـ سورية

بكالوريوس في الأمانة والوفاء

صدق أو لاتصدق أن كلباً حاز على شهادة جامعية في عام ١٩٤٣ ، حيث أظهر كلب من كلاب الشرطة يسمى « جاك » من الفطنة والذكاء والاخلاص في إرشاد الطالب الضرير « جاك ويلكس » عبر قاعات جامعة « ميدل تنيسى ستيت » في الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى انتهى من دراساته الجامعية .
وفي حفل التخرج قررت الجامعة منح الكلب المرافق للطالب بكالوريوس في الأمانة والوفاء ، وكانت جائزته عبارة عن رقعة معدنية من الفضة الخالصة مدون عليها أن الكلب المذكور أنهى صفوفه الجامعية بامتياز !

مصطفى ابن المبارك
الدار البيضاء ـ المغرب

هل تعلم؟

- أعلى القمم : قمة إيفرست ٢٩٠٢٨ قدماً
- أكثر المناطق انخفاضاً : البحر الميت ـ ١٢٩٣ قدماً تحت مستوى سطح البحر
- أوسع شبه جزيرة : شبه الجزيرة العربية ـ ١٠٥٤٠٠٠ ميل مربع
- أكبر الجزر : جرينلند ـ ٨٣٩٨٠٠ ميل مربع
- أطول السلاسل الجبلية : الانديزوروكي ـ ٩٣٢١ ميلاً
- أكثر المناطق زلازل : شيلي ١٠٠٠ زلزال في السنة
- أوسع البحيرات : بحر قزوين ـ ١٥٣٠٠٠ ميل مربع
- أطول الأنهار : نهر النيل : ٤١٤٥ ميل

خالد محمد كامل
السويس ج . م . ع






المسابقة الشعرية

فى قصيدة «شعر الدموع» لشاعرنا العربى الراحل أحمد رامى الملقب بشاعر الشباب، حذفنا كلمة من بين كلمات القصيدة ووضعنا بدلاً منها كلمة «مقصودة». والمطلوب منك أن تعرف الكلمة الأصلية فى أبيات الشاعر:

يقولون ما هذا الشحوب الذى نرى بوجهك، بل ما هذه النظرات؟
فقلت لهم إنى دفنت نضارتى وقد ضربت فى قلبى الظلمات.
تشرد لحظى، ثم غشته ترحة كما غشيت «مقصودة» الضحى المزنات.
لقد كان براقاً وقد كان ضاحكاً فراح بريق اللحظ والضحكات..

المقصودة أو الكلمة الأصلية عند الشاعر مكونة من ثلاثة حروف ٣، ٢ فى الثعابين القاتلة.

عبارة شهيرة.. من هو قائلها؟

«أفضل ألا تنظرى على الحشرات الطائرة.. أنا أرهق نفسى من اجلك.. أفيد لك أن تلتفتى لى.. لكى تحصلى على الدكتوراه الجزئية.. والدكتوراه الكلية.. والدبلوما الكلية العليا..».

جاءت هذه العبارة على لسان احدى شخصيات مسرحية «الدرس» للكاتب العالمى أوجين يونسكو، التى يعرى فيها بأسلوب ساخر قضية اللغة والأرقام والمفاهيم..

فهل تعرف من هو قائل العبارة؟

إذا كنت لا تعرف القائل تستطيع أن تعود إلى نص المسرحية. لأن اسم الشخصية التى قالت هذه العبارة مكون من سبعة حروف:

٦، ٤، ٥، ٢ بمعنى أخرج سيفه.

جواز سفر



هذه بيانات جواز سفر أحد مشاهير الأدب العالمى. حاول أن تعرفه من خلال تلك المعلومات التى تلقى الضوء على الجوانب الهامة فى حياة هذا الأديب:

- تاريخ الميلاد: ١٨٢١.
- مكان الميلاد: أوكرانيا ــ موسكو ــ روسيا..
- شهاداته: حاصل على شهادة الهندسة من بترسبورج.
- وظيفته الأساسية: كتابة الأدب والقصة والرواية الطويلة..
- أول أعماله: مخطوط «الشعب الفقير».
- أشهر أعماله: روايات: الجريمة والعقاب ــ الأخوة كرامازوف.
- أشهر أقواله: ليس معنى الحياة.. انتقال الانسان من جيل إلى جيل.. بل تحول الانسان من وحش إلى ملاك. ومن خاطىء الى قديس.
- حدث فى حياته: قبض عليه وأنقذته رسالة القيصر من تنفيذ حكم الاعدام فيه، واكتفى بنفيه مع القتلة والمجرمين الى سيبيريا..
- شخصيات تأثر بها: الشاعر الروسى بوشكين..
- اعتراف: اعترفت زوجته أنه كان يعانى من مرض الصرع الذى صوره فى قصته «الأخوة كرامازوف».
- تاريخ رحيله: ١٨٨١.

اسم صاحب هذا الجواز الذى اشتهر به مكون من مقطعين و١٥ حرفاً:
٢، ٥، ١، ٦ بمعنى يدخر.
٧، ١١، ٨، ١٤، ١٠ اسم موسيقى أوروبية راقصة.

مسابقة مدن العالم

حاول أن تعرف هذه المدينة العربية من خلال المعلومات التي سنذكرها لك عنها :

• تقع هذه المدينة في جمهورية لبنان الشقيقة ..

• زعم البعض أنها أول مدينة في الدنيا ، وأن اسمها الأول هو عشترت ، نسبه الى عشتروت ، سيدة الحب والجمال .

• اختلف المؤرخون حول اسمها الأول .. فقيل بروتا .. وقيل بروتاي .. وقيل بيروتوس .. أو بيريت .. وقيل أيضاً جاريشي .. تحريفاً لأسم الجرجش بن كنعان الذي بناها ..

• قيل أيضاً أن بانيها هو ساترونيس (كوكب زحل) الذي كانت له مكانه في نفوس الذين سكنوا المدينة قديماً .

• عانت هذه المدينة الويلات المستمرة من الغزاة والمستعمرين ، منذ عهد الفراعنة حتى العهد الروماني وعهد الزلازل المدمرة .

• من هذه المدينة طارت الشرارة الأولى لثورة ١٩٤٣ التي انتهت باعلان استقلال لبنان ..

• المدينة ذات طابع خاص يجمع ما بين الطابع الشرقي والعربي والغربي .. وتعتبر مدينة سياحية تجارية سياسية ، ذات طابع عالمي .

اسم المدينة مكون من مقطع واحد وخمسة حروف :

٤ ، ١ ، ٢ ، ٥ يزرع في البرازيل .

حـل المسابقة الثقافية للعدد ١٠٦

١ ـ المسابقة الشعرية :

ـ الكلمة المقصودة عند عنترة هي : الليل .

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها ؟ :

اسم بطل المسرحية : سعيد الشاعر .

اسم المسرحية : ليلى والمجنون للشاعر صلاح عبد الصبور .

٣ ـ جواز سفر :

اسم صاحب الجواز : صمويل بيكيت .

٤ ـ مسابقة مدن العالم :

مدينة مراكش بالمغرب .

أسماء الفائزين

• فاز بالجائزة الأولى : وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد عزت عبد الحافظ ـ مصر .

• فاز بالجائزة الثانية : قدرها ٢٠٠ ريال قطرى .

القارىء : سامى عبد الله عبد الغفور ـ الجمهورية العربية اليمنية .

• فاز بالجائزة الثالثة : وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد على أبو ليه ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ نعيمة عبد الرازق أحمد ـ العراق
٢ ـ حسن صالح سليمان ـ مصر
٣ ـ سمية عبد الغنى محمود ـ الأردن
٤ ـ خالد حسن عباس ـ الامارات العربية المتحدة
٥ ـ عبد السلام مصباح ـ المغرب
٦ ـ تاج الدين يعقوب ابراهيم ـ القضارف ـ السودان
٧ ـ جيلان عبد الحميد عثمان ـ الكويت
٨ ـ سهير محمد التكريتى ـ سوريا
٩ ـ عبد الباسط محمد محمد ـ السعودية
١٠ ـ ما ماد وصو ـ السنغال

حل استراحة الدوحة العدد ١٠٦

١ ـ أصل وصورة : الحاجب ـ الجبهة ـ العينان ـ الأنف ـ الذقن ـ الشارب ـ سوالف الشعر .
٢ ـ لوحة لم تتم : الشاعر أحمد رامى .
٣ ـ لأقوياء الملاحظة فقط : جزرة ـ وردة ـ ورقة شجرة ـ مثلث ـ مسمار ـ قبعة طاهى .
٤ ـ دورى الكاريكاتير : رقم (٧) .
٥ ـ لعبة الظلال رقم (٢) .
٦ ـ يخلق في الشبه أربعين رقم (٥) .
٧ ـ المثل يقول : اللى يبص لفوق يتعب .

الفائزون

١ ـ حصة تامر السبيعى ـ قطر
٢ ـ محمود بن محمد الرواحى ـ سلطنة عمان
٣ ـ صالح محمد صالح ـ البحرين
٤ ـ أحمد صالح فارس ـ قطر
٥ ـ أحمد يوسف حبيب ـ مصر
٦ ـ عبد الله أحمد العلى ـ السعودية
٧ ـ نبيل على حسن ـ قطر
٨ ـ أبا محمد فوزير ـ المغرب (اشتراك)
٩ ـ ليلى عبد الله سعد ـ البحرين
١٠ ـ جيهان إلياس ابراهيم ـ مصر
١١ ـ العيساوى أحمد بن على ـ موريتانيا (اشتراك)
١٢ ـ دخيل الله مبارك ـ السعودية
١٣ ـ محمد مكى عبدالله شريف ـ أم درمان ـ السودان
١٤ ـ محسن نصر الدين أحمد ـ مصر

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسـم : ....

العنـوان : ....

....

اسم المسابقة : ....

رقم العدد : ....

« تحـذيـر »

التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف



أصل وصورة





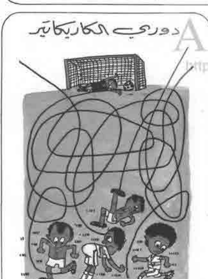
إنه الروائى العربى الطيب صالح الذى ترجمت أكثر رواياته الى عدة لغات أجنبية ، وبخاصة موسم الهجرة الى الشمال ، وعرس الزين .. إن ماتراه أمامك عبارة عن سبع اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الروائى العربى . إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى نتداوله عند التعليق على أى خبر لا نعرف كل ما فيه من تفاصيل .. إذا عرفت المثل أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته حتى تحصل على جائزة ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر هندى كبير ، ترجمت الكثير من أعماله الى العربية ومنها « البستانى » و « البيت والعالم » و « رعاة الحب » ، وقد عاش فى الفترة ما بين (١٨٦١ — ١٩٤١) .. أكمل اللوحة وقل لنا من صاحبها لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



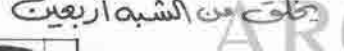
هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. إذا استطعت ذلك فأرسل لنا الحل الذى قد يجعلك تفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين









الصور الست المنشورة لستة شخصيات شديدة الشبه بشخصية الكاتب المسرحى الفرنسى جان آنوى الذى عرف بتحويله القصص الكلاسيكية الى مسرحيات حديثة .. بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً .. تعرف عليها لتحصل عاى جائزة

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

الحب هو الخاطر!!

إن قلبك لا يحب، أو أن القلب هو حكاية قديمة من كلام عتيق جدا.. في عصر كانت الرومانسية فيه تشبه «الاتيكيت» وكان الحب بضاعة الشعراء والحالمين!

فالقلب ليس أكثر من قطعة لحم تساعد على ضخ الدم، وتتعاون مع رئتيك على تنظيم التنفس فيك.. بدليل أن قلوبا كثيرة أصيبت بأخطر الأمراض، وبقي أصحابها من الذين يعشقون بعنف، ويحبون بلا توقف حتى الموت، وبدليل أن بعض القلوب أيضا عولجت بوصفات من عند «العطارين» تماما مثل الصلع، والربو، وارتعاشة جفن العين!

ولكن الذي يحب فيك هي خواطرك.. تحب نيابة عنك، وتعبر عن ضعفك وعن عفويتك، وعن صدقك.

وعندما تصبح انسانا بلا خواطر لابد أن يتوقف نموك الحسي..

وعندما تتبلد خواطرك.. تقول للدنيا: «طز» وتقهقه ببلاهة.

وعندما تتشوش خواطرك بما يحكمها من الانشغال المادي.. فإن هذا الاصطدام بين المعنى والمادة فيها يحيل خواطرك الى «نقح» وربما يمكن معالجتها هي الأخرى بوصفة من عند العطارين.

ولا بد أنك تبعاً لذلك ستفقد الكثير من الخيالات ومن الأحلام، وتصبح الأنثى في تصورك حيرة، والحياة في تعاملك قرفا، والمعاني في ضميرك سرابا!

إن خواطرك هي عواطفك، أو أنها هي التأثير المباشر على شعورك، وعلى علاقاتك بالآخرين، ولذلك.. فمن الممكن أن يتبلور في ذهنك مثل هذا السؤال الضوضائي الطويل:

ـ لماذا لايجد الذكر صداه أحيانا، أو لايجد الانثى التي تطابق طباعها، طباعه، أو لاتجد الأنثى ذكرها الذي يفهم لحظات مللها، وينسكب في لحظات توقعاتها، وانتظاراتها؟!

ولعل الجواب يكون: لأن طباعنا محكومة بخواطرها، ولأن خواطر الأنثى لاتتفق دائما مع خواطر الرجل، فهي تجعل من خواطرها ذاتا، والرجل يجعل من خواطره ايضاحا للذات، ومن أجل هذه الحقيقة قتلت كليوباترا نفسها، وقتلت شجرة الدر رجلا بالقباقيب.. وأحرقت جان دارك جسدها، أو جعلتهم يحرقونها، ومن أجل ذلك أيضا تخلى آرثر ميللر ذات يوم عن أنثاه وتركها تنتحر، أو تقتل، وضاع شاعر مثل كامل الشناوي في زحام «عذريته»!

والأمثلة كثيرة لو أردنا الاستطراد فيها، وخواطرنا تخلف لنا أسر التعب عندما نحاول أن نحصيها!!

ولكن الجديد في أخبار «القلوب».. أنها انتقلت من اهتمامات الطب الحديث بشئونها وأمراضها، «ولفظت» محاولات دكتور مثل برنارد، وطلعت الأخبار تقول: إن أحدث علاج لأمراض القلب نجده عند العطارين. وتبعا لذلك فلا بد أن تزدهر الآن تجارة العطارة، وأن يهرع العطارون الى الاهتمام بمتاجرهم واقامة الديكورات لها وحسن العرض، تماما مثل الصيدليات الحديثة، أو محلات الميني فاتورة.. فالعطارة علاج قديم أهمله الناس. ثم ـ فيما يلوح ـ هاهم يعودون الى الاهتمام به والأخذ بقراطيسه!

وقالوا: إن أشياء كثيرة لدى العطارين تصلح علاجا لأحدث أمراض القلب وليسقط الطب الحديث. فمن الممكن إستعمال بعض الزهور، واستعمال النبات، واستعمال الخنزريم: ولا أعرف ماهو!!..

ومع القلب أوصوا بعلاج الصلع بالعطارة، فقالوا: يُفرْم الكرات ويعصر وتوضع مع العصير مرارة خروف، ويوضع على الرأس ثلاث مرات في اليوم بعد غسله، وتكرر العملية وسيطلع الشعر أحسن من زرعه بالطريقة الحديثة وأسرع، وبشرى لكل صلعة تلمع بأسى!

وأوصوا بعلاج مرض الربو بالعطارة فقالوا: يجمع ورق الحرمل وينقى ويغلى جيدا، ثم يصفى ويوضع في قارورة داخل ثلاجة، فيشرب منه المريض ملعقة على الريق، وتجلب مرارة الخروف وتوضع في فنجان قهوة وتشرب على الريق لمدة اربعة عشر يوما!

وأوصوا للمصاب بحصى الكلى فقالوا: يعصر البقدونس ويصفى ويشرب المريض كأسا يوميا منه لمدة أسبوع. وأوصوا للذي يشكو من ارتعاشة جفنيه او مانسميه عندنا بـ «شحاذة العين» فقالوا: ينقع «الصبر» أو يدق، ويوضع عليه قليل من الماء بحيث يصبح المحلول ثقيلا ويوضع على مكان الارتعاشة!! ونسوا أن يذكروا مع هذه الوصفة ايضا مرارة الخروف!!

بقي القلب ـ في هذه الزحمة، ولابد أن تبقى الزحمة في داخله سواء بالعلاج الحديث، أو بوصفة العطارين، أو حتى بمرارة الخروف!!